مكتبة الأسرة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٦

عملية سوزانا

عادل حمودة



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

عملية سوزانا
أول عملية إرهابية للموساد فى مصر



مهرجان القراءة للجميع ٩٦

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

عملية سوزانا

أول عملية إرهابية للموساد فى مصر

عادل حموده

لوحة الغلاف

للفنان جمال قطب

الانجاز الطباعى والفنى

محمود الهندى

المشرف العام

د. سمير سرحان

الجهات المشتركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الحكم المحلى

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: هيئة الكتاب

عملية سوزانا

أول عملية إرهابية للموساد فى مصر

عادل حمودة

على سبيل التقديم .

لأن المعرفة أهم من الثروة وأهم من القوة فى عالمنا المعاصر وهى الركيزة الأساسية فى بناء المجتمعات لمواكبة عصر المعلومات.. من هنا كان مهرجان القراءة للجميع دلالة على الرغبة الطموحة فى تنمية عالم القراءة لدى الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً ورجالاً ونساءً..

وكان صدور مكتبة الأسرة ضمن مهرجان القراءة للجميع منذ عام ١٩٩٤ إضافة بالغة الأهمية لهذا المهرجان كاضخم مشروع نشر لروائع الأدب العربى من أعمال فكرية وإبداعية وأيضاً تراث الإنسانية الذى شكل مسيرة الحضارة الإنسانية مما يعتبر مواجهة حقيقية للأفكار المدمرة.

هكذا كانت مكتبة الأسرة نافذة مضيئة لشباب هذه الأمة على منافذ الثقافة الحقيقية فى الشرق والغرب وعلى ما أنتجته عبقرية هذه الأمة عبر مسيرتها التنويرية والحضارية..

إن مئات العناوين وملايين النسخ من أهم منابع الفكر والثقافة والإبداع التى تطرحها مكتبة الأسرة فى الأسواق بأسعار رمزية أثبتت التجربة أن الأيدى تتخاطفها وتنتظرها فى منافذ البيع ولدى باعة الصحف لهو مظهر حضارى رائع يشهد للمواطن المصرى بالجدية اللازمة والرغبة الأكيدة فى الإسهام فى ركب الحضارة الإنسانية على أن يأخذ مكانه اللائق بين الأمم فى عالم أصبحت السيادة فيه لمن يملك المعرفة وليس لمن يملك القوة.

د. سمير سرحان

الإهداء

إلى ... مى ..
التى تنتمى إلى جيل المقاومة بحجر ..
لعل الزمن ينصفه فيعرف القنبلة !

بـــدون مقدمـــة

لايحتاج هذا الكتاب إلى مقدمة .

المقدمة تفسده .

إنه سيناريو ، واقعى ، مثير ، ومحكم ، لا يجوز أن تسبقه مقدمة ، تشرحه أو تفسر سلوكيات أبطاله .

ولو كانت المقدمة إجبارية ، وهى ليست كذلك ، فلا بد أن تبتعد عن نص الكتاب ، وتدور حول الذين ساعدونى فى الحصول على مادته ... وهم ليسوا معروفين لدي شخصيا .. لأنهم إما عاشوا فى زمن غير زمنى .. أو يعيشون فى وطن غير وطنى .

والذين عاشوا فى زمن غير زمنى هم الذين كشفوا أبعاد القضية الخطيرة التى يتناولها الكتاب ، وحققوا وقائعها ، وحاكموا أبطالها ، وتابعوا تفاصيلها ، واحتفظوا بأوراقها ، وملفاتها ، ووثائقها ، لكى نطلع عليها ، ونعيد صياغتها ، ونقدمها إلى أجيال جديدة ، لم تعرف ما جرى فيها لسبب بسيط - لا ذنب لها فيه - هو أنها لم تكن قد ولدت بعد .

والذين يعيشون فى وطن غير وطنى ، هم الكتاب الأجانب ، الذين سعوا إلى تقديم الوجه الآخر ، الخفى لهذه القضية ، وأتاحوا لنا الاطلاع على ما لم يكن من الممكن معرفته ، لو لم يفعلوا ذلك .

وبين هؤلاء ، وهؤلاء ، كان علينا أن نقرأ ، ونفتش ، ونقارن ونتأكد ، ونتابع ، ونترجم ، ونصيغ ، حتى وصلنا إلى ما ستقرأه بعد لحظات .

ولعلنا لا نتجاوز الحقيقة إذا ما قلنا إن ذلك لم يكن سهلا .. وإن كنا لا نجرؤ على أن ننكر أنه كان ممتعا .

على أن المتعة ، لم تكن الشيء الوحيد الذى حافظنا عليه ، بل نزعم أننا تجاوزناها إلى ما هو أهم .. رصد الظروف السياسية .. التنقيب فى التاريخ الشخصى للأبطال الكبار .. والتطورات والنتائج المتلاحقة التى استهلكت حوالى ١٠ سنوات كاملة .. ثم .. علاقة ما حدث منذ نحو ٣٥ سنة ، بما يحدث لنا الآن .

وهذا يعنى أن عملية « سوزانا » التى يشير إليها عنوان الكتاب ، ليست مجرد عملية عابرة من عمليات « المخابرات الإسرائيلية فى مصر » كما يشير عنوان الكتاب أيضا .. وإنما كانت عملية « انقلابية » غيرت كل مفردات الصراع فى المنطقة لفترة استمرت طويلا .. فقد أدت إلى ضرب محاولات السلام التى سعى إليها موشى شاريت رئيس وزراء إسرائيل الأسبق ، من أجل التفاوض والتفاهم مع جمال عبد الناصر .. وأدت إلى الإغارة على غزة ، وفرضت على مصر شراء السلاح من السوفييت ، ومن ثم كانت إحدى الخطوات الأولى فى الطريق إلى حرب السويس .. وأدت إلى انفجار حرب المخابرات الشرسة بين مصر ، وإسرائيل ، تلك الحرب التى كان شعارها : « عش لتأكل أو لتؤكل » .. وأدت إلى سقوط أخطر وأهم زعماء إسرائيل .. موشى شاريت .. بنحاس لافون .. وديفيد بن جوريون .. وأدت إلى انقسامات حادة فى أعتى المؤسسات الإسرائيلية ، من حزب ماباى .. أكثر الأحزاب شعبية ، إلى تنظيم الهستدروت .. أكثر التنظيمات فعالية .. وأدت إلى صراع كان من الصعب حسمه داخل الجيش الإسرائيلى ، وأجهزة مخابرات العدو الصهيونى كافة .

بل ...

أكثر من ذلك لايزال أحد أبطال العملية فى قمة السلطة فى إسرائيل الآن ، ولانزال نتعامل معه .. وهو شيمون بيرسكى .. الشهير باسم شيمون بيريز !

ليست قصة من قصص الجاسوسية إذن ، تلك القضية التى يتعرض لها هذا الكتاب .. وإنما قصة جيل ، كان « على موعد مع القدر » .. ثم أصبح « على موعد مع مناحم بيجن » .. وهى قصة كُتبت بالدم ، والدموع ، والعرق ، ورغم ذلك تصور البعض بسذاجة ، أنها مثل أفلام الراحل « حسن الإمام » لا بد أن تنتهى نهاية سعيدة ، بقرار من الرئيس السابق أنور السادات .

إن كل كلمة فى هذا الكتاب حقيقة .

والحقيقة دائما أغرب من الخيال .

عادل حمودة

القاهرة

فجر الأربعاء ٢٠ / ٤ / ١٩٨٨

□ ١ □

اللعـب .. بالنـار !

صيف ـــ ١٩٥٤ ..

كل شيء ساخن فى مصر ...

الطقس .. البنات على الشواطىء .. الصراع السياسى بين البكباشى جمال عبد الناصر واللواء محمد نجيب .. مفاوضات الجلاء مع بريطانيا .. الاتصالات العلنية ، والخفية مع الولايات المتحدة الأمريكية .. حرب المنشورات السرية التى أشعلها الجهاز الخاص للإخوان المسلمين .. محاولات التمرد فى ثكنات الجيش .. الغضب الصامت فى نقابات الرأى .. الخلاف بين المنظمات والأحزاب الشيوعية وضباط يوليو ...

الحر .. العرق .. الرطوبة .. التوتر العام المكتوم ، أسباب جعلت الأعصاب ملتهبة .. تكاد تنفلت ، أو تحترق ... ومع نزول رواية إحسان عبد القدوس « أين عمرى » ، وفيلم مارلين مونرو « نهر بلا عودة » ، ارتفعت رائحة الشياط ... ونشرت الصحف إعلانا عن حبوب « أفرد تون » لتقوية الأعصاب ... لعل وعسى .

كانت ملكة مصر السابقة ناريمان قد حصلت على الطلاق بحكم من قاضى محكمة مصر الجديدة الشرعية قبل شهور ، رغم أنف الملك فاروق ، الذى أقسم أن تظل « معلقة » مثل « البيت الوقف » ، وقد اهتم الناس بهذه القضية ... لكن مع دخول الصيف ، فتر الحماس .

قبل شهور أيضا .. اعتصم بعض النساء فى نقابة الصحفيين ، وأضربن عن الطعام ، مطالبات بضرورة النص فى الدستور على حقوق المرأة السياسية .. واهتم

الناس بهذه القضية .. ثم سرعان ما ذاب الاهتمام تحت سياط الصيف الحارقة .

ما تبقى من « حواديت » الشتاء لم يكن يغرى بالدردشة فى سهرات الصيف .. ومن ثم .. كان لا بد من حادث على مستوى عالٍ من الإثارة ، يبدد الملل ، ويُذهب الذهن ، ويستهلك ساعات الليل .

... وقد كان !

صباح يوم الأربعاء ٢ يوليو .. بالتحديد فى الساعة العاشرة والربع ، تقدم شاب إلى صندوق خطابات البريد الجوى ، بمبنى البريد الرئيسى بمدينة الإسكندرية .. ووضع لفافة (طرد) صغيرة ، مغلفة بعناية ، ومرسلة إلى شخص ، يُدعى روبير طوغاى ، عنوانه صندوق بريد رقم ١٦١٤ ، القاهرة .. وقد كُتبت هذه البيانات بالحبر .. وبخط اليد .. وبالحروف الأفرنجية .

الشاب نحيف .. أنيق .. ملامحه غير مصرية .. يمشى بسرعة .. يتصرف بثقة .. ويقلد نجوم هليود فى كل شىء ، من تسريحة الشعر إلى موديل البنطلون .. ومن طريقة مضغ « اللبان » إلى لون الحذاء .. أما صندوق الخطابات ، فمصنوع من الحديد ــ الزهر ، ومصبوب على شكل زهرة اللوتس ، بارتفاع رجل متوسط القامة .

فى اللحظة نفسها ، تقدم إلى صندوق الطرود المجاور ، شابان فى نفس العمر ، ونفس الحجم ، ونفس الطراز ، وألقيا بلفافة مشابهة .. لكن مرسلة إلى شخص آخر ، يُدعى أ . بطرس ، عنوانه ١٢٦٠ شارع التوبج ، الإسكندرية .

بعد ساعتين و٤٥ دقيقة ، دق جرس التليفون فى مكتب الصاغ (رائد) ممدوح سالم ، الضابط بالمباحث العامة (مباحث أمن الدولة فيما بعد) بالإسكندرية .. وأُبلغ بحدوث حريق فى مبنى البريد .. وعندما وصل إلى مكان الحادث ، كانت سيارات الإطفاء قد سبقته .. وعرف من بعض الموظفين أنهم لاحظوا تصاعد دخان من بعض الصناديق ، فأبلغوا المطافىء .. وقال رئيس وردية « السفريات » إن النيران

التهمت ٢٥٠ خطابا .. وأنها حفرت فجوة فى صندوق خشبى تتجمع فيه الطرود قبل توزيعها .. وعُثر على علبة اسطوانية الشكل ، أُصيب موظف بحروق فى يده عندما أمسك بها .. والعلبة أصلا كانت لنوع من المنظفات الصناعية ، كان شائعا فى ذلك الوقت ، يُستخدم فى الحمامات ، اسمه « فيم » .. وعُثر على جراب نظارة يحمل اسم محل شهير فى الإسكندرية ، يملكه أجنبى (خواجة بلغة تلك الأيام) اسمه مارون أياك .. وعُثر على قطعتين من الورق ، أمكن منهما — بصعوبة — معرفة عنوانى الطردين .

بعد ساعة من المعاينة عاد الصاغ ممدوح سالم ، إلى مكتبه ، وهو يحمل هذه الأحراز ... ثم وضعها أمامه ، وراح يتأمل .

الصاغ ممدوح سالم ، هو نفسه اللواء ممدوح سالم ، وزير الداخلية فيما بعد ، الذى عينه الرئيس أنور السادات بعد الانقلاب الشهير الذى عُرف بحركة ١٥ مايو ١٩٧١ .. ثم رئيس الوزراء ، فى وقت مظاهرات « الطعام » أو مظاهرات « الجوع » التى عُرفت بانتفاضة ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧ .. ثم مساعد رئيس الجمهورية — من باب التكريم الرسمى — إلى أن توفاه الله .. وقد بدأ نجمه الأمنى يلمع بعد هذا الحادث (الذى سيفضح لنا الكثير بعد قليل) حيث أُختير لتأمين جمال عبد الناصر أثناء رحلته إلى مؤتمر باندونج ، بعد ذلك بشهور .

تحريات الصاغ ممدوح سالم ، أثبتت أن العنوانين لا وجود لهما .. وأن بقايا علبة « فيم » كانت مواداً كيماوية ، وقطعاً صغيرة من الفوسفور الأحمر .. أى أن الحريق نتج عن تفاعل كيميائى متعمد ... لكن .. لم تستطع التحريات أن تدل على السبب ، والهدف ، والجناة .. وكان واضحا أن هذا الأسلوب المتطور فى التخريب لم يمر على سلطات الأمن السياسى ، والجنائى من قبل .. ثم كان الحادث غامضا .. محيرا .. مثيرا للقلق .. ويحتاج إلى معجزة لمعرفة أبعاده .

رغم أن الحريق كان فى وضح النهار ، وفى مكان يمتلىء بالجمهور ، فإن الصحف لم تشر إليه ، وأبرزت بدلا منه جريمة مأمور ضرائب قتل عشيقته فى « بنسيون » بوسط القاهرة .. وكان التجاهل متعمدا ، وبتعليمات من الرقابة التى كانت قد عادت إلى الصحف ، بعد أن رُفعت فترة قليلة فى شهر مارس من العام نفسه .

ولأن رائحة التخريب السياسى ، اختلطت برائحة الدخان ، لم يكن من الصعب اتهام خصوم النظام بإشعال الحريق .. وهكذا حامت الشبهات حول الإخوان المسلمين ، والشيوعيين ... وبتعليمات صارمة ، واضحة ، من رجل الأمن القوى ، وزير الداخلية زكريا محيى الدين ، راحت قوات المباحث العامة تفتش عن الجناة فى هذا الاتجاه .

مساء يوم ١٤ يوليو .. بالتحديد فى تمام الساعة الثامنة ، دخل واحد من الشباب الثلاثة ومعه فتاة مكتبة المركز الثقافى الأمريكى (الاسم الرسمى — مكتبة وكالة الاستعلامات الأمريكية) فى الإسكندرية .. الفتاة حلوة .. مراهقة .. مرحة .. لا تخفى شقاوتها .. ولا تخجل من حرية الحركة التى منحتها لصدرها داخل « بلوزة » من القطن المطبوع .. والتفت الموجودون إلى الفتاة .. وهذا أمر طبيعى .. لكن .. لا أحد منهم التفت إلى جراب نظارة من الجلد ، كان الشاب يُمسك به فى يده .. ولا أحد منهم انتبه إلى أن الشاب تعمد أن يترك الجراب على رف من رفوف المكتبة الخشبية التى تدور مع الحائط .. بالتحديد الرف السفلى من الزاوية اليمنى الأمامية من قاعة المكتبة .. ولم يهتم أحد بأن الشاب والفتاة غادرا المكان بعد أقل من ١٠ دقائق ، وكأنهما كانا فى محل « آيس كريم » لا فى مكتبة ثقافية !

بعد ٤٥ دقيقة ، دق جرس التليفون فى مكتب ممدوح سالم .. وأُبلغ بأن المركز الأمريكى ، شبت فيه النيران .. وعندما وصل إلى مكان الحادث .. فى شارع فؤاد ، اتضح له أن النيران التهمت بعض الكتب ، والأرفف الخشبية .. وفى اليوم التالى ، قُدرت الخسائر بحوالى ٥٠٠ جنيه .. وهو مبلغ كبير ، فى وقت كان فيه سعر الكتاب ١٠ قروش .. وأحيانا ٣ قروش .

فى بقايا الحريق ، عُثر على جراب النظارة اللعين ، الذى اتضح أنه من نفس محل مارون أياك .. وأحس ممدوح سالم أن ذلك الجراب يطارده ويخرج له لسانه .. وهمس إلى زميله الصاغ السيد فهمى (وزير الداخلية فيما بعد أثناء مظاهرات ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧) بأنه « لا بد وأن هناك من يسخر منهم باستخدامه قنابل الجراب الحارقة »

.. ومع رجل مثل ممدوح سالم ، لا يقبل المزاح ، ولا يتكلم كثيرا ، بدا أنه يقصد ما يقول !

برغم أن مكان الحريق كان بعيدا عن أسلاك الكهرباء ، فإن البيان الرسمى — الذى صدر عن الحادث — ادعى أن سبب الحريق « ماس كهربائى ، نتج عن تلامس خطأ فى الأسلاك » !

وفى الليلة نفسها .. وفى الوقت نفسه تقريبا .. لكن .. فى القاهرة ، شاهد ضابطان من شرطة الحراسات ألسنة اللهب تندلع من مكتبة المركز الثقافى الأمريكى .. وبعد إخماد الحريق .. عُثر على جرابين هذه المرة ، يحتويان على مواد قابلة للاشتعال ، من المواد نفسها التى استُخدمت فى حريق مكتب البريد .

أصبح مؤكدا الآن أن الحرائق الثلاث ، حرائق سياسية .. لا مفر .. وأنها بفعل منظمة سرية واحدة .. ولها عقل ، وتعرف قيمة العلم ، وقادرة على استخدامه ، كما أن لها أذرعا عديدة ، بحيث يمكن أن تنفذ أكثر من عملية ، فى أكثر من مدينة ، فى وقت واحد ... لكن .. غير مؤكد حتى الآن : ماذا تريد هذه المنظمة ؟! .. ماذا تقصد بالضبط ؟! .

حسب نظرية .. فتش عن المستفيد من الجريمة ، تضاعفت الشبهات حول الإخوان المسلمين والشيوعيين .. فهم ضد جمال عبد الناصر .. وهم يتهمونه بأنه عميل للمخابرات المركزية الأمريكية .. وهم يتهمونه بأنه ضابط فاشستى ، صنعه الغرب ، وساعده لكى يحقق مصالحه فى الشرق الأوسط .. ومن ناحية أخرى فإن الانفجارات والحرائق ، حدثت فى منشآت أمريكية .. ومن ناحية ثالثة فإن تحالفا — يندر حدوثه — قد تم بالفعل بين جناح من الإخوان المسلمين ، يقوده سيد قطب ، والحزب الشيوعى المصرى الذى يرأسه د . فؤاد مرسى .

كل الدلائل تشير إلى الإخوان والشيوعيين .. وكل التمنيات أيضا .. والقضية جاهزة .. ومناسبة .. والمطلوب فقط القبض على الجناة ..

لكن ...

بعد أسبوع واحد .. أسبوع واحد فقط ، سقطت التهمة عن الإخوان والشيوعيين ، قبل أن تلبسهم .. وكان ذلك بمعجزة من السماء .. بضربة حظ ، صنعتها الصدفة الحسنة .

فى الساعة السابعة من مساء يوم ٢٣ يوليو (الذكرى الثانية للثورة) كان اليوزباشي (نقيب) حسن زكى المناوى ، معاون مباحث قسم العطارين بالإسكندرية ، يمر فى أثناء خدمته ، مرورا عابرا ، فى شارع فؤاد (حيث المركز الأمريكى ، ودار سينما ريو) ليتفقد المخبرين السريين المنثورين فى الشارع ، وسط التجمعات ، عندما سمع صوت فرقعة ، أعقبها استغاثة ، صادرة من مدخل السينما .. التفت الضابط .. وجد شابا يندفع من مدخل السينما إلى الشارع ، والنار تمسك ببنطلونه والناس تحاول إطفاءها ، والدخان يتصاعد من حوله ، ورائحته تعبىء المكان المزدحم .. لم يتردد الضابط فى التدخل لإنقاذ الشاب .. ألقى به على الأرض .. ثم ألقى بنفسه عليه .. وظل يلف جسده على الأرض حتى انطفأت النار تماما .

كانت الحروق فى جسد الشاب بسيطة .. وساعده الضابط ليقوم ، وينفض ملابسه ، ويعيد ترتيبها .. لكنه لاحظ أن جزءا من البنطلون عند الفخذ أكلته النار .. وقبل أن يثور الشك فى عقل الضابط ، قال الشاب بسرعة :

ـــ « لعنة الله على الكبريت ، لقد اشتعل فى جيبى من الحرارة » !

ورغم أن عيدان الثقاب لا تشتعل من حرارة الجسم ، حتى لو كان محموما ، فإن التبرير ، مع حسن النية ، أقنع معاون المباحث .. على أن الاقتناع لم يدم طويلا ، فقد لاحظ الضابط أن الشاب يحمل فى يده جراب نظارة به آثار احتراق .. وارتبك الشاب .. وسقط الجراب على الأرض ، وتناثر منه مسحوق أسود اللون ، أشبه بالفحم المصحون ، فأمر الضابط جندى الحراسة المعين للسينما (حسن عوض) أن يلتقط الجراب ، وعندما هم الجندى ، ومد يده ، حاول الشاب الفرار من بين الزحام .

أمسك به الضابط .. وسأله فى ريبة :

ـــ إلى أين ؟
ـــ سأذهب إلى البيت لأسعف نفسى .
ـــ حالتك خطيرة ولا بد أن تذهب إلى المستشفى
ـــ لا .. لا .. الأمر لا يستحق .
ـــ بل ... يستحق .

فى الطريق إلى المستشفى « الأميرى » ، تذكر الضابط سلسلة الحرائق التى حدثت مؤخرا ، وتذكر أنه قد سأل رئيسه عنها ، فرد عليه بأنها « لعب عيال » .. فلماذا لا يكون هذا الشاب من هؤلاء « العيال » .. ثم إن الحرائق السابقة ، حدثت فى منشآت أجنبية ، والتعليمات الأخيرة ، تقضى بتشديد الحراسات على هذه المنشآت ، التى منها سينما « ريو » المملوكة لشركة بريطانية وإن كانت لا تعرض سوى أفلام أمريكية .. ثم .. قبل ذلك وبعده .. الاحتياط واجب .. ولا بد من محضر فى القسم يعفيه من أى مسئولية .

فى المستشفى « الأميرى » لاحظ الأطباء أن جسم الشاب ، ملطخ بمسحوق لامع يشبه مسحوق الألومنيوم ، وأن فى جراب النظارة مسحوقا مشابها .. وعرف الضابط أن الحريق سببه تفاعل كيميائى حدث مبكرا .. ودون أن يكتمل .. وعندما قاد الشاب إلى قسم البوليس ، كان قد تيقن من أنه وضع يده على صيد ثمين .

بتفتيش الشاب ، وُجد فى جيوبه مبلغ ٣٩٥ قرشا .. سلسلة مفاتيح .. بطاقة اشتراك فى نادى التجديف بالإسكندرية ، عليها اسمه ، وصورته ، وعنوانه .. تذكرة دخول حفل « السواريه » فى سينما ريو .. شريط لاصق ... وقنبلة حارقة أخرى عليها اسم « مارون إياك » ... ومع فانلة الشاب ، وبنطلونه ، أصبحت هذه الأشياء أحرازا .

كالصقور الجائعة التى وجدت أخيرا فريسة شهية ، انقض مفتش المباحث العامة بالإسكندرية البكباشى (مقدم) محمد سمير درويش ، ومساعدوه على الشاب التعس ... وفى أقل من ساعة كان المتهم قد قال الكثير .

اسمه فيليب هرمان ناتانسون .. يهودى .. عمره ٢١ سنة .. يعمل فى مكتب سمسار يهودى فى بورصة القطن (بورصة ميناء البصل) .. أشارت الأوراق الرسمية المصرية أنه غير محدد الجنسية .. وغير معروف الأصل .. لكن .. الكتب الإسرائيلية التى صدرت فيما بعد عن القضية ، ادعت أنه من أبوين يهوديين ، ثريين ، من النمسا .. قدما من فيينا ، واستقرا فى الإسكندرية .. والمؤكد أنه ولد فى مصر .. وتعلم فى مدارسها .. وأنه يعيش مع والديه فى بيت له حديقة (فيلا) ، فى حى « بولكى » الهادىء .. وأنه يهوى التصوير ، ويقوم بالتحميض والطبع فى غرفة خاصة ، مستقلة ، فى الحديقة .. وأنه عضو فى منظمة للشبيبة الصهيونية فى مصر .. ثم لم يلبث أن اعترف بأنه عضو فى منظمة إرهابية ، هى المسئولة عن الحرائق التى وقعت .

داهمت قوات الأمن بيت فيليب ناتانسون .. لم يكن فيه أحد غير كلبين ، كبيرين ، اعترضا طريق القوة .. وفيما بعد سأل رئيس المحكمة التى نظرت القضية ، الجندى حسن عوض ، الذى اشترك فى عملية الاقتحام :

ــ يعنى الكلبين كانوا معترضين على التفتيش ؟

فرد الشاهد :

ــ لا .. هيه الكلاب بتتكلم !

ولأن الجندى ــ الشاهد ، كان يلقى أجوبته بسرعة وكأنه يلقى « محفوظات » ، فقد قال له رئيس المحكمة :

« رد على مهلك شوية ، ما تبقاش زى واحد واخد شربة وبينزل الكلام » .

من شهادة الجندى ، وشهادات غيره ، نعرف أن المقتحمين ، عثروا على معمل تصوير فى غرفة الحديقة .. ومصنع صغير للمفرقعات .. ومواد كيميائية سريعة الاشتعال .. وقنابل حارقة جاهزة للاستعمال .. وأفلام فوتوغرافية تتضمن صور أوراق ، تشرح طريقة خلط القنابل .. وصور فوتوغرافية مطبوعة ، يظهر فيها مع شابين آخرين فى نفس عمره ، وكتب على ظهرها : « فيكتور ــ روبير ــ فيليب ، أصدقاء إلى الأبد » .

كانت الأم فى زيارة ، عندما دخلت الشرطة البيت بالقوة .. وعندما عادت ، كان هناك من ينتظرها على الباب ، ويدعوها إلى مديرية الأمن (كان اسمها المحافظة) بهدوء .. وأمام المحقق ، قالت مارجريت ناتانسون :

« إن ابنها كان يتخذ غرفة الحديقة ليجتمع بصديقيه فيكتور ليفى ، وروبير نسيم داسا ، وأنهم كانوا يقومون بسحق ، ودق مساحيق فى تلك الغرفة ، بدعوى أنهم يعدون طلاء » !

حدث الشىء نفسه مع الأب هرمان ناتانسون ، الذى أكد ما قالته زوجته !

كانت الأم منهارة ... ومع دموعها ، وصراخها ، لم تتردد فى أن تقول للمحقق : « الله يخرب بيت إسرائيل » .

أما الأب ، فكان أكثر صلابة ... وأصر على أن يسجل فى محضر رسمى ، أنه يرفض ، ويشجب ، ويستنكر أى عمل يوجه إلى مصر .. البلد الذى لم يلفظه كيهودى .. ولم يعامله معاملة المنبوذين .. ولم يشعر فيه بالغربة ولا بالإهانة .. ولا بأنه يهودى .. فالناس من حوله لا يقولون له : « يا ... يهودى » وإنما يقولون : « يا ... خواجة » .

أغرب ما ضبط فى بيت فيليب ناتانسون ، تقارير خاصة بمنجم ذهب (!!) ... وفيما بعد سُئل عن قصة هذا المنجم .. فقال :

« قبل الحرب العالمية ، كان يسكن بالقرب من بيتنا شخص فى الستين من عمره ، إيطالى الجنسية ، يعمل فى منجم « بالقصير » ، يعتقد أن به ذهبا .. فى أثناء الحرب ، اعتُقِل .. وبعدها أُفرج عنه .. وكان أن أراد أن يعاود العمل فى المنجم لاكتشاف الذهب .. لكنه لم يجد المال الكافى الذى يساعده على ذلك .. فعرض الأمر عَلَيّ ، لكى أجد له مُولا ، وأعطانى التقارير والخرائط التى أعدها عن خطوات سير العمل فى المنجم ، فعرضت المشروع على سمسار البورصة ، الذى كنت أعمل عنده ليساهم بماله ، ويمول المشروع .. والتقطت صورة لهذه الأوراق ، واحتفظت بها ، وسلمت الأصل للسمسار » !

وبينما فيليب ناتانسون يُدلى باعترافه ، كان البكباشى صلاح لبيب ، مفتش المفرقعات بالمنطقة الشمالية العسكرية (الإسكندرية ومرسى مطروح) ورجاله يفحصون ، ويحللون القنابل الحارقة .. وفيما بعد يمكن أن نقرأ فى تقريرهم : أن أغلفة النظارات التى تحمل اسم محل مارون إياك ، حُشيت بمواد تبين أنها كلورات البوتاسيوم ، وأكسيد الحديد ، وزنك معدنى ، وكبريت ، ومسحوق معدن الألومنيوم ... وتبين أن هناك أنبوبة مطاطية صغيرة موجودة فى كل جراب .. وأن الأنبوبة مملوءة بحامض كبريتيك مركز .. فإذا ما أذاب الحامض المطاط ، اختلط بالمواد الأخرى ، وتفاعل معها ، فيحدث الحريق .. وحسب سمك أنبوبة المطاط تكون مدة الأمان بالنسبة للقنبلة .. فكلما رق المطاط ، كان التفاعل أسرع .. وفترة الأمان أقل .. والعكس بالطبع صحيح .

وخلص التقرير إلى أن هذه المواد تكوّن قنابل حارقة ، صُنعت محليا بقصد إحداث حرائق !

وفى الوقت نفسه كان قد وصل إلى جهات التحقيق ، تقرير آخر من الدكتور محمد زكى الدالى ، رئيس شعبة الهندسة الكهربائية ــ بجامعة الإسكندرية ، يؤكد أن « حُدوث حريق مكتب الاستعلامات الأمريكى من التماس الأسلاك الكهربائية أمر بعيد الحدوث » !

وبينما فيليب ناتانسون يواصل اعترافه ، كان رجال الأمن ، يفتشون عن صديقيه ، وشريكيه : فيكتور ليفى ، وروبير داسا .. لقد قال فيليب ناتانسون عنهما ما يسهل القبض عليهما .. وقال إن عملية سينما ريو ليست سوى عملية واحدة من عمليات عديدة لا بد أن تحدث خلال ساعات أو أيام فى منشآت أخرى فى القاهرة والإسكندرية .. وكان أن صدرت التعليمات إلى دور السينما ، والمسارح ، والشركات الأجنبية ، بالتفتيش عن أقلام ، ولاعات ، علب سجائر ، أغلفة نظارات يمكن أن تكون ملقاة على الأرضية .

كان فيكتور ليفى فى بيته الذى يعيش فيه بمفرده عندما قبض عليه .. لم يقاوم .. وكأنه كان يجلس فى انتظار الشرطة .. وكان ذلك مثيرا للدهشة .. فقد كان فيكتور ليفى يعرف أن فيليب ناتانسون قُبض عليه .. ومع ذلك بقى فى بيته إلى أن قُبض عليه .. لقد كان ليفى مع ناتانسون فى مدخل سينما ريو ، عندما اشتعلت النيران فى بنطلونه ... وكانت الخطة أن يضع ناتانسون قنبلة فى سينما ريو ، ويضع هو قنبلة فى سينما أمير .. لكن .. عندما حدث ما حدث لصديقه ، لم يشأ أن يتدخل ، فيتورط ، وتابع الموقف من بعيد — ودون أن يثير الشك — وسط الجمهور الذى تجمع كالعادة .. وأغلب الظن أنه اعتقد أن ناتانسون لم يُكشف ، وأنه ذهب مع الضابط للعلاج لا للاعتراف ، وأنه سيذهب إلى المستشفى ، ومنها إلى بيته .. أو أنه تصور أن زميله أقوى من أن يعترف عليه إذا ما تعرض للضغط .

وفيكتور موين ليفى .. يهودى .. مصرى المولد والجنسية .. عمره ٢١ سنة .. ملامحه شرقية .. الشعر مجعد نوعا ما .. الجبهة بارزة ، عريضة .. الأنف فطساء نوعا ما .. يهوى الغناء .. تعلمه من الراديو .. لايغنى — على حد قوله — « ياليل ياعين ، بل أغانى فرنسية فيها جمال وفيها شاعرية » .. درس فى مدارس اليهود .. ثم أصبح مهندسا زراعيا .. كان صديق فيليب ناتانسون من أيام المدرسة .. وكان فى ساعات الراحة وأيام الإجازة لا يفارقه .. وفى التحقيق حاول إيهام الجميع بأنه شيوعى ، يقوم بدور الوسيط بين خلايا يسارية تحت الأرض فى القاهرة ، والإسكندرية .. وقد التقط المحققون هذا الخيط (لا أقول الطعم) بشغف .. لكن .. بعد مجهود مضنٍ اكتشفوا أنهم أمام طريق مسدود ... فليست هكذا تكون التنظيمات اليسارية .

لم يكن لفيكتور ليفى ، ولا لروبير داسا ، ملفات فى المباحث العامة .. ولم يسجل عليهما القيام بأى نشاط صهيونى ، كما جاء فى البيانات الرسمية التى نشرتها الصحف فيما بعد ... أما فيليب ناتانسون — الذى لم يُعرف كصهيونى أيضا — فقد كان مسجلا « كشيوعى سابق » فى قوائم الأمن السياسى .

فى الوقت الذى قُبض فيه على فيليب ناتانسون ، كان روبير داسا فى القاهرة لتنفيذ مهام أخرى ومشابهة هناك .. سافر داسا إلى القاهرة صباح يوم ٢٣ يوليو ، وبقى فيها ليلتين ، باتهما فى فندق متواضع اسمه « دى روز » .. أو « الزهرة » .

خلال هذه الفترة وضع قنبلة حارقة فى حقيبة ، ووضع الحقيبة فى مخزن أمانات محطة سكك حديد القاهرة .. وبعد ٣ أيام تصاعد الدخان الكثيف من الحقيبة ، ثم تحول الدخان إلى لهب ، سرعان ما امتد إلى الأرفف الخشبية ، والحقائب الأخرى .

وفيما بعد ... قال صلاح الشماع ــ المخزنجى بأمانات المحطة :

ــ إن الذى أحضر الحقيبة شخص اسمه أميل ، وكان ذلك فى الساعة السادسة من مساء يوم ٢٣ يوليو ، وهو موعد القطار القادم من الإسكندرية .

وقال زميله طلعت حسين :

ــ لقد شاهدت النار مشتعلة فى الحقيبة ، وكانت موضوعة فوق رف فى مخزن الامانات ، وبعد إطفاء الحريق ، فتحت الحقيبة ، ووجدنا بها زوج أحذية ، وجوربا ، وعلبتي نظارة بهما مساحيق .

وخلال الفترة نفسها ، وضع داسا قنبلة أخرى فى سينما راديو ، أُكتُشفت بعد التفتيش على كل دور السينما الذى جرى بعد حادث سينما ريو .. عثر على القنبلة قبل أن تنفجر ضابط شرطة سيء الحظ ، فعندما وجدها تحت أحد المقاعد ، حملها إلى شباك التذاكر ، وهناك اشتعلت بين يديه .

وأسفر التفتيش أيضا عن وجود قنبلة مشابهة فى سينما ريفولى ، عثر عليها فَرّاشُها محمد أحمد مساء يوم ٢٥ يوليو ، تحت مقعد من مقاعد الصالة ، وكانت عبارة عن علبة نظارة جلدية ، أُحكم على فوهتها غطاء من القماش ، أخذها ليلقى بها فى سلة المهملات ، ثم عرف سرها بعد ذلك ، وأمكن إبطال مفعولها .

لم يكن داسا يعرف بنبأ القبض على ناتانسون .. ولا أن أوصافه موزعة على كل رجال المباحث فى مصر .. لذلك ، فقد استقل ــ باطمئنان ــ الأتوبيس إلى

الإسكندرية .. وفى ساعة متأخرة من الليل عاد إلى بيته وهو يصفر .. وعندما دخل شقته « فى شارع سنان باشا » وأضاء النور ، امتدت أيد قوية ، تقبض عليه ، وتضع بسرعة الحديد فى يديه ، وعندما أفاق من الذهول المفاجىء الذى أصابه ، وجد نفسه وسط ضباط المباحث ، وكل مكان فى جسمه موجه إليه فوهة مسدس .

قُبض على الأصدقاء الثلاثة الذين تعهدوا بالوفاء « إلى الأبد » .

لم يكن من الصعب أن يعترفوا بما ارتكبوه .

وكان اعترافهم على النحو التالى :

١ ـ **عملية مبنى بريد الإسكندرية** : ناتانسون وليفى وداسا .

٢ ـ **عملية المركز الأمريكي بالإسكندرية** : داسا .

٣ ـ **عملية المركز الأمريكى بالقاهرة** : ناتانسون وليفى .

٤ ـ **عملية سينما ريو** : ناتانسون .

٥ ـ **عملية سينما أمير** : ليفى .

٦ ـ **عملية محطة سكك حديد القاهرة** : داسا .

٧ ـ **عملية سينما راديو ، وسينما ريفولى بالقاهرة** : داسا .

وداسا صاحب النصيب الأكبر ، هو روبير نسيم داسا .. يهودى أيضا .. مصرى المولد وعمره ٢١ سنة كذلك .. ولد فى الإسكندرية سنة ١٩٣٢ .. الأب يهودى من أصل يمنى ، هاجرت أسرته إلى فلسطين ، وجاء هو إلى مصر .. ويعمل فى التجارة .. والأم من مواليد مدينة القدس ، جاءت مع أسرتها إلى الإسكندرية بعد الحرب العالمية الأولى ، وشاركت زوجها فى تجارته التى لا تزيد على محل صغير ، للسجائر والحلوى والخردوات .

وروبير داسا هو الابن الثالث بين خمسة أبناء .. نحيف الجسم .. طويل الوجه .. أسود الشعر .. يزحف الصلع على رأسه من مقدمتها .. عيناه ضيقتان .. شفتاه رفيعتان .. يفرح بسرعة ويحزن بسرعة .. درس فى المدرسة اليهودية بالإسكندرية .. وحفظ التوراة مثل أقرانه .. وتحمس بفعل معلميه لقرب قيام « وطن قومى لليهود »

.. فأصبح عضوا نشطا فى إحدى جمعيات الشبيبة الصهيونية بعد الحرب العالمية الثانية .. وكان مسموحا بنشاط مثل هذه الجمعيات فى ذلك الوقت .. لكن بعد حرب فلسطين فى سنة ١٩٤٨ ، أصبح هذا النشاط ممنوعا ، وكان أن نزل أصحابه إلى تحت الأرض .. وفى سنة ١٩٤٨ أيضا ، قُبض على داسا — فى جملة اشتباه قام بها البوليس المصرى بسبب الحرب — لكن بعد أيام قليلة أُطلق سراحه .. وهو يعمل فى شركة تجارية يملكها يهودى مصرى .. ووظيفته فيها هى كتابة المراسلات باللغة العربية .

أمام سلطات التحقيق أصر الأصدقاء الثلاثة على أنهم أشعلوا هذه الحرائق من أجل عيون مصر ، وحبا فى المصريين .. فقد فعلوا ما فعلوا مساهمة منهم فى القضية الوطنية ، و « حتى يتبين الإنجليز والأمريكان أن المصريين غير راضين عن وجودهم ، وأنهم ينوون إخراجهم بالقوة والإرهاب » .

لذلك ... فقد اختاروا حرق منشآت مبان ودور سينما أمريكية وبريطانية .

قال المحقق ساخرا :

— حسنا .. ولماذا أحرقتم مبنى البوستة ومخزن أمانات المحطة ، وهما ملك للمصريين ... هل لتخرجوهم من بلادهم بالقوة والإرهاب أيضا ؟! .

ارتبكوا .. تلعثموا ... ثم خرسوا .. فكان أن أمر لهم المحقق بماء مثلج !

أمام سلطات التحقيق أيضا أصر الثلاثة على أنهم وحدهم الذين فكروا ، ودبروا ، وخططوا ، ومولوا ... وأحرقوا .. وعلى أنهم بلا شركاء .. وبلا محرضين ... وكان أن بدا المحققون على وشك الاقتناع بذلك .. وبأن المسألة فعلا « لعب عيال » ... وكاد المحضر أن يُغلق على هذا فى ساعة تاريخه .

□ ٢ □

شرائــح الميكروفيــلم !

على انفراد ، سُئل فيكتور ليفى :

س : لماذا لم تنفذ عملية سينما « أمير » ، بعد أن فشلت عملية سينما « ريو » ؟! .

جـ : وجدت أن من الأفضل تأجيلها !

س : ماذا فعلت بالقنبلة الحارقةالتى كانت معك ؟

جـ : رميتها فى البحر .

س : هل تقسم على التوراة أن ليس لك شركاءُ غير فيليب ناتانسون ، وروبير داسا ؟

جـ : نعم أقسم على ذلك !

طلب المحقق إحضار نسخة من التوراة ليقسم عليها فيكتور ليفى .. الذى أحس بأن الفرج قد جاء عندما قالوا له « احلف » ، وأن المأزق الذى يوجد فيه على وشك أن يخرج منه بمجرد أن يلمس أول نسخة ممكنة من « العهد القديم » ... ولأن لا أحد فى مديرية الأمن توقع هذا الطلب ، فقد بدا الأمر فى حاجة إلى بعض الوقت .

وفى ذلك الوقت ، وُضع على مكتب المحقق أمين أبو العلا (وكيل نيابة الإسكندرية العسكرية) تقرير من خبراء المعمل الجنائى عن محتوى شرائح — ميكروفيلم ، عُثر عليها فى بيت فيليب ناتانسون عند تفتيشه للمرة الثانية ، خلف « برواز » زجاجى معلق على الحائط .. إن هذا التقرير لم يكن الأول من نوعه .. وإنما الثانى .. فإمكانيات المعمل الجنائى كانت ضعيفة ، وخبرات العاملين فيه كانت دون المستوى .. لذلك ، لم يكن فى التقرير الأول ـ الذى قُدم على عجل — الكثير ... الأمر الذى أقنع سلطات التحقيق بأن المسألة كلها « لعب عيال » .. لكن .. التقرير الثانى ـــ الملحق ، الذى استغرق إعداده بعض الوقت ، قلب هذا

التصور رأسا على عقب ، وأكد أن المسألة « لعب كبار » !

تضمن التقرير تحليلا دقيقا لشرائح الميكروفيلم ، التى ثبت ـــ فيما بعد ـــ أنها دخلت مصر واحدة بعد الأخرى ، تحت طوابع بريد ، لُصقت على ظهور بطاقات سياحية (كارت بوستال) أُرسلت من باريس .. كانت على شريحة ثلث مقاس شريحة الفيلم الفوتوغرافى المعتاد ، الذى نستعمله الآن .. وكان ذلك أعجوبة بكل مقاييس ما بعد الحرب العالمية الثانية .. لذلك كان اختراع الميكروفيلم قاصرا على أجهزة المخابرات ، وشبكات التجسس .. وكان وجوده مع شخص ما يكفى لإدانته كجاسوس .

فى ذلك الوقت كان جهاز المخابرات العامة تحت الإنشاء .. وكان يُسمى ـــ على حد تعبير زكريا محيى الدين ـــ بالمخابرات « السرية » .. وزكريا محيى الدين هو الذى تولى مسئولية تكوينها .. وساعده بعض الضباط ، أصبحوا فيما بعد وزراء وسفراء مثل شعراوى جمعة ، وحسن بلبل ، وعبد المنعم النجار ، وعلى صبرى .. وقد قدم الأمريكيون دراسات وتقارير عن تنظيم المخابرات ، فى محاولة منهم لأن تكون المخابرات المصرية على نمط المخابرات المركزية .

وكانت مسئولية مكافحة التجسس موزعة بين المخابرات الحربية ، والمباحث العامة .. والمخابرات الحربية ، كانت حتى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، إدارة صغيرة ، محدودة العدد من الضباط .. حوالى ١٥ ضابطا .. ولم تكن لهم القدرة على الإحاطة بأنواع النشاط السرى داخل الجيش كافة .. أما المباحث العامة فهى الاسم الجديد لما عُرف من قبل بالبوليس السياسى ، أو القلم المخصوص ، وقد تولى جمال عبد الناصر وجمال سالم مهمة تطويرها ، وعين الأميرالاى (العميد) رأفت النحاس مديرا لها .. وحتى ذلك الوقت كانت المباحث العامة أقوى أجهزة الأمن فى مصر .. وكان صيد الجواسيس من مهام عملها .. لكن ذلك لم يكن يشغلها عن مهمتها الكبرى و (المقدسة) .. متابعة القوى السياسية الداخلية .. لذلك ، لم تكن المباحث العامة تعرف كيف تتعقب الجواسيس ، ولا كانت تملك الأدوات والخبرات التى تمكنها من ذلك .

ثم إن المخابرات البريطانية كانت تقوم بهذا النشاط فى مصر حتى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .. حتى سنتين فقط .. وهى مدة لا تكفى لخلق جهاز أمن كفء ، قادر على اصطياد الجواسيس ، والتعامل معهم .. ومجاراتهم فى تكنولوجيا التخابر التى تطورت بجنون بعد اشتعال الحرب الباردة .

بصعوبة شديدة ، وأجهزة بدائية ، كُبّرت شرائح الميكروفيلم .. وبصعوبة أشد وإمكانيات أضعف ، اتضح أن الشرائح المضبوطة (٧ شرائح) تحتوى على سبع وثائق ، خطيرة ، تشرح :

١ ــ تركيب القنابل الحارقة .
٢ ــ استعمال القنابل الحارقة .
٣ ــ شفرة اللاسلكى .
٤ ــ إرسال اللاسلكى .
٥ ــ كيفية الاتصال بالآخرين .
٦ ــ دائرة إرسال اللاسلكى .
٧ ــ أسلوب إرسال الخطابات ، والتقارير إلى عنوان فى باريس ، اتضح فيما بعد أنه عنوان محل للآلات الكاتبة فى الشانزليزيه ، يملكه يهودى ، فرنسى .

وبمراجعة أكثر دقة للأوراق التى ضُبطت ، لوحظ فى خطاب مرسل من باريس عبارة تقول :

« كيف حال الشقة » .

وكان هذا يعنى وجود مكان آخر .. هو مقر المنظمة .. ويعنى أن منظمة لها مقر لا بد أن يكون عدد أفرادها أكثر من ثلاثة .

وورد فى الخطاب اسم شخص يُدعى « بول » .. فقط « بول » .. وهذا يعنى وجود شخص رابع على الأقل .. حتى لو كان « بول » اسما حركيا .. وهو ما اتضح فعلا فيما بعد ..

ثروة من المعلومات ، هبطت على المحققين ، وغيرت مجرى القضية تماما ، وجعلت

السلطات كافة تتأكد من وجود عدد آخر من أعضاء الشبكة طلقاء ، وأجهزة لاسلكى ، وشفرة ، وأوكار ، لم توضع الأيدى عليها بعد .. ولأن الوقت — فى مثل هذه القضايا — كالسيف (إن لم تقطعه ، قطعك) فقد سيطر التوتر على الجميع .. من الوزير إلى الخفير .

جاء التقرير ، والميكروفيلم إلى أمين أبو العلا ، قبل أن تأتى نسخة التوراة التى طلبها .. كان فيكتور ليفى يجلس أمامه يقرض أظافره بأسنانه .. وبدا فى حالة أشبه بحالة التوتر التى يشعر بها السجين قبل إطلاق سراحه .. مد وكيل النيابة يده إلى التقرير .. قرأه .. تسمرت عيناه .. عاد بظهره إلى الوراء .. ابتسم ابتسامة عريضة ذات مغزى .. ابتسامة من وضع يده على كنز بعد طول شقاء .. وتعمد رفع شرائح الميكروفيلم فى الضوء ، وكأنه يتفرج عليها .. وكان فى الحقيقة يفرجها للجاسوس الشاب .

وضع المحقق الفيلم على المكتب ، وتشاغل بمكالمة تليفونية ، هناك شك فى أنها كانت مكالمة حقيقية .. وأغلب الظن أنها كانت محاولة متعمدة لتحطيم ما تبقى من أعصاب فيكتور ليفى .. لكن .. ما حدث بعد دقائق هو أن أعصاب المحقق هى التى تحطمت ... فعندما أنهى المكالمة ، والتفت إلى المتهم ، كان الميكروفيلم قد اختفى .

لا بد أن الدنيا دارت به .. ولا بد أن الابتسامة العريضة أصبحت ابتسامة صفراء .. ثم سرعان ما ماتت مع باقى ملامح الوجه ...ولا بد أنه انفعل ، وقفز من وراء المكتب وأمسك بخناق فيكتور ليفى .. ولا بد أنه استدعى كل من كان فى مديرية الأمن ... لا بد أن ذلك كله قد حدث .. وأكثر .. فمفتاح الصندوق ضاع قبل العثور على الصندوق ، وقبل أن يعرف شكله ومكانه وما بداخله !

حسب الرواية الرسمية ، انقلب المكتب رأسا على عقب ، بحثا عن الميكروفيلم المفقود .. وأصيب كل من فى المكان بهستيريا .. فما حدث « شغل عفاريت » ، كما قال أحد ضباط المباحث .. فهل ابتلعه فيكتور ليفى فى ثوان ؟

كان فيكتور ليفى — رغم الحر — فى منتهى البرود .. وكان — رغم التوتر — فى منتهى البراءة .. وفى عينيه نظرة لا تخلو من الفرح والشماتة والقلق .. وبتفتيشه لم يُعثر على شيء .. وبسؤاله أنكر أنه رآه ، وأقسم أنه لم يبتلعه .. وكادَ المحقق يأمر له بكوب من شربة « الملح الإنجليزى » لغسل جهازه الهضمى .. لكنه تراجع .. فما الفائدة ؟ .. فلو كان قد ألقى بالميكروفيلم فى جوفه ، فلا أمل فى استعادته كما كان !

فى هذه الأثناء ، جاءت التفاتة من أحد الضباط إلى بنطلون فيكتور ليفى ، فأحس بغريزته بما جعله يمد يده إلى ثنيته .. وعندما رفع الضابط أصابعه ، كان بينها الميكروفيلم المفقود .. سليما .

..

لم يكن من الصعب بعد ذلك أن يفتح الجاسوس اليهودى عقله ، وقلبه ، ويحل عقدة لسانه .. وكان أن اعترف — لأول مرة — أنه بالفعل جاسوس ..

س : أين مقر الشبكة فى الإسكندرية ؟

جـ : فى شارع المستشفى الأميرى بمحطة الرمل !

س : من استأجر هذه الشقة ؟

جـ : أنا !

س : لكنك لا تقيم فيها !

جـ : نعم ..

طلب المحقق تحريات عن الشقة ، وقفز مع فيكتور ليفى ، وبعض ضباط المباحث العامة ، فى سيارة ، وبعد دقائق كانوا فى داخل الشقة .. وراح فيكتور ليفى يفتش فى الغرفة الكبرى من الشقة عن جهاز لاسلكى على شكل حقيبة ، أكد أنها كانت فى الغرفة قبل القبض عليه مباشرة .. وقال : إن جهاز اللاسكى كان يدار بواسطة مفتاح الإضاءة .. وعندما أحس بأن ضباط المباحث لا يصدقونه ، أقسم أنه صادق ، لا يخدعهم ، ومن شدة انفعاله ، قال بغير انتباه : « لازم صمويل أخذه » ؟

س : ومن هو صمويل ؟

جـ : صمويل عازار !

فى الغرفة نفسها أرشد ليفى عن وجود جهاز لاسلكى آخر ، كان يخفيه داخل الخزانة الخشبية التى تتدلى منها ستارة الشرفة المعدنية .. والجهاز مؤلف من قطعتين .. ومتصل بإريال ، نصب فى الشقة فى وضع فنى ، يجعله مؤثرا ، فى دائرة تمتد شرقا إلى إسرائيل وغربا إلى ليبيا .

دلت التحريات إلى أن الشقة مؤجرة باسم صمويل عازار فعلا .. وكان ذلك يكفى لكى يقبع رجال المباحث فى الظلام داخل الشقة ، فى انتظار صاحبها .. وفى مساء يوم ٢٧ يوليو دخل صمويل عازار الشقة لآخر مرة .. وعندما خرج منها ، كان مقبوضا عليه ، ولا يعرف إلى أين المصير ؟! .

صمويل باخور عازار .. يهودى .. من مواليد الإسكندرية .. عمره ٢٤ سنة .. قريب الشبه من الممثل الراحل أنور وجدى .. يضع على عينيه نظارة طبية .. تخرج فى كلية الهندسة .. ادعى أنه كان يشترك أيام الجامعة فى الحركة الوطنية .. يهوى الرسم .. كان يوهم جيرانه بأن الشقة التى يعيش فيها ستديو يمارس فيه هواياته الفنية .. يقرأ فى كتب الطبيعة والجيولوجيا وعلم الحيوان .. وحياة الإنسان الأول ، المنقرض ، والعصور الحجرية الأولى .. وفيما بعد .. زاد شغفه بهذه الكتب ، وهو فى السجن ، وقد قال : « إننى أعيش مع الحيوان أكثر .. ومعنى هذا أننى أوثر قصص الحيوان على قصص الإنسان ، لا لشىء إلا لأن الإنسان قد يرمى بنفسه إلى المهالك مختارا أو مكرها ، بينما يترفق الحيوان بنفسه فلا يفعل ما يفعله الإنسان » .

والمعنى أنه نادم لأنه إنسان .. ولأنه ليس حيوانا .. فالحيوان لا يتجسس ، ولا يصنع القنابل الحارقة .. ولا يخون بلاده .. منتهى الواقعية ، والفلسفة أيضا .

سأل المحقق صمويل عازار :

س : هل عرفت أن هناك من قُبض عليه من زملائك ؟

جـ : نعم .. عرفت من فيكتور ليفى أن فيليب ناتانسون قُبض عليه !

س : ماذا فعلت بعد أن عرفت بأن فيليب ناتانسون قُبض عليه ؟

جـ : ذهبت إلى الشقة ، وأخذت الجهاز .. جهاز اللاسلكى ، ونقلته بعيدا .

س : هل تفهم فى تشغيل أجهزة اللاسلكى ؟

جـ : نعم .. لأننى مهندس .

من ملفات التحقيق نعرف أيضا أنه هو الذى جاء بالحامض المركز الذى استُخدم فى تركيب القنابل الحارقة ، والذى ضُبطت بقاياه مع روبير داسا لدى عودته إلى الإسكندرية .

وداخل كتاب فى علم الجيولوجيا ، كان فى بيت صمويل عازار ، عُثر على شريحة ميكرفيلم ، عليها تعليمات صادرة من إسرائيل ، تقول :

« تلقينا تقريركم الأخير . نرجو الاحتياط . توخوا الدقة البالغة فى تصرفاتكم . أين مكان المحطة اللاسلكية . ما قوة ذبذبتها . هل تقع فى منطقة فيها مصانع ، ويخشى أن تؤثر أصوات محركاتها على صوت المحطة . أم أن محطتكم الجديدة أُنشئت فى مكان هادىء » .

س : هل كان اختيار الشقة فى مكان هادىء أمرا مطلوبا ؟

جـ : نعم .

س : لماذا ؟

جـ : ما كانش مطلوب أن تكون الشقة فى منطقة مصانع ... علشان الدوشة !

داخل كتاب آخر ، فى حجم دليل التليفون ، ومجلد بجلدة مقواه ، حُفرت فجوة ، كان يرقد فيها جهاز لاسلكى صغير ، دقيق ، قادر على الإرسال ، والاستقبال معا .. قال عنه خبراء الأمن فى مصر : « إنه جهاز دقيق ورائع ، ولا يمكن أن يكون قد صُنع فى مصر » !

وداخل كتاب ثالث ، عُثر على ورقة عليها حروف وأرقام كودية ، وبفك رموزها ، اتضح أنها تتضمن أخطر برقية أُرسلت إلى الشبكة من داخل إسرائيل .. كانت البرقية تتضمن تعليمات .. وكانت التعليمات بمثابة برنامج عمل .. وحدد هذا البرنامج الهدف الرئيسى من وراء عمليات الحريق .

كان نص البرقية كالتالى :

أولا : العمل فورا على الحيلولة دون التوصل إلى اتفاقية مصرية ، بريطانية .

الأهداف :

١ ـــ المراكز الثقافية والإعلامية .

٢ ـــ المؤسسات الاقتصادية .

٣ ـــ سيارات الممثلين الدبلوماسيين البريطانيين وغيرهم من الرعايا الإنجليز .

٤ ـــ أى هدف يؤدى تدميره إلى توتر العلاقات الدبلوماسية بين مصر وبريطانيا .

ثانيا : أحيطونا علما بإمكانيات العمل فى منطقة القناة .

ثالثا : استمعوا إلينا فى الساعة السابعة من كل يوم على موجه طولها (جى) لتلقى التعليمات .

انتهى .

فيما بعد ...

اتضح أن الموجة (جى) موجة الإذاعة العبرية فى إسرائيل .. والساعة السابعة هى الساعة السابعة صباحا .. موعد البرنامج اليومى « ربات البيوت » .. ومن خلال هذا البرنامج كانت التعليمات « الطازجة » تصل إلى أفراد الشبكة فى مصر .. وعندما أذاع البرنامج « طريقة عمل الكيك الإنجليزى » ، كان هذا يعنى أن ساعة إشعال الحرائق قد حانت !

وحسب ما نشرته الباحثة الإيطالية الجنسية ، الفلسطينية المولد ، الأمريكية العمل « ليفيا روكاخ »[1] فى كتابها عن « الإرهاب الإسرائيلى المقدس » فإن الغرض الأساسى من هذه التعليمات ، كان طبقا للوثائق الإسرائيلية الرسمية :

---

(١) تخرجت ليفيا روكاخ فى معهد أمستردام الدولى ، وانضمت إلى معهد الدراسات السياسية فى واشنطن ، وقد أهدت كتابها إلى ضحايا الإرهاب الإسرائيلى ، وقد تُرجم الكتاب عن الإنجليزية إلى العربية ، تحت عنوان « قراءة فى يوميات موشى شاريت » ، ونشرته دار ابن خلدون ـــ بيروت .

« غرضنا تحطيم ثقة الغرب فى النظام المصرى الحالى .. عليكم القيام بعمليات تؤدى إلى اعتقالات ، ومظاهرات ، تعقبها أعمال انتقامية للتعبير عن الغضب والاحتجاج . كونوا حذرين ، حريصين ، بحيث لا تشير الأصابع بالاتهام إلى اليد الإسرائيلية ، أو يقال إننا خلف تلك الأعمال . فى الوقت نفسه علينا تحويل الأنظار نحو أية جهة يمكن اتهامها وتحميلها المسئولية » .

« إن هدفنا من هذا كله هو منع الغرب من تقديم المساعدات الاقتصادية أو العسكرية إلى مصر » .

« اختيار الأهداف المراد ضربها أمر يقرره المسئول عن التنفيذ .. لكن .. لا بد أن يتوخى الحذر الكامل وحساب النتائج .. بمعنى ضرورة خلق حالة من الاضطراب السياسى والفوضى العامة ، مهما كان الثمن » .

انتهى .

صدرت هذه التعليمات فى شهر يونيو ١٩٥٤ .. بالتحديد يوم ١٦ يونيو ١٩٥٤ .. فى وقت كانت فيه الظروف السياسية فى مصر ، تمر من عنق زجاج ضيق وحرج .. فجمال عبد الناصر ، خرج من أزمة مارس (التى توصف بأزمة الديمقراطية) قابضا على السلطة ، لكن بلا شعبية تقريبا .. ورغم أنه قال : « إنى لا أصلح دكتاتورا ، لا أصلح مطلقا ، لأنى ديمقراطى بطبعى ، ولأن الثورة ثورة ديمقراطية ولو انحرفت عن هذا الهدف لكتب الله لها الفشل »[٢] رغم أنه قال ذلك ، ونشر فإن الجراح التى خرج بها الكثيرون من أزمة مارس ، جعلت من الصعب تصديقه .. على الأقل فى هذا الوقت بالذات .

والقوى الوطنية التى ناصرته فى البداية (الإخوان وحركة حدتو الشيوعية) سرعان ما انقلبت عليه ، وتوحدت فصائل عديدة متنافرة منها ضده ، ونزلت تحت الأرض تحارب بالمنشورات .

---

(٢) حوار جمال عبد الناصر إلى فكرى أباظة — مجلة المصور .

والضباط الأحرار انقسموا على بعضهم البعض ، فأصبح جزء منهم فى السلطة ، وأصبح جزء آخر فى المعتقل .. وأبعد الجزء الثالث إلى خارج الجيش فى وظائف مدنية ، أو إلى خارج البلاد فى السلك الدبلوماسى .. وانتهى فعليا التنظيم الثورى الذى غير النظام فى مصر وأطاح نهائيا بحكم أسرة محمد على .

وفى ذلك الوقت أيضا ، كانت مفاوضات الجلاء قد شارفت على النهاية .. لقد بدأت هذه المفاوضات يوم الاثنين ٢٧ أبريل ١٩٥٣ برئاسة محمد نجيب عن الجانب المصرى ، والسير رالف ستيفنسون عن الجانب البريطانى .. لكن فى يوم الأربعاء ٦ مايو ١٩٥٣ ، قُطعت المفاوضات .. وكان السبب « مراوغة البريطانيين » على حد قول محمد نجيب .. وأمر جمال عبد الناصر باستئناف العمليات الفدائية ضد جيش الاحتلال فى منطقة قناة السويس .. واستؤنفت المفاوضات بعد ٩ شهور .. ورأس الجانب المصرى محمد نجيب ، أيضا ، لكنه سرعان ما انسحب ، وحل محله جمال عبد الناصر .. ورأس الجانب البريطانى وزير الدولة أنتونى ناتنج .. وكان واضحا أن الخلافات بين الجانبين تضيق ، خاصة بعد أن قبل المصريون بوجود ٨٠٠ فنى بريطانى فى مصر ، وبعد أن وافقوا على استخدام قاعدة السويس إذا ما تعرضت تركيا لاعتداء .

ولا جدال .. أن ذلك ـــ مع باقى الأحداث ـــ أضعف موقف جمال عبد الناصر ، وجعله فى موقف سيء وفى حالة نفسية وسياسية أسوأ نتيجة اتهام المعارضة له بالتفريط فى الحقوق الوطنية بل والخيانة ..

ورغم أنه قد ثبت ـــ بعد فترة ما ـــ أن جمال عبد الناصر كان على حق حين وقع على الاتفاقية ، وأن تخوفات خصومه لم يكن لها أساس ، فإنه فى تلك الفترة التى نرصد ملامحها كان فى وضع لا يُحسد عليه .

ورغم أن اليهود المصريين لم يتعرضوا لأى تغير فى المعاملة ، بعد الثورة ، فإن إسرائيل فقدت فى العهد الجديد معظم العملاء الذين اعتمدت عليهم فى مصر ، والذين كان منهم من يملك الحق فى الدخول على الملك فاروق وهو فى حجرة نومه .

وقد سأل ديفيد بن جوريون (رئيس وزراء إسرائيل ووزير الدفاع فى ذلك الوقت) صديقه ورفيقه ناحوم جولدمان (رئيس مجلس اليهود العالمى) عن كتاب جمال عبد الناصر « فلسفة الثورة » ، فسخر جولدمان من الكتاب ، وقال : إنه ليس فى أهمية أعمال أدبية مثل « فاوست » و « دون كيشوت » و « الإلياذة » .. لكن بن جوريون لم يعجبه الرد ، وقال : إنه كتاب مهم .. خطير .. يدعو فيه جمال عبد الناصر إلى توحيد العرب والمسلمين ... « وهذا كلام خطير للغاية » .. ثم .. إنه يشعر بمرارة وهو يتحدث عن ذل الهزيمة العربية فى حرب سنة ١٩٤٨ .. ويحس بالإهانة ... و « لهذا أنا لا أعتقد أنه مستعد لعقد صلح أو سلام معنا ما لم يشف من صدمته .. وهو لن يشفى من صدمته قبل أن يحرز انتصارا علينا » .

قال ناحوم جولدمان :

ــ لكنه يتحدث عن تنمية بلاده ، وتحررها من الاستعمار البريطانى ؟

رد بن جوريون :

ــ هنا ... بالضبط مكمن خطورة ناصر ![٣]

دار هذا الحوار فى إسرائيل ، بينما كانت مفاوضات الجلاء على أشدها فى مصر .. وقد تسربت إلى بن جوريون أنباء مؤكدة عن نجاح المفاوضات ، وقد صدقها ، لأنه كان يعرف أن الولايات المتحدة تمارس ــ على بريطانيا ــ ضغطا فى هذا الاتجاه .. وعندما أعلن عن توقيع الاتفاقية بالأحرف الأولى فى ٢٧ يوليو ١٩٥٤ ، تقرر القيام بمسلسل الحرائق قبل هذا الموعد ، بوقت مناسب .

كانت إسرائيل ضد الاتفاقية قبل أن توقع .. لأنها كانت تعتبر وجود ٨٠ ألف جندى بريطانى فى قناة السويس بمثابة حاجز قوى بينها وبين مصر ، يحميها من أية محاولة غزو أو انتقام يمكن أن يفكر فيها جمال عبد الناصر .

ثم .. إن إسرائيل أدركت أن تحرر مصر من الإنجليز ، يعنى تفرغها لبناء نفسها

---

(٣) ناحوم جولدمان : التناقض اليهودى ــ الصهيونية واليهودية بعد هتلر . ترجمة مصلحة الاستعلامات . نسخة محدودة التداول . بدون اسم مترجم . كتب مترجمة رقم ٧٣٦ ــ ١٩٨٠ .

كدولة قوية ، الأمر الذى يكون من السهل معه إزاحة إسرائيل ، وتحرير فلسطين .

ثم .. إن إسرائيل كانت تشعر « بالغيرة » من علاقة جمال عبد الناصر بالغرب .. فهذه العلاقة ــ كما تصورت ــ على حساب علاقتها هى بالغرب .. وعلى حساب أدوار اختارت نفسها كى تلعبها ، مقابل ثمن مادى وسياسى وعسكرى فى حاجة إليه .

وقد ضغطت إسرائيل على بريطانيا كى تبقى فى مصر ... لكنها فشلت .. وضغطت على الولايات المتحدة الأمريكية لإقناع بريطانيا بنقل جنودها وعتادها من السويس إلى غزة .. لكن .. مصر رفضت .. فالجلاء يعنى الانسحاب .. لا زحزحة الاحتلال !

ولم يبق أمام إسرائيل سوى اللعب بالنار .. وإشعال الحرائق .. وقطع الجسور بين مصر وبريطانيا ... لعل وعسى .. لكن .. العملية فشلت .. ومشعلو الحرائق سقطوا .. والبضاعة التى صدرتها إسرائيل رُدت إليها ... فبينما كان جمال عبد الناصر وأنتونى ناتنج يوقعان على اتفاقية الجلاء ، كان معظم أفراد شبكة التخريب قيد الاعتقال ، ورهن التحقيق .

فى ذلك الوقت كذلك ، كانت العلاقات بين القاهرة وواشنطن كالسمن على العسل .. وفود تأتى .. ووفود تذهب .. بعثات عسكرية .. خبرات مدنية .. معونات اقتصادية .. مفاوضات حول السلاح .. اتصالات على المستويات كافة .. وضغوط على بريطانيا لإتمام الجلاء ... وكان ذلك كله سببا وجيها لأن توضع المنشآت الأمريكية فى قائمة الأهداف الإسرائيلية التى لا بد أن تحترق !

بالقبض على المهندس ، والرسام ، ومدرس الهندسة ، صمويل عازار ، كُشف كل ذلك .. وتحولت القضية من الدائرة الجنائية إلى الدائرة السياسية !

وقد كان صمويل عازار هو مؤسس الشبكة فى الإسكندرية ، وأول مسئول عنها... ثم صدرت التعليمات ــ من إسرائيل ــ أن يتنازل عن القيادة لفيكتور ليفى ،

لأن فيكتور ليفى سافر إلى إسرائيل سرا ، وتلقى تدريبات عن التجسس هناك ، وعندما عاد إلى مصر ، أصبح أكثر خبرة ومؤهلا للقيادة .

ودون أن يدرى أوقع صمويل عازار خامس فرد فى الشبكة .. فقد اعترف بأن أموال الشبكة فى الإسكندرية فى يد يهودى اسمه ماير صمويل ميوحاس .. وقال : إنه هو الذى اشترى أدوات ومواد مصنع القنابل الحارقة ، ودفع فيها ٥٠٠ جنيه .

ماير ميوحاس .. شاب نحيف .. قامته أقل من المتوسط .. ملامح وجهه واضحة .. شعره أسود .. يهوى الروايات العاطفية .. ولد فى الإسكندرية .. أسرته من أصول بولندية .. عمره ٢٢ سنة .. يميل إلى المرح .. اشتهر بين رفاق طفولته بموهبة التمثيل .. كان يقلد إسماعيل ياسين وشكوكو ونجيب الريحانى .. درس فى المدارس اليهودية .. غير متدين .. لم يكمل تعليمه .. يعمل فى مهنة وسيط تجارى .. أو قومسيونجى .

بعد القبض عليه ، سئل ميوحاس :

س : من أعطاك الـ ٥٠٠ جنيه ؟

جـ : جون دارلنج .

س : لماذا ؟

جـ : تحت حساب شراء مواد كيميائية !

س : من هو جون دارلنج ؟

جـ : كان موظفا فى إحدى الشركات بالإسكندرية ، وتعرفت عليه فى سنة ١٩٥١ ، بواسطة شخص ثالث اسمه عبده داخون ، وعرفت بعد القبض علينا أن اسمه الحقيقى إبرام دار .

فيما بعد ...

سنعرف الكثير عن جون دارلنج ، أو إبرام دار ، وهما شخص واحد ، لم ولن يقبض عليه .. وهو فى الحقيقة قائد الشبكة ومؤسسها فى القاهرة والإسكندرية ، وهو من أخطر رجال المخابرات الإسرائيلية فى ذلك الوقت .

سنعرف الكثير عنه .. لكننا لا نريد الآن أن نسبق الأحداث !

□ ٣ □

دكتـور « بـول »

مثل حلقات السلسلة ، تساقط جواسيس إسرائيل فى مصر .

كان كل شخص يسقط بمثابة باب جديد يُفتح .. وكل باب يؤدى إلى حجرة .. وكل حجرة تمتلىء بثروة من المعلومات والأسرار .. ومن حجرة إلى حجرة، جمعت سلطات الأمن الكثير ... فهل تُنظم شبكات التجسس على طريقة صياغة الأساطير فى « ألف ليلة وليلة » ؟! .

فيليب ناتانسون .. فيكتور ليفى .. روبير داسا .. صموئيل عازار .. ماير ميوحاس .. باب يؤدى إلى باب .. المهم المفتاح وسرعة استخدامه فى الوقت المناسب والمفتاح هنا قد يكون كلمة عابرة .. زلة لسان .. ورقة مهملة .. رقم تليفون مكتوب بقلم رصاص على حائط .. فالحرب بين الجاسوس والمحقق حرب ذكاء .. وحرب الذكاء حرب نفسية وعقلية .. فيها سرعة البديهة .. ودقة الملاحظة .. وقوة التحمل .

ففى الأوراق التى عُثر عليها ، جاءت سيرة شخص اسمه « بول » .. وظل الغموض يحيط بهذا الشخص ، حتى حكى ماير ميوحاس عن « أكلة » سمك ، أصابته بمغص ، واضطر أن يذهب إلى « بول » فى المستشفى ليعالجه :

س : رحت تتعالج من المغص فى أية مستشفى ؟

جـ : كنت فى القاهرة ساعتها ، فذهبت إلى المستشفى الإسرائيلى !

إذن .. بول شخص حقيقى .. دكتور .. يعمل فى المستشفى الإسرائيلى .. فى القاهرة .. وبقليل من التحرى أمكن معرفة أن بول هو الطبيب جراح موسى ليتو مرزوق .. ولأنه مسئول الشبكة فى القاهرة ، فقد كان القبض عليه بداية سقوط معظم الأعضاء .. فيكتورين نينو الشهيرة بمارسيل .. ماكس بنيت .. إيلى جاكوب

.. يوسف زعفران .. سيزار يوسف كوهين .

لكن ...

لم يقبض على أهم وأخطر عضوين فى الشبكة .. إبرام دار المسمى باسم جون دارلنج .. وافرى إلعاد المسمى باسم بول فرانك .. فقد نجحا فى الفرار من مصر فى الوقت المناسب .

كما أن الشبكة ضمت أعضاء قُبض عليهم ، ثم أُفرج عنهم ، دون أن يوجه إليهم أى اتهام .. أشهرهم إيلى كوهين .. الجاسوس الإسرائيلى الشهير الذى قبض عليه فيما بعد فى سوريا ، وشُنق فى ميدان عام ، وبقيت جثته معلقة هناك ثلاثة أيام [1]

حسب قرار الاتهام ، رتبت النيابة المتهمين حسب أدوارهم الجنائية فى الأحداث ، وكان الترتيب كالتالى :

١ ــ إبرام دار المسمى باسم جون دارلنج ــ ضابط بالجيش الإسرائيلى (هارب) .

٢ ــ موسى ليتو مرزوق ــ طبيب بالمستشفى الإسرائيلى .

٣ ــ صمويل باخور عازار ــ مدرس بهندسة الإسكندرية

٤ ــ فيكتور مويز ليفى ــ بلاسيه .

٥ ــ فيكتورين نينو الشهيرة بمارسيل ــ موظفة بشركة الفابريقات الإنجليزية .

٦ ــ ماكس بنيت ــ بشركة أنجلو إجيبشيان .

٧ ــ بول فرانك (هارب) .

٨ ــ فيليب هرمان ناتانسون ــ مساعد سمسار بمكتب إيلى كوربيل .

---

(١) ولد إيلى كوهين فى الحى اليهودى بالإسكندرية فى ١٦ ديسمبر ١٩٢٤ .. أسرته من أصل سورى .. هاجرت من حلب .. والده كان يبيع الكرفتات والمناديل الحريرية .. لكى يطعم أولاده الثمانية .. درس إيلى كوهين فى مدرسة الليسيه .. كان يهوى الأسلحة .. انضم إلى شبكة تهريب اليهود من مصر إلى فلسطين .. فى سنة ١٩٥١ ، انضم إلى شبكة جون دارلنج ، وسافر سرا إلى إسرائيل وعندما أُعيد إلى مصر ، كان يعمل مع ماكس بنيت على جهاز اللاسلكى .. وقد قبض عليه بعد انهيار فيليب ناتانسون ، لكن لم يثبت عليه أى شىء ، فأُفرج عنه .. واصل العمل حتى قُبض عليه مرة أخرى فى نوفمبر ١٩٥٦ .. وفى الشهر التالى أُفرج عنه ، فهاجر إلى نابولى ومنها إلى إسرائيل .. وبعد فترة أُرسل إلى سوريا كجاسوس ، ونجح بعض الشىء ، لكن فى النهاية قُبض عليه ، وأُعدم .

٩ ــ روبير نسيم داسا ــ كاتب تجارى .
١٠ ــ إيلى جاكوب نعيم ــ موظف بشركة شوارتس .
١١ ــ يوسف زعفران ــ مهندس معمارى .
١٢ ــ ماير صمويل ميوحاس ــ قومسيونجى .
١٣ ــ سيزار يوسف كوهين ــ موظف ببنك زلخا .

لم يعكس هذا الترتيب الجنائى أوضاع هؤلاء الجواسيس ، حسب الهيكل التنظيمى للشبكة ، الذى كان كالتالى :

إبرام دار ــ مؤسس التنظيم .
بول فرانك ــ الإشراف على التنظيم .
ماكس بنيت ــ حلقة الاتصال بين الداخل والخارج .
صمويل عازار ــ مسئول خلية الإسكندرية فى بداية التنظيم .
فيكتور ليفى ــ مسئول خلية الإسكندرية عند القبض على التنظيم .
د . موسى ليتو ــ مسئول خلية القاهرة .
فيكتورين نينو ــ مسئول الاتصال بين خلايا التنظيم .
ماير ميوحاس ــ مسئول التمويل فى خلية الإسكندرية .
الباقى ــ مجرد أعضاء فى منظمة أكبر بكثير من التى كُشفت ، ضمت شبابا من اليهود المصريين ، حال انفجار قنبلة سينما ريو قبل توقيتها ، دون تورطهم ، وإن لم يمنع ذلك مواصلة نشاطهم السرى حتى هاجروا إلى إسرائيل .

كانت البداية فى سنة ١٩٤٢ ، عندما أنشأت الوكالة اليهودية ، فرعا سريا فى مصر لجهاز اليابيت .. وهو الجهاز المسئول عن تهجير اليهود إلى فلسطين :. وقد أسس هذا الفرع يهودى ثرى اسمه روث كليجر .. كان يقوم بتهريب اليهود عبر الحدود ، كما لو كانوا ممنوعات .. مخدرات مثلا .

بعد عامين قررت مخابرات الهاجاناه توسيع شبكتها فى مصر .. لترحيل اليهود .. ولسرقة الأسلحة التى كدسها الحلفاء فى مصر .. وللحصول على معلومات عن

الإنجليز ، حيث كانت القاهرة مقر قيادة البريطانيين فى الشرق الأوسط .. ثم .. كان لا بد من معرفة رد فعل الحكام العرب فى حالة إذا ما أعلنت الدولة اليهودية فى فلسطين[٢] .

تولى الشبكة هذه المرة ، عميل يهودى ، محترف ، اسمه ليفى إبرام .. ولد فى فلسطين وانضم إلى قوات الهاجاناه .. وفى سنة ١٩٤٤ أرسل إلى مصر متخفيا فى شخصية ضابط إنجليزى .

كان عليه أن ينزل فى بيت سيدة « صالون » ، بارزة فى المجتمع المصرى ، اسمها يولندى جابى .. وهى من أسرة يهودية ، ثرية ، تعيش فى الإسكندرية .. وقد تعلمت يولندى فى باريس ، واكتسبت أسلوب الحياة على الطريقة الغربية .. كما كانت تعشق المغامرة ، لذلك لم تتردد فى العمل مع ليفى إبرام فى شبكة التجسس .

استأجرا فيلا خارج الإسكندرية ، كانت فى الظاهر مصحة لاستشفاء ضباط الحلفاء .. وكانت فى الحقيقة قاعدة تجسس ، وقاعدة تهريب لليهود .

وقد سُميت هذه الشبكة باسم مستعار هو « أوبريشان جوش » .. ولا جدال فى أنها حققت بعض النجاح .. لكن .. بعد حرب فلسطين أصبح الموقف أكبر من أن تحتمله .

فى سنة ١٩٤٨ ، أنشئت « وحدة عمليات خاصة » تحت إشراف وزارة الخارجية الإسرائيلية .. كانت مهمتها القيام بأنشطة سرية متنوعة فى الأراضى العربية .. لكن هذه الوحدة أهملت بعد توقف القتال فى فلسطين ، وتولى الجيش أمرها .. وقد تذكرت المخابرات الإسرائيلية هذه الوحدة ، عندما اقترح بعض ضباطها تنفيذ ما سُمى « تكتيك الصدمة » .. كان ذلك فى سنة ١٩٥٤ .. وكان المطلوب تدبير عمليات خاطفة ، هدفها تغيير سياسة لندن وواشنطن تجاه القاهرة ، وتحميل جمال

(٢) دنيس ايزنبرج ، ويورى دان ، وايلى لانداو ــ الموساد (جهاز المخابرات الإسرائيلية السرى ــ قصص من الداخل) ــ ترجمة هيئة الاستعلامات . بدون اسم مترجم . نسخة محدودة التداول ــ كتب مترجمة ٧٧٥ ــ ١٩٨٨ .

عبد الناصر مسئولية مؤامرة معادية للأمريكيين والبريطانيين .. لكن .. المخابرات الإسرائيلية وجدت أن من الصعب إرسال أفراد هذه الوحدة إلى مصر ، وأنه من الأفضل الاعتماد على شبكة العملاء المكونة كلية من يهود مصريين ، والتى ورثت شبكة « أوبريشان جوش » منذ بداية الخمسينات .

كانت هذه الشبكة تسمى باسم كودى هو « الوحدة ــ ١٣١ » .. وقد شُكلت لتكون مثل طابور خامس فى مصر ، لو قامت الحرب بينها وبين إسرائيل .. كما كان من أهدافها مساعدة اليهود المصريين على الهجرة إلى إسرائيل(٣) .

حسب تطورات الخطة ، كان على أفراد الوحدة ــ ١٣١ ، إشعال الحرائق ، على أن تقوم المخابرات الإسرائيلية بتزوير وثائق تدل على أن المصريين هم الجناة .. ثم .. تُسرب هذه الوثائق إلى وكالة المخابرات المركزية (الأمريكية) ، التى سيكون عليها ــ بعد ذلك ــ إقناع البيت الأبيض ، ووزارة الخارجية بتغيير سياسة واشنطن تجاه القاهرة ... بسهولة !

وفى كتابه عن المخابرات الإسرائيلية ، يقول ريتشارد ديكون : إن الأهداف التى اختيرت فى البداية لكى توضع فيها القنابل الحارقة ، كانت أمريكية فقط .. فقد كان الإسرائيليون على يقين من أن المخابرات الأمريكية لن تفضح هذا الأسلوب .. واستبعدت الأهداف البريطانية خوفا من أن تكتشف المخابرات البريطانية ــ الخبيرة بالأساليب الصهيونية ــ هذا الأسلوب .. فتفضح العملية كلها .. لكن .. ما شجع الإسرائيليين فعلا على المضى قدما فى تلك الخطة ، وعود السلامة والاطمئنان التى قطعها على نفسه أحد عملاء إسرائيل الذى يعمل مع وكالة المخابرات المركزية .

وهكذا ... صدرت التعليمات إلى أعضاء الوحدة ــ ١٣١ ، لتنفيذ مهام الحرق .. التى عُرفت فيما بعد بعملية « سوزانا » !

والوحدة ــ ١٣١ أسسها فى مصر الكولونيل الإسرائيلى إبرام دار ، أو جون

(٣) Richard Deacon - The Israeli Secret Service. Sphere Books Limited - 1979 .

دارلنج ، كما عُرف فى مصر التى دخلها ـــ أول مرة ـــ فى سنة ١٩٥١ ، بجواز سفر بريطانى ، كوكيل لبعض الشركات الإنجليزية التى تنتج الأدوات الكهربائية .

المعلومات المتوفرة عنه قليلة .. كما أنها غير مؤكدة .. ومصدرنا هنا أقوال المتهمين فى ملف القضية .

هو يهودى .. من أصل يمنى .. نزح إلى إسرائيل .. أقام فى مخيمات اليهود المهاجرين إلى فلسطين خلال حرب ـــ ١٩٤٨ .. بعد الهدنة أصبح عضوا فى اللجنة العليا للمزارع الجماعية فى المستوطنات الإسرائيلية المسماه « كيبوتز » .. ثم .. انضم إلى المخابرات العسكرية ، وكان أحد رجالها فى الخارج .. حيث ساهم فى تكوين شبكات التجسس من اليهود المقيمين فى سوريا والعراق ولبنان واليمن .. وكان دائم التنقل فى أنحاء العالم لتجنيد اليهود فى خدمة إسرائيل ، أو لحثهم على السفر إلى هناك .

عندما نزل جون دارلنج إلى مصر ، كانت تعج بالجمعيات الصهيونية السرية والعلنية التى تروج دعائيا لإسرائيل ، وتعمل على تيسير هجرة اليهود إليها .. لذلك .. كان من السهل عليه أن يجد أعضاء من الشباب اليهودى جاهزين للانضمام إلى شبكة التجسس التى كُلف بتشكيلها .. وكان إيلى كوهين على رأسهم ! .

وتعرف جون دارلنج على مارسيل نينو .. كان عمرها ٢٤ سنة ، وكانت واحدة من بطلات السباحة .. وكانت على علاقات ودية مع بعض ضباط الجيش ، الذين كانت تقابلهم فى الحفلات التى كان يقيمها أصدقاؤها الأثرياء .. ومن أول نظرة أحبت مارسيل ، دارلنج ، وساعدته فى العثور على مجندين آخرين .

وبواسطة إحدى الجمعيات اليهودية فى القاهرة ، تعرف جون دارلنج على طبيب يهودى ، شاب ، ونشط ، اسمه د . فيكتور سعاديا .. كان رئيسا لإحدى هذه الجمعيات .. لكن .. التعارف بينهما جاء فى وقت كان فيه د . سعاديا يجهز أوراق الخروج إلى فرنسا ومنها إلى إسرائيل .. إلا أنه عرَّف جون دارلنج على طبيب يهودى آخر ، هو د . موسى ليتو مرزوق .. الطبيب ، الجراح بالمستشفى الإسرائيلى بالقاهرة ... وبعد أن توثقت الصلة بينهما ، فاتحه فى أمر المنظمة .

د . موسى مرزوق .. يهودى .. من أصل تونسى .. ولد وتربى وتعلم فى مصر .. حتى أصبح جراحا .. قمحى البشرة .. أسود الشعر .. له شارب .. متحفظ .. يميل إلى الغموض .. قليل الكلام .. يكره الثرثرة .. لا يثق فى الناس بسهولة .. دائم الشك .. وأحيانا يفقد الثقة فى نفسه .

وفيما بعد ...

كشف د . موسى مرزوق أمام المحكمة العسكرية العليا (التى نظرت القضية) كيف بدأت علاقته بالشبكة ، وبجون دارلنج :

س : ما علاقتك بجون دارلنج ؟

جـ : أنا تعرفت عليه سنة ١٩٥١ بواسطة زميل لى فى كلية الطب هو الدكتور فيكتور سعاديا .. قال لى د . سعاديا إن فيه واحد جاى من إسرائيل ، وعايز منك خدمة .. وقابلته .. وكان جون دارلنج .. قال لى إنه عايز يعمل نادى أو شىء يضم أعضاء يهود ومصريين ، يتفاهموا فيه ويتبادلوا الآراء ، وذلك كى يزول التوتر الحادث بعد إعلان دولة إسرائيل .. بعد فترة وجدته يتراجع عن فكرة النادى ، وقال إنه لسه بدرى عليه ، ونقدر نمهد له بالمنشورات .

وطلب أن يكون توزيع المنشورات رأسا على الناس ، واخترع طريقة ميكانيكية لتوزيع المنشورات .. وهى عبارة عن اسطوانة فاضية .. نحط فى قاعها مادة قابلة للاشتعال ، ونملا الاسطوانة بالورق اللى عايزين نوزعه ، ثم نحدث الإشعال ، الذى يحرك الاسطوانة ، فتطرد المنشورات لوحدها .

وسافر جون دارلنج ، وأخذت المسألة جد ، وعملت تجربة على الاختراع فى جرسونيرا (شقة للعلاقات الخاصة) بتاعتى فى شارع سليمان باشا (طلعت حرب فيما بعد) ففشلت ، فكتبت له جواب فى فرنسا ، فلم يصلنى منه رد ، وتركت المسألة عند هذا الحد .

س : إيه حكاية الجرسونيرا دى ؟

جـ : أنا استأجرت ثلاث جرسونيرات ، واحدة فى شارع سليمان باشا ،

والثانية فى الدق ، والثالثة فى شارع رشدى .

س : تقصد ثلاث شقق للمنظمة ؟

جـ : لا .. ثلاث جرسونييرات ، باستخدمها فى أغراض عاطفية ، خاصة !

س : ثلاث .. تستخدمها فى أغراضك الخاصة ... ليه ؟

جـ : كده .

س : طب كمل .

جـ : بعد ٦ شهور ، قابلتنى مارسيل (فيكتورين نينو) وقالت لى إن جون بيسلم عليك .. ثم بعد أيام ، اتصلت بى ، وقالت إنه عايز يشوفك فى فرنسا .

س : وانت تعرف مارسيل منين ؟

جـ : كنت اعرفها من زمان معرفة سطحية ، من قبل سنة ١٩٥١ ، بسنة ، كانت صاحبة بنات أصحابى .. وفى أحد الاجتماعات مع جون دارلنج ، عرفنى بها جون ، فقلت : أنا أعرفها .. وقال جون إنها حتكون معاك فى الشغلانة دى .. يعنى حكاية النادى والمنشورات ، وقبل ما يسافر فهمنى أن مارسيل حيرسل لها عنوانه فى فرنسا ، وأنه سيتصل بى عن طريقها .

وهكذا ...

بدأت ورطة الدكتور مرزوق !

فيما بعد أيضا ...

روى فيكتور ليفى أمام المحكمة قصة مشابهة لتجنيده ..

قال :

ــ فى صيف ١٩٥١ .. شهر يونيو على ما أذكر .. اتصل بى واحد من زملائى اسمه أوفاديا دانون ، كان قد تعرف بى صدفة .. طلب منى أن نلتقى .. التقينا .. عرفنى بواحد اسمه جون .. وتكلمنا فى أحوال البلد .. بعد كده دانون قابلنى فى السكة ، وقال لى ، ما تمر علىّ فى البيت بعد الظهر .. ورحت .. وقابلت جون هناك .. وجون قال لى المرة دى ، إنه جاى من طرف إسرائيل ، وكان

عايز يعمل جروب (جماعة) من شوية شبان من اللى ممكن يساعدوا إسرائيل فى وقت الحرب .. فأنا قلت لجون أنا لسة ماخلصتش المدرسة ، ومش عايز أحط نفسى فى جروب دلوقتى ، علشان عايز أروح فرنسا أكمل تعليمى .. وهو فضل يحاورنى ، وقال لى إن احنا مش عايزين نشاط منك .. احنا عايزين تكونوا شوية أصحاب وتتصلوا بنا فى فرنسا ، وانتو حتكونوا مبسوطين .

وكان عمرى ١٨ سنة ونصف ، وهو جون أجر شاليه فى سيدى بشر ، واجتمعنا فى الشاليه .. واتعرفت بصمويل عازار ، وروبير داسا .. وجون قعد يكلمنا ، وقال لنا : احنا مش عايزين شغل منكم ، ولكن عايزينكم تأجروا شقة ، وفى الشقة دى ممكن تتجمعوا ، وبعدين وقتها ابقوا اتصلوا بى ، وقولوا لى بتعملوا إيه .

وبعد يوم ، أنا عَرَّفت فيليب ناتانسون بجون .. وبعدين عملت أنا وروبير داسا وفيليب ناتانسون جروب ، وبقينا نجتمع فى الشقة .. وبعدين صمويل عازار أجر شقة فى مكان آخر .. فى محطة الرمل .. وفى الشقة دى كنا بنجتمع .

وسافر جون .. أو اختفى .

وما كانش لنا اتصال به .. ولكن صمويل كان بيبعت جوابات لجون فى باريس واحنا كنا بنعرف منه الأخبار !

س : مين اللى كان بيحدد المنشآت اللى تتحرق ؟

جـ : احنا .

س : كيف ؟

جـ : كانت التعليمات ، حرق منشآت أمريكية وبريطانية .. لكن بدون تحديد .. وكان علينا احنا التحديد والتنفيذ .

س : لماذا ادعيت أنك عضو فى منظمة شيوعية ؟

جـ : كان الاتفاق إن احنا لو قُبض علينا نقول كده !

س : تقولوا إيه ؟

جـ : نقول إن أنا شيوعى أتلقى تعليمات من خلية سرية تضم جواسيس مدربين على أيدى السوفييت !

س : هل لك نشاط شيوعى سابق ؟

جـ : لا !

.. وهكذا ...

أصبح فيكتور ليفى جاسوسا .

وسألت المحكمة فيليب ناتانسون :

س : هل تعرف جون دارلنج ؟

جـ : أيوه .. فيكتور ليفى عرفنى به سنة ١٩٥١ ، وقال لى إن فيه واحد جاى من إسرائيل وعايز يشوفنى ، وبعدين تقابلنا أمام سينما ريالتو ، وتمشينا وتكلمنا سوا ، وقال لى جون إنه عايز يكوّن جروب ليساعد إسرائيل ، فقلت أنا عايز اسافر فرنسا لأتعلم التصوير ، فقال : كويس خالص وأنا ممكن أخليك تسافر وتتعلم ، وأنا مش فاضى دلوقتى ، وممكن كان شوية نساعدك فى الحكاية دى ، وإن فيكتور ليفى حيعرفك بالجروب .

س : ألم تسأل جون دارلنج عن أغراض الجروب ؟

جـ : سألته فقال لى ، فى الأول مش لازم تسأل ، وبكره حتعرف عملك فى الجروب ، واللى نكلفك به لازم تعمله ، فقلت له افرض إنك طلبت منى أرمى نفسى من الشباك أو أقتل أحد ، فقال : لا احنا مش عايزين نعمل حاجة بالقوة وخليك مع الجروب ، وبعدين قال لى ، أنا مسافر بكره وأعطانى ١٠ جنيه ، وقال لى الفلوس دى علشان تتعلم التصوير زيادة ، وكان عمرى ١٨ سنة .

وقابلت فيكتور ليفى وعرفنى بروبير داسا .. وكان جون قال لنا نجتمع مرة فى الأسبوع ، فجبنا كوتشينة وكنا نلعب بوكر وبعدين بدأنا نعمل بارتى (حفلة)

فى البيت وكنا بنعزم أى ناس تانيين وما اذكرش أسماءهم وبعدين حضرت مرة مارسيل وعرفنا بها صمويل عازار ، وكان مرة جه د . مرزوق ، واحنا ما تكلمناش وكنا بناكل عنب !

س : بس تاكلوا عنب وتبصوا لبعض !

جـ : ما كنتاش نتكلم لأنها كانت أكبر منّا واحنا كنا مختشين منها وكانت تتكلم عن البحر والصيف والشتاء وفوائد النبيذ .

س : ما اتكلمتش فى أعمال الجروب ؟

ج : لا . جون قال لنا ما نسألش فى أى حاجة ، وبعدين طلب جون أن نستعد للسفر وجهزت الأوراق ، وكنت باشتغل فى الصبح ، وبعد الظهر وآخذ من المكتب الصبح ١٠ جنيه وبعد الظهر كان الخواجة بتاعى يقول لى : لما تخلص الشغل حاعطيك مكافأة كويسة .. وكان عملى فى الصبح فى مصنع نسيج وعملى بعد الظهر كان فى مكتب الخواجة بتاع البورصة . وطلب منى د . مرزوق أن أسافر ، وأقابله فى القاهرة ، وقابلته فى محل الأمريكين وأعطانى ٤٠٠ جنيه ، ٢٠٠ جنيه عشانى و ٢٠٠ جنيه عشان روبير داسا .. ودول مصاريف السفر إلى فرنسا .

وجاء الدور على ماير ميوحاس ليحدد كيف كانت ضربة البداية .

فى المحاكمة سُئل :

س : هل تعرف شخصا يدعى إبرام دار ؟

جـ : لا . لم أعرفه إلا فى القضية ، لأن اسمه اللى سمعته فى سنة١٩٥١ هو جون دارلنج ، وكان ساعتها موظف فى شركة بالإسكندرية .

س : كيف تعرفت عليه ؟

جـ : كما قلت فى التحقيق عرفنى به صديق اسمه عبده داخون ، وقدمه لى على أنه وكيل مصنع خاص بلوازم الكهرباء ، وعرض جون أن نشترى منه بضاعة ، لكن أنا رفضت وقلت له احنا لا نحتاج هذا النوع من البضائع . وبعد أسبوع

كنت ماشي فى الشارع وقابلت عبده داخون ، وقال لى إنت ما اشترتش ليه من الشخص ده ، ده إسرائيلي ولازم نساعده فاعتذرت بعدم حاجتنا لبضاعته فقال إن هذا الشخص كان فى إسرائيل وعايزك تساعده ، وبعد مدة اتصل بى جون ، فقابلته فى فندق جلورى ، وقال لى إنه فى مصر وعايز يشوف حال اليهود فيها ، وأنه لاحظ أن كل يهودى بيشوف شغله ومالوش دعوة بغيره ، وإن مفيش رابطة بينهم .. فقلت له ، أيوه مفيش فى مصر نظام اختلاط خاص باليهود ، واحنا مختلطين مع الشعب ، فقال لى إنه يعتقد إن لازم يكون فيه ارتباط بينكم وبين بعض ، وإن فيه يهود مش لاقيين شغل لأن ما عندهمش الجنسية المصرية ، فقلت له : ده صحيح ، فقال : وفيه برهان عندى واحد اسمه صمويل عازار ، تخرج مهندس كويس ومش لاقى شغل ، وفعلا جانى شخصيا ليعمل فى المصنع ، فقلت له : أيوه عندك حق ودى نقطة ضعفنا .

وطلب منى أن أعمل على تشجيع اليهود ، وما شفتوش بعد كده ، ولكن صمويل عازار اتصل بى ، وهو عرفنى بدكتور مرزوق ، ثم فوجئت بصمويل بيدينى ٣٠٠ جنيه مرة ، و١٠٠ جنيه أو ١٢٠ جنيه مرة أخرى وقال لى : خليها عندك لأن ما عنديش حساب فى البنك ، وأنا عايز أفتح بيها ورشة .. وبعدين صمويل حضر بعد كام شهر وطلب ٢٥ جنيه من فلوسه ، فأعطيته ، وبعد كام يوم طلب ١٠ جنيه ، ثم ١٠٠ جنيه ، وفى يوم طلب بقية فلوسه ، لكن الفلوس لم تكن حاضرة ، فأصر عليها ... وفى يونيو ١٩٥٣ واحد ضرب تليفون لى ، وقال : أنا بكلمك بخصوص فلوس صمويل ، وأصر على أن أذهب إليه ، ورحت فوجدت صمويل ومعه شاب عرفت فيما بعد إنه فيكتور ليفى ، وعرفت أنه كان فى إسرائيل ، وقال لى إنه صعبان عليه إن يهود مصر ما يفكروش فى إسرائيل .. فقلت : ده صحيح .. والواحد لازم من جانبه يبدأ .. قالوا : اتفقنا .. قلت : اتفقنا !

وهكذا .. وجد ماير ميوحاس نفسه فى الشبكة !

أما إيلى جاكوب نعيم فله قصة أخرى .

إنه من مواليد القاهرة .. فى العشرينات .. ترك حارة اليهود بحثا عن حياة أفضل..

إمكانياته أقل من حاجاته .. يعمل كاتب حسابات فى شركة « شوارتس » .. يعيش بعيدا عن أسرته .. يعشق السهر والخمر والنساء .

س : هل تعرف د . مرزوق ؟

جـ : نعم .. عرفنى به د . فيكتور سعاديا فى سنة ١٩٥١ .

س : تعرف جون دارلنج ؟

جـ : أعرف شخص اسمه جون وما اعرفش إن اسمه دارلنج وأنا كنت ساكن فى غرفة بنسيون ، وفى يوم من أبريل أو مايو ١٩٥١ زارنى فيكتور سعاديا وقال لى إن د . مرزوق حيستأجر شقة ومش حيسكن فيها وإنه ممكن إذا كنت عايز أسكن فى الشقة دى وادفع نفس إيجار البنسيون فانبسطت ووافقت ، وبعد فترة قابلت د . مرزوق فى شقته فى شارع سليمان باشا وهناك تعرفت بشخص اسمه جون ، وقعدت شهرين فى الشقة ، وبعد كده جاء الدكتور مرزوق ومعه مدموزيل اسمها مارسيل نينو ، وطلب إن أسيبه فى الأودة لوحدهما .

بعد فترة اختفى د . مرزوق ، وكانت مارسيل تأتى بمفردها لدفع الإيجار ، ولما سألتها عنه قالت إنه مسافر فرنسا .. وعاد الدكتور مرزوق ، وفوجئت به يطلب منى أن أترك الشقة لأنه مستغنى عنها .. وعندما سألته : وأنا أروح فين ، فاتحنى فى أمر الجروب ، وقلت له : سيبنى أفكر .. وحدث بعد ذلك أن تعرضت إلى أزمة مالية ، فطلبت منه ١٤ جنيه سلفة ، ثم أخذت منه ٥٠ جنيه .. ولأننى لم أكن قادرا على السداد ، فقد قبلت الانضمام إلى الجروب .

وفى الوقت نفسه ، وبالأسلوب نفسه تقريبا أصبح المهندس المعمارى يوسف زعفران عضوا فعالا فى الشبكة .. أو «الجروب» .. فهو يعرف د . مرزوق ، ويشاركه فى مغامراته العاطفية ، وهو مولود فى القاهرة ، لكنه يحب إسرائيل أكثر ، وهو يعانى دائما من أزمات جنسية ومالية .. كان حلها الوحيد أن يصبح جاسوسا .

عرَّفه د . موسى مرزوق على جون دارلنج ، وفُوتح فى أمر المنظمة فى أواخر

سنة ١٩٥١ ، وكانت مهمته الدعاية فى مصر لإسرائيل بتوزيع المنشورات والمطبوعات ، ثم أصبح مسئولا عن مقار المنظمة فى القاهرة حيث كان يشرف على ٥ شقق فى أماكن مختلفة من العاصمة .

وحسب ما قاله أمام المحكمة ، وفى محاضر البوليس والنيابة ، فإنه كان مترددا فى الانضمام إلى الجروب لكن .. بعد أن تعرف بمارسيل .. حسم تردده .. وانضم !

ولأنه مسئول الدعاية ، فقد كان عليه أن يوزع التقاريروالمنشورات عن أرض الميعاد .. وطن اللبن والعسل .. وأن يجمع الأنباء المشوهة عن مصر ، والتى لا تنشرها الصحف ، ويرسلها إلى الخارج لتتحول إلى حراب مسمومة ترتد إلينا عبر موجات الإذاعات الأجنبية الموجهة .

فى مارس ١٩٥٢ ، فوجىء يوسف زعفران بزيارة مارسيل .. وفى لحظة كان فيها منتشيا ، قالت له : « إن هناك مهندسا اسمه أميل سيزورك » .

وسأله رئيس المحكمة :

س : وهل أميل من بين المتهمين فى القفص ؟

جـ : نعم .

وأشار إلى ماكس بنيت .

وأضاف :

— أنا فهمت من حديث أميل أنه يفهم فى الرسومات وأنه يستطيع أن يساعدنى على السفر إلى الخارج .. وقال لى : يمكنك القيام بأعمال الدعاية بين اليهود علشان مساعدتهم .

س : ألم يحدثك دارلنج عن إسرائيل ؟

جـ : كل الحديث الذى دار بينى وبينه كان خاصا بالدراسة الهندسية ولم يعرض على السفر إلى إسرائيل .

س : لكنك قلت فى التحقيق إنه حدثك عن إسرائيل .

جـ : **لا أذكر شيئا من هذا .**

س : متى تم تكوين المنظمة ؟

جـ : **لا أعرف متى تكونت المنظمة ، ولا أعرف منها سوى مارسيل ، ود . مرزوق ، ودارلنج ، فقط .**

س : ألم تعرف الهدف منها ؟

جـ : **نعم !!**

س : وما هو ؟

جـ : **تبادل الآراء ، وتوسيعها .. أى أنها مثل النادى .**

س : ما فيش نوادى لليهود فى مصر ؟

جـ : **فيه نوادى مختلفة .**

س : هل بينك وبين مارسيل حاجة ؟

جـ : **لا .**

س : أنت قلت إن الفكرة كانت إنشاء مكتبات ثقافية مع أنه ثبت فى القضية أن الجروب بتحرق المكتبات الثقافية .

جـ : **هذا لا يخصنى !**

لم يختلف أسلوب الآخرين .. ولا داعى أن نتورط فى تكرار التفاصيل على ألسنتهم .. فما خفى كان أعظم .. وما فات كان يكفى ويزيد لنعرف بدقة ، كيف كانت البداية !

□ ٤ □

ميس « نو » !

فيكتورين الاسم الرسمى .. مارسيل اسم الشهرة .. كلوديت اسم التدليل .. كلود الاسم الحركى فى الجروب ، أو الشبكة !

فتاة عنيدة .. صارمة تتمتع بدقة الملاحظة .. سريعة البديهة .. شعرها قصير ، مموج .. ملامح وجهها شرقية .. ابتسامتها ساخرة .. عندما تضحك تضيق عيناها .. تأكل بشراهة .. تميل إلى القسوة .. عمرها ٢٤ سنة .. عصبية .. عندما تتكلم تعبث بأناملها فى شعرها ، أو تهرش بها ظهرها .. تدخن بشراهة .. تشرب القهوة بدون سكر .. لم يسبق لها الزواج .. فشلت فى أكثر من علاقة عاطفية .. تعتبر أن الفشل فى تعلم الرقص ، أبرز عيوبها .

ولدت فى القاهرة .. من أسرة يهودية متوسطة .. عملت فى مهن مختلفة .. .. سكرتيرة .. بائعة فى محل .. ممرضة .. وعندما قُبض عليها كانت تعمل موظفة فى شركة إنجليزية ، مقرها فى ضاحية مصر الجديدة ، التى كانت تُسمى فى ذلك الوقت « هليوبوليس » .

جندها جون دارلنج بنفسه .. كانت حلقة الصلة بين التنظيم فى مصر وقيادته العليا فى باريس .. وبين فرعى التنظيم فى القاهرة والإسكندرية .. كما كانت إحدى القنوات التى يصب فيها التمويل ، وبلغ جملة ما تلقته ألف جنيه .

أثناء التحقيق ، حاولت التظاهر بعجزها عن الإدلاء بأقوالها ، لأنها متعبة ، ومصابة بإرهاق سببه دورتها الشهرية .. لكن النيابة ــ التى كانت فى سباق مع الزمن ــ أمرت لها بكوب ساخن من مشروب « القرفة » ، وأصرت على الاستمرار فى الإدلاء بأقوالها ليلة كاملة .

وبينما كانت تجلس فى غرفة انتظار ، تقع بجوار مكتب المحقق ، فى الدور الثانى من مبنى مديرية الأمن ، غافلت الحارس ، وألقت بنفسها من إحدى النوافذ .. كان فى نيتها الانتحار .. أن تتخلص من حياتها قبل أن تُجبر على مزيد من الاعترافات .. أُصيبت برضوض ، وكسر فى الحوض ، ونُقلت إلى مستشفى المواساة ، ووضعت فى صندوق من الخشب ، أقرب إلى التابوت لمدة شهرين ، حتى تمكنت من الشفاء .

إنها مثل النمرة .. صعب ترويضها .. سهل أن تكشر عن أنيابها ، وتشهر مخالبها ، وتخربش بأظافرها .. ثم إن الموت أحب إليها من السجن .. والسجن لم يخطر على بالها يوم أن خلعت جذورها فى مصر من أجل أن تصبح ورقة ولو صفراء على فرع جاف فى شجرة الحلم الصهيونى .

ويوم أن قُبض عليها ، انتحر فى شقتها ، عجوز فى الستين من عمره ، لف عنقه بسلك كهربائى ، وعلق نفسه فى نافذة الحمام .. فهل كان يحبها إلى درجة الشنق ، ولم يطق الحرية وهى ملقاة فى زنزانة رطبة ، مظلمة ؟ .. أم أنه كان شريكا فى شبكة التخريب والتجسس ، وفضل أن ينفذ حكم الإعدام فى نفسه ، بنفسه ، قبل أن ينفذه غيره ؟

لا يزال الحادث لغزا .. لم تحل غموضه أوراق التحقيق .. ولا المحكمة تعرضت له .. ولا كتب التجسس الغربية التى نُشرت فى أوروبا أشارت إليه !

ومع أن أشهر الأفلام السينمائية وقت نظر القضية ، كان فيلم « الستات ما يعرفوش يكذبوا » ، فإن أقوال مارسيل نينو أمام المحكمة أكدت أن اسم الفيلم ليس على مسمى .

المدعى : هل تعرفين شخصا اسمه جون دارلنج ؟
مارسيل : أيوه .
المدعى : على أى أساس كان اتصالك به فى هذه المدة ؟
مارسيل : لأنى أعرفه شخصيا .

المدعى : ألم يكن ذلك بشأن الجروب اللى شكله فى مصر ؟

مارسيل : أيوه .

المدعى : كان الجروب ده علشان إيه ؟ أو هو دارلنج كان عايز إيه ؟

مارسيل : ما اعرفش .

المدعى : هل تعرفت على أحد عن طريق دارلنج أثناء هذا الاتصال ؟

مارسيل : أيوه عرفنى بناس فى مصر (تقصد القاهرة) وبناس فى الإسكندرية .

المدعى : مين الناس دول ؟

مارسيل : ليتو مرزوق فى القاهرة ، وفى الإسكندرية فيكتور ليفى ، وفيليب ناتانسون ، وروبير داسا .

المدعى : ألم يعرفك بواحد اسمه صمويل عازار ؟

مارسيل : أيوه عرفنى به فى الإسكندرية .

المدعى : ألم تكونى تعرفين مرزوق قبل ما يعرفك عليه جون دارلنج ؟

مارسيل : كنت اعرفه شخصيا .

المدعى : سبب تعريفك بالأشخاص دول إيه ؟

مارسيل : علشان يبقى فيه اتصال بين القاهرة والإسكندرية .

المدعى : وعلشان إيه الاتصال ده ؟

مارسيل : ما فيش رد .

المدعى : يعنى عارفه الرد ومش عايزه تقوليه ؟

مارسيل : أيوه ...

المدعى : ليه ما بترديش ؟

مارسيل : كده ما فيش رد .

المدعى : قررت فى التحقيق أن دارلنج كوّن منظمة لها شعبتان واحدة فى القاهرة ، وواحدة فى الإسكندرية ، فما قولك ؟

مارسيل : **أيوه قلت كده .**

المدعى : وقلت إنك كنت رابطة الاتصال بين الفرعين .

مارسيل : **أيوه مضبوط .**

المدعى : وعلشان إيه كنت رابطة الاتصال ؟

مارسيل : **علشان صالح إسرائيل .**

المدعى : ما هو صالح إسرائيل اللى عايزاه من الجروبين دول ؟

مارسيل : **دى حاجة ماعرفهاش .**

المدعى : ذكرت فى التحقيق أن أغراض هذه المنظمة التجسس لصالح إسرائيل :

مارسيل : **لا .**

المدعى : هل ترك لك دارلنج عنوانه ؟

مارسيل : **لا .**

المدعى : ما كنتيش تتصلين به فى الخارج أو هو يتصل بك ؟

مارسيل : **لا .**

المدعى : أنت قررت فى التحقيق أنه كان بيتصل بك من الخارج ؟

مارسيل : **الجوابات ما كانتش بتجينى عن طريق البوستة وإنما فيكتور سعاديا كان يجيب الجوابات من دارلنج .**

المدعى : كان فيها إيه الجوابات دى ؟

مارسيل : **كله علشان حكاية الفلوس .**

المدعى : هل تلقيت فلوس من الخارج بعد سفر جون دارلنج ؟

مارسيل : **أيوه . ووصلنى منه حوالى الألف جنيه .**

المدعى : كيف وصلك مبلغ الألف جنيه ؟

مارسيل : **من فيكتور سعاديا .**

المدعى : ألم يحضر أحد من الخارج لمصر من طرف جون دارلنج ؟

مارسيل : **لا مافيش حد .**

المدعى : تعرفى واحد اسمه ماكس بنيت ؟

مارسيل : **لا .**

المدعى : تعرفى أميل (الاسم الحركى لماكس بنيت) ؟

مارسيل : **لا .**

المدعى : أنت قلت فى التحقيق إنك تعرفت بواحد اسمه أميل وكان موفدا من قبل جون دارلنج !

مارسيل : **ما اعرفش .**

المدعى : قلت فى التحقيق إن ماكس بنيت كان جاسوسا لإسرائيل .

مارسيل : **لا .**

المدعى : ألم تصلك من الخارج حاجة غير الفلوس ؟

مارسيل : **لا .**

المدعى : ألم تصلك أجهزة لاسلكى ؟

مارسيل : **أنا قلت فى التحقيق لا .**

المدعى : ماكس بنيت قال إنه جاب معه ثلاثة أجهزة من الخارج ، وسلمك اثنين ، وأنت سلمت واحدة لموسى والثانى لفيكتور .

مارسيل : **لا .**

المدعى : تعرفى نشاط موسى مرزوق فى الجروب اللى اتعمل ؟

مارسيل : **كان ضمن الجروب وما اعرفش نشاطه .**

المدعى : أنت قلت فى التحقيق إن مرروق وزعفران بيطلعوا يشوفوا المناطق العسكرية والكبارى والقناطر .

مارسيل : **يمكن سمعت حاجة زى دى لكن ما اعرفش إن كانوا راحوا والا .. لا .**

المدعى : سمعت من مين ؟

مارسيل : **مش فاكره .**

المدعى : تعرفى عائلة شيفروف ؟

مارسيل : **أيوه .**

المدعى : ما وجه معرفتك بها ؟

مارسيل : **سوزيت شيفروف كانت صاحبتى .**

الرئيس : العيلة دى فين دلوقتى ؟

مارسيل : **فى شرق إفريقيا ، وسافرت سنة ١٩٥٢ .**

الرئيس : وبقية العيلة فى مصر ؟

مارسيل : **ما اعرفش .**

الرئيس : هل أعطت لك هذه العيلة فلوس ؟

مارسيل : **لا .**

الرئيس : قررت فى التحقيق أنك أخذت من عائلة شيفروف ألف جنيه لما جت تسافر ، وطلعت من مصر من غير فلوس وبعدين أخذت من دارلنج المبلغ فى الخارج .

مارسيل : **أيوه حصل .**

المدعى : ألم يطلب منك أحد تصوير خريطة تتضمن المواقع المصرية ؟

(لم تفهم مارسيل كلمة خريطة فترجمها رئيس المحكمة لها باللغة الفرنسية) .

مارسيل : **مش فاكرة .**

الرئيس : وهل استعملت الخريطة دى ؟

مارسيل : **ما اعرفش إذا كانت اتعملت مخصوص ، ولكن اعرف أنه كان فيه خريطة ؟**

المدعى : مين اللى عمل الخريطة ؟

مارسيل : **ما اعرفش .**

المدعى : قررت فى التحقيق أن موسى ليتو عمل الخريطة وأرسلها إلى إسرائيل .

مارسيل : **يمكن هو اللى عملها وأنا ماعرفش إذا كان بعتها لإسرائيل أو لا .**

المدعى : هل فكر أحد من أعضاء الجروب فى إنشاء مصنع للمفرقعات فى مصر ؟

مارسيل : **أيوه جون دارلنج هو اللى كان فكر فيها .**

المدعى : علشان إيه ، وكلف من بالشغلة دى ؟

مارسيل : **ما اعرفش .**

المدعى : قلت فى التحقيق إن الغرض من استخدام المفرقعات كان لصالح إسرائيل فى مصر .

مارسيل : **مش فاكره .**

المدعى : هل سافر أحد من أعضاء الجروب إلى الخارج ؟

مارسيل : **أيوه .. عارفه إن فيه ناس من أعضاء الجروب لكن ما اعرفش أسماءهم بالضبط .**

الرئيس : بلاش بالضبط ... قولى اللى تعرفيه .

مارسيل : **مش فاكره ... (ثم قالت بعد فترة) .. طيب أنا قلت فى التحقيق إيه ؟**

الرئيس : لا .. إنت حتشتغلى علينا كمان ... (ثم وهو يضحك) .. مش فاكره !

المدعى : فيكتور ليفى ما سافرش بره ؟

مارسيل : **أيوه سافر .**

المدعى : سافر فين وعلشان إيه ؟

مارسيل : **ما شفتوش لما سافر وما اعرفش .. وسمعت أنه سافر فرنسا .**

المدعى : ما رحش إسرائيل ؟

مارسيل : **ما اعرفش .**

المدعى : أنت قلت إنه سافر إسرائيل عن طريق فرنسا .

مارسيل : **يمكن .**

المدعى : هوه نفسه فيكتور ليفى قال كده ، علشان يتخصص فى اللاسلكى .

مارسيل : **ما أعرفش .**

المدعى : فيليب ناتانسون ما سافرش للخارج ؟

مارسيل : **أعرف إنه كان حيسافر ولكن ما اعرفش إذا كان سافر أم لا .**

المدعى : جون دارلنج ما بعتش جواب علشان خاطر فيليب يسافر ؟

مارسيل : **أيوه .**

المدعى : ما طلبش منك فلوس علشان يسافر ؟

مارسيل : **أيوه ومش فاكره طلب كام .**

المدعى : أنت قلت إنه طلب ٤٠٠ جنيه .

مارسيل : **ما دام قلت كده ، يبقى طلب ٤٠٠ جنيه .**

المدعى : ما كلمتيش مرزوق فى حكاية سفرهم ؟

مارسيل : **مش فاكره .**

المدعى : كانوا مسافرين يعملوا إيه ؟

مارسيل : **كان مطلوب سفرهم ومش عارفه ليه .**

المدعى : واشمعنى إسرائيل بالذات ؟

مارسيل : **ما اعرفش .**

الرئيس : هل حد منهم قال لك إنه مسافر ، ورجع ؟

مارسيل : **أيوه الدكتور مرزوق .**

الرئيس : قال لك إيه بعد ما رجع من إسرائيل ؟

مارسيل : **ما قالش حاجه ، هو قال لى إنه سافر إسرائيل ورجع**

الرئيس : ما قالش لك قعد أد إيه هناك واتعلم إيه ؟

مارسيل : لا .

كانت مارسيل تجيب عن الأسئلة بالإجابات نفسها تقريبا .. ما اعرفش .. مش فاكره .. مفيش رد .. وكانت تلقى بمثل هذه الإجابة قبل أن يستكمل ممثل الادعاء أو رئيس المحكمة السؤال .. وكانت وهى ترد لا تنظر إلى أحد ، وإنما توجه نظرها ، ووجهها الجامد إلى الفراغ الذى يعلو هيئة المحكمة ، وكأنها تتأمل نقوش السقف ، أو تفحص جودة الطلاء .

وفى استراحة جلسة استجوابها سألها مندوب مجلة « المصور » :

ـــ عندك أمل فى البراءة ؟

فتساءلت ببرود :

ـــ براءة !!

ولاحظ الذين تابعوا الجلسة أنها كانت تدعى أنها لا تعرف اللغة العربية ، إلا أنها فى الاستراحة طلبت الصحف المصرية ، وراحت تتابع تفاصيل قضية الإخوان المسلمين ، التى اتُهموا فيها بمحاولة اغتيال جمال عبد الناصر فى ميدان المنشية ، وكانت محاكمتها تجرى فى وقت محاكمة هؤلاء اليهود .

ولاحظ الذين تابعوا الجلسة أيضا أنها التهمت فى الاستراحة سبعة سندوتشات على الأقل .. ثم أربع موزات .. ثم ثلاث من اليوسفى .. ثم أشعلت نصف سيجارة ، دخنته وهى ترشف فنجانا من القهوة .

وقال لها مندوب « المصور » :

ـــ يظهر إن معدتك كويسة يامارسيل ؟

فردت فى تحدٍّ :

ـــ طبعا !

ولا جدال فى أنها جاسوسة محترفة .. موهوبة .. مدربة .. تعرف ماذا تقول .. وتجيد فن المراوغة .. وذلك على عكس معظم أفراد الشبكة .. أولئك الجواسيس

الصغار الذين ورطهم حبهم الفطرى لليهود .. ثم دفعهم طموحهم إلى مزيد من التورط .. السفر إلى إسرائيل .. التدريب .. وإشعال الحرائق .. وقد مُورست معهم كل أساليب تجنيد الجواسيس .. فتح ثغرة فى نقاط الضعف .. المال .. النساء .. السفر إلى باريس .. ثم معاملتهم بقسوة فى الغربة .. والرد على بعضهم بألفاظ نابية .. ثم .. تهديدهم بفضح أمرهم للسلطات المصرية لإخضاعهم تماما .

وأغلبهم كان صغير السن يوم بدأ تجنيدهم .. تحت العشرين .. فى مرحلة الدراسة .. وفى مرحلة المراهقة أيضا .. والشاب فى هذه العمر يمتزج طموحه بالمغامرة ، ومستقبله بركوب الأخطار .. ويسعده العمل السرى .. ويستهويه التكتم .. لكنه فى الوقت نفسه يفضل أن يسلم نفسه لقوة باطشة .. قاهرة .. تعيده رغم كل الجنوح إلى مجرى النهر .. وقد كان جون دارلنج بالنسبة لهم هذه القوة .. فلم يكن من الصعب عليهم أن يصبحوا جواسيس !



مدرســة « راجــيل » !

كان لا بد من السفر إلى إسرائيل مهما كان الثمن !

قبل حرب فلسطين ، كانت العائلات اليهودية التي تقيم هناك ، تأتي في الصيف إلى الإسكندرية ، لتقضي الإجازة على الشواطيء في المنتزه والمعمورة وميامي وسيدي بشر وسان استيفانو .. وكان كثير من المصريين يفضلون قضاء إجازاتهم في القدس .. زهرة المدائن .. والمدينة التي منحها الله تسعة أعشار الجمال ، وترك العشر الباقي للعالم ، وفرض عليها تسعة أعشار الألم ، ووزع الباقي على العالم .

كان الانتقال بين مصر وفلسطين سهلا .. بواسطة قطار ، مُدت خطوطه الحديدية عبر البلدين .. ولم يتوقف إلا بعد إعلان دولة إسرائيل .. فقد حرمت الحكومة المصرية سفر مواطنيها إلى الأراضي المحتلة ، واعتبرت ذلك جريمة منذ ١٥ مايو ١٩٤٨ .

لذلك ... كان على أعضاء الشبكة أن يسافروا إلى إسرائيل سرا .. وعن طريق دولة أوربية ، كانت ــ حسب تعليمات جون دارلنج ــ فرنسا .

اتصلت مارسيل بينو بالدكتور موسى ليتو مرزوق ، وقالت له :

ــ جون دارلنج عايز يشوفك في فرنسا .

ــ كيف ؟

ــ تصرف !

ــ أخشى أن يشكوا في سفري !

ــ دع الهواجس وكن جريئا يادكتور !

وأمام المحكمة أكمل الجراح اليهودي الشاب القصة ، فقال :

ـ وحدث فى هذا الوقت مصادفة عجيبة .. إن سيدة عجوز اسمها مدام كاميل ، كانت فى قسم الجراحة وتحت إشرافى ، وأجريت لها عملية بتر فى الساق ، لها ابنة فى باريس ، ولما عرفت إن أمها عيانة طلبت إحضارها إلى باريس ، وعلى ذلك سافرت معها ، وفى باريس اتصلت بجون دارلنج ورويت له التجربة الفاشلة لاسطوانة توزيع المنشورات ، فرد على بكلمة نابية (!!) .

بقيت فى اللوكاندة ١٠ أيام ، ثم اتصل بى دارلنج ، وسافرنا إلى مارسيليا ، وكان معنا شخص ثالث .. يهودى اسمه راؤول .. وفى مارسيليا تغيرت لهجة دارلنج ، وقال لى : إنه مسافر إلى إسرائيل وعايزنى معه .

وسافرت إلى إسرائيل فى أواخر سنة ١٩٥٢ .. وفى حيفا لقيت شخصا اسمه مولدخاى استقبلنى نيابة عن دارلنج ، ونزلت فى فندق « لاميل » ، وأخذت ٥٠ جنيه ، وبعد ٣ أيام جاء شخص آخر اسمه جيدون ومعه فتاة اسمها « راحيل » ، وبدأت أتعلم فن اللاسلكى ، ولم أستطع أن « أفلفص » ، وبقيت فى إسرائيل ٦ شهور .

تركت إسرائيل إلى فرنسا ومنها إلى مصر .. وقبل أن أغادر باريس ، أعطانى راؤول « كارت » وطلب منى أن أسلمه إلى شخص اسمه سيزار كوهين فى بنك « زلخا » ليسلمنى مبلغ ٤٢٠ جنيه . وقال لى إن مارسيل حاتديك فلوس ، ولما جيت مصر قابلت سيزار كوهين وسلمنى المبلغ وماشفتوش بعد ذلك .

وأعطتنى مارسيل ٣٥٠ جنيه ، وطلب منى جون دارلنج أن أسلم فيليب ناتانسون ٧٠٠ جنيه ليسافر هو وروبير داسا إلى فرنسا ، وبعد ما خلصت الفلوس بقيت أصرف من جيبى .

س : كيف كان المال يصل إلى مارسيل :

جـ : لا أعرف .

س : هل كنت تدفع إيجار الشقق من فلوس الجروب ؟

جـ : نعم .

س : قلت إن هذه الشقق كانت جرسونييرات لأعراضك الخاصة ؟

جـ : نعم .

س : طب الجروب ماله ومال الجرسونييرات بتاعتك !

ظهر الخجل على وجه الجاسوس ، الجراح ، وأحس أنه وقع فى مطب صغير ، لكنه حرج .. وكان أن قال :

جـ : كان فيه عنصر عدم أمانة منى شخصيا فى استخدام أموال المنظمة فى دفع إيجار الجرسونيـيرات دى ، وكان يجب أن أصرف الفلوس فى طلبات الجروب .

س : وهل طلبات الجروب هى أن تخرج فى اصطحاب سيدات لهذه الشقق ؟

جـ : لا ..

ثم بعد فترة قال : **جايز** .. وقبل أن يصمت أضاف : **أنا ما اعرفش !**

س : جايز إزاى .. أنت قلت إنك كنت غير أمين فى دفع الإيجار من فلوس المنظمة ، **يبقى جايز إزاى** ..

وشحُب وجه المتهم ... ولم يرد !

بعد أن عاد د . مرزوق من إسرائيل قادرا على استخدام اللاسلكى ، تلقى من مارسيل جهازا وضعه فى الشقة التى استأجرها فى شارع رشدى .. وسط القاهرة .. وكانت هذه الشقة ، جرسونييرا أيضا على حد قوله .

لقد أصبح الطبيب ، اليهودى ، جاسوسا بمعنى الكلمة .. متورطا بيده وقلبه وعقلة وأمواله .. وفيما بعد قال أمام المحكمة :

ــ إنه بعد أن أخذ جهاز اللاسلكى من مارسيل ، لم يستطع أن يجازف بأن يرى الجهاز أشخاصا آخرين لكى لا يجلب لنفسه تهمة .

رئيس المحكمة : وهو الجهاز يجيب لك تهمة ... ليه ؟

المتهم : اللى اعرفه أنه غير قانونى .

قالها باللغة الإنجليزية !

الرئيس : ما تتكليم عربى يا أخى ، ما انت تعرف عربى زى الولعة والا ما تحبش اللغة العربية ؟

وأعاد المتهم الإجابة باللغة العربية .

ممثل الادعاء : مارسيل قالت إن الغرض من إنشاء الجروب ده .. التجسس !

المتهم : **هو جون دارلنج أكد لى إنى ماليش دعوة بالمسائل دى .**

المدعى : يوسف زعفران قال فى التحقيق إن الغرض هو تسهيل ضرب مصر .

ازداد شحوب المتهم وظل فترة صامتا ، مطاطىء الرأس كمن يفكر فيما يجب أن يقوله ، وبصوت خافت أجاب : **أنا ما اعرفش !**

المدعى : هل كنت موافقا على سفرك إلى إسرائيل ؟

المتهم : **نقدر نقول مافيش موافقة !**

المدعى : طيب .. إيه اللى خلاك تسافر ؟

المتهم : **اللى حصل كده وأنا كنت واخد كلام جون دارلنج بحسن نية .**

الرئيس : أنت قررت فى التحقيق عكس ذلك فقلت إنك كنت واخده بحذر .

المتهم : **بخصوص الأغراض الرئيسية كنت واخدها بحسن نية ، وأما بخصوص وسائل التنفيذ ما كنتش واخد المسألة جد ، ومش مصدق .**

الرئيس : ما رحتش تلف أنت ويوسف زعفران حول المناطق العسكرية ؟

المتهم : **بالتأكيد لا .**

الرئيس : قررت مارسيل أنكما خرجتما سويا علشان تشوفوا المناطق العسكرية وعلشان تاخدوا عنها فكرة لصالح إسرائيل .

المتهم : **هذا غير صحيح .**

الرئيس : طيب وانت تعلمت ليه قراءة الخرائط ، غرضهم كان إيه ؟

المتهم : **ما اقدرش أعرف السبب !**

الرئيس : ما قدرتش تستنتج وأنت دكتور مثقف ؟

المتهم : **لا ما قدرتش أستنتج حاجة !**

عن طريق فرنسا أيضا ، سافر فيكتور ليفى إلى إسرائيل .. لقد سافر إلى فرنسا فى أكتوبر ١٩٥١ ، بحجة الدراسة فى كلية العلوم هناك ، وقبل أن يصل باريس ، كان جون دارلنج يعرف بموعد وصوله ، من خطاب أرسله إليه صمويل عازار .

وحتى لا نضيف من عندنا .. نترك فيكتور ليفى يروى ما حدث بنفسه .. وكل ما علينا الآن أن نجلس فى مقاعد التاريخ ونستمع بانتباه .

قال فيكتور ليفى أمام المحكمة :

ـ فى باريس قابلنى جون دارلنج ، وأعطانى ١٠ جنيهات ، مساعدة ، وبقيت فى اللوكاندة عدة أيام ، بمفردى ، جاء بعدها ليسألنى السفر إلى إسرائيل .. قلت له مش ممكن .. فظل معى ٣ شهور حتى غير فكرى ، وقعد لغاية شهر يناير ١٩٥٥ يساعدنى ، ويدينى فلوس ، وفى آخر يناير ، قال لى : أنا عندى رحلة كويسة إلى إسرائيل .. وحتنبسط .

فى ٢٣ فبراير ١٩٥٢ ، سافرت إلى إسرائيل بالباخرة من مارسيليا ، ونزلت حيفا ، وفى حيفا أقمت فى فندق « لاميل » ـ (الفندق نفسه الذى نزل فيه د . مرزوق) ـ وأخذت من صديق لجون ، اسمه ميشا ٦٠ جنيه ، ولفيت إسرائيل .

وعلى يد بنت اسمها راحيل تعلمت فن اللاسلكى فى شهرين ؛ وفى أول شهر كنت أستقبل ٩ كلمات فى الدقيقة ، وده مستوى ضعيف ، لكن فى الشهر الثانى رفعت المعدل إلى ١٨ كلمة .

ودرست الطوبوغرافيا .

وفى أثناء « الكورس » قابلت د . موسى ليتو مرزوق عند تعلم اللاسلكى ، وكانت أول مرة أشوفه . وقعدت فى إسرائيل ٥ شهور .. كان سنى ١٩ سنة ، وكانوا بيدونى فلوس كتيرة .

فى ٧ أغسطس ١٩٥٢ ، تركت إسرائيل إلى فرنسا ، على وابور بحر بدون أوراق ، وفى مارسيليا عرفت راؤول وهو ظالب يهودى بيدرس فى فرنسا ، وأعطانى الباسبور بتاعى ، وسافرت إلى باريس للسياحة ، وأخذت ١٠ آلاف فرنك فى اليوم .

الرئيس : مش كبير المبلغ ده فى باريس ؟

ليفى : علشان تلميذ يبقى كبير .

الرئيس : قعدت قد إيه فى باريس .

ليفى : سبعة أشهر .

الرئيس : يعنى كنت مهيص ؟

ليفى : قوى .

الرئيس : مين اللى كان بيديك الفلوس ؟

ليفى : راؤول .

الرئيس : وليه صرفوا عليك المدة دي فى باريس ؟

ليفى : أنا أصلى يونانى ، والقنصل المصرى فى باريس ما كانش عايز يدينى تأشيرة .

الرئيس : عملت إيه فى السبعة شهور دول ، بس كنت بتخبط كل يوم الفلوس دى ؟

ليفى : كل ما بتتأخر الفيزا كنا بنفضل قاعدين ، ولما جت الفيزا ، سافرت على طول ، ووصلت الإسكندرية فى ٣ مارس ١٩٥٣ .

فى شهر ديسمبر ١٩٥٣ ، أو شهر يناير ١٩٥٤ ، وصلنى جهاز لاسلكى من الدكتور موسى مرزوق ، أخذته منه فى القاهرة فى المستشفى الإسرائيلى ، وهم كانوا عايزين نأجر شقة ونحط فيها اللاسلكى ، وأجرنا الشقة أنا وصمويل عازار فى شارع المستشفى الأميرى ، وجبنا فرش ، وحطينا إيريال .

الرئيس : إيريال يعنى إيه باللغة العربية ؟

الدفاع : سلك هوائى .

ليفى : حطينا الإيريال ، وما كناش عارفين نستعمل اللاسلكى ، لكن بعد فترة عرفنا .. وفى أبريل ١٩٥٤ ، جاء جواب من فرنسا مؤرخ فى ٤ أبريل ، وتحت طابع البوستة فيلم صغير ، زى الباغة (نوع من البلاستيك) ولما فيليب ناتانسون

حط عليه أحماض ، ظهر الكلام ، وكان الكلام عبارة عن مذكرة خاصة بموضوع كيفية عمل الحرائق والمفرقعات .

وفى ١٠ مايو ١٩٥٤ جاء جواب تانى بيقول إن فيه واحد من زملائى اسمه روبير حييجى عند فيليب ناتانسون وحاتعرف عليه ، وبعدين روبير ضرب لى تليفون وحدد لى موعد الساعة الثامنة ، فقابلته .. وعرفنا بعدين إن روبير هو بول فرانك .

وهو قال لنا : أنا جاى من فرنسا وجايب معايا آخر التعليمات ، وطلب فيليب ناتانسون منا إننا نتمشى شوية ، وروبير قال لنا : احنا عايزين منكم حاجات خفيفة ، وفيه جواب كان جه علشان تعملوا حرايق ، وأنا حاعلمكم إزاى تعملوا بمب صغير وأقول لكم فين تحطوه ، وقال لنا : إن أحسن لكم تعملوا اللى أنا طالبه منكم لأن أنا عندى أصحاب كتير ، وإذا ما تعملوش ده أنا سأقول لهم إنكم ذهبتم إلى إسرائيل ودى حاجة مش كويسة علشانكم ، وبعدين ذهبنا للشقة وفهمنا روبير إزاى أعمل « الفرويلة » وعمل لنا بروجرام خاص ، بالأماكن اللى حنحرقها .

وقعد روبير يحاول معانا ، ودور مخنا ، وأنا فهمت أنهم سفرونا فرنسا وإسرائيل ، وجابونا هنا وزنقونا ، ولازم نعمل اللى هما عايزينه ، وإن ماعملناش يقولوا إننا رحنا إسرائيل .

وبعدين عملنا الحريق فى البوستة ومكتب الاستعلامات الأمريكى ، والسينمات ، وعايز أقول إن روبير أو بول فرانك ، جاء علينا زى الصقر ، وتانى يوم اشترينا أنا وفيليب المواد اللى تعمل الحريق وأعطانا أنا وداسا الرسم بتاع عمل الحرايق اللى جه فى الجواب ، وحطينا القنابل فى علب النظارات ، وزى ما قال لنا ، عمل كل يوم حريقة .

المدعى : هل عرفت مدى صلة جون دارلنج بإسرائيل ؟

ليفى : اللى أنا اعرفه عنه أنه كان مزارع فى مستوطنة إسرائيلية ثم التحق بالجيش .

المدعى : مين اللى كان بيتصل بجون ؟

ليفى : صمويل عازار ، وأنا كنت باكتب له جوابات وبارسل له ريبورت (تقرير) كل كام شهر .

المدعى : قعدت تبعت ريبورت كام شهر ؟

ليفى : حوالى ١٠ أو ١٢ ريبورت .

الرئيس : كنت بتكتب فيها إيه ؟

ليفى : الأول قلت فيه إنى وصلت ، والثانى لما روبير داسا وصل من فرنسا ، والثالث لما فيليب وصل من فرنسا ، وواحد خاص بالحسابات ، والفلوس اللى وجدتها عند صمويل عازار ومنها ٣٠٠ جنيه عند ماير ميوحاس ، والخامس ذكرت فيه أننا بنعمل المعمل ، والسادس علشان الشقة ، وكان فيه بعض جوابات ما كانش فيها حاجة ، كانت مجرد اتصال ، لأنهم كانوا عايزين يشعروا دايما إننا معاهم ... انتهى .

فى نهاية سنة ١٩٥٢ ، سافر روبير داسا ، واسمه المستعار روجيه إلى فرنسا ، ومنها إلى إسرائيل .. وبعد أيام جاء الدور على فيليب ناتانسون .

فى فرنسا قابل ناتانسون صديقه الحميم ليفى ، الذى عرفه بشخص اسمه سيمون ، قال له عنه : إنه من أصحاب دارلنج .

كان حلم ناتانسون أن يدرس فى فرنسا ، لكن سيمون قال له :

ــ انت تأخرت عن الدراسة هنا .

ــ كان من الصعب أن آتى قبل ذلك .

ــ على كل حال هناك فرصة تدرس فى إسرائيل .

وفهم ناتانسون أن ليفى سافر إلى إسرائيل وعاد ، وأن داسا سوف يسافر إليها ، فقال بينه وبين نفسه : « طيب وأنا ما اسافرش ليه ؟ » .

بعد ٤ أسابيع فى باريس ، سافر إلى إسرائيل ، وكان ذلك فى شهر فبراير

١٩٥٣ ، ووصل بالباخرة إلى حيفا ، وعلى رصيف الميناء كان ينتظره من يدعى شلومون ، وكان معه فتاة اسمها هنيا ، وشخص ثالث ، لم يتذكر ناتانسون اسمه .. وكالعادة نزل فى فندق « لاميل » والتقى بروبير داسا ، وتعلم التصوير ، وخلط الأحماض .. وبقى هناك شهرين ونصف ، وكان من الطبيعي أن يتفرج خلال هذه المدة على إسرائيل .

وفيما بعد ، سأله رئيس المحكمة :

الرئيس : ألم تتعلم فى إسرائيل قراءة الصور ؟

ناتانسون : لا .. ح اقرأ فيها إيه !

الرئيس : تقرأ فيها شريط سكة حديد ، أو مدينة ، أو كنيسة ، أو بحرا أو ترعة .

ناتانسون : لا .. ما اعرفش .

الرئيس : أمال اتعلمت إيه ؟

ناتانسون : اتعلمت حيل التصوير .. التروكاج .. ثم طلبوا منى أتعلم صناعة الكبريت ، وهى مادة ملتهبة ، فوافقت ، وتعلمت الشغلة دى فى حوالى شهرين ونصف فى نفس مدرسة التصوير .

الرئيس : ما سألتش ليه بتتعلم شغلة مواد الكبريت ؟

ناتانسون : لا .. هم قالوا إننا حنعلمك وأنا ما سألتش .

الرئيس : وبعدين ؟

ناتاسون : وبعدين انتهى التعليم ورجعت فرنسا ، وقعدت لغاية أكتوبر ١٩٥٣ ، ثم عدت إلى مصر .

الرئيس : وإيه اسم المدرسة اللى كنت بتتعلم فيها صنع المفرقعات والكبريت اللى بتقول عليه .

ناتانسون : ما لهاش اسم ولازم بتاعة الحكومة .

الرئيس : هل رأيت فى المدرسة تلميذ غيرك ؟

ناتانسون : لا .

الرئيس : مدرسة يبقى فيها تلميذ واحد ومدرس واحد تبقى مدرسة خاصة !

ناتانسون : ما اعرفش .

الرئيس : عملت إيه بعد ما رجعت إسكندرية ؟

ناتانسون : أعددت المعمل الخاص بالتصوير والمعمل الخاص بالمواد المفرقعة ، واشتريت مكبر تصوير ثمنه ٢٧ جنيها .

المدعى : هل قويت علاقتك بالجروب ؟

ناتانسون : طبعا .. وكنت باخد منهم مساعدة ١٠ جنيهات شهريا فى حالة تعطلى عن العمل و٥ جنيهات فقط فى حالة اشتغالى .

المدعى : ومتى بدأت فكرة الحرائق ؟

ناتانسون : فيكتور ليفى قال لى إن شخصا اسمه روبير سيتصل بك فأمل خيرا .

الرئيس : يعنى حايجيب الخير ويجى .

ناتانسون : وبعدين أعطيت روبير موعد الساعة ثمانية فى سينما ريو ورحت فى الموعد ومعى فيكتور ليفى ، وساعتها روبير طلب منا نعمل حرايق .

الرئيس : علشان إيه تعملوا حرايق .

ناتانسون : ما اعرفش ، واحنا بصينا لبعض وهو بيتكلم ، وقال لنا أنا عندى أصحاب كتير وإن ما كنتوش حا تعملوا الحرايق حاأقول لهم إنكم كنتم فى إسرائيل ، وحيحصل لكم حاجات كتيرة وطلب أن نعمل ٣ علب فيم فيها مواد حارقة ، ودى اللى عملنا بيها عملية البوستة .

وروبير ده كان قال لنا إنه عايز يعمل حاجة كبيرة يوم ٢٣ يوليو ، ونعمل حرايق فى السينات علشان كان اليوم ده يوم عيد .

الرئيس : يعنى كان عايز ينكد علينا .. ليه اختار اليوم ده بالذات ؟

ناتانسون : أنا ما اعرفش ، وما سألتوش ، وطلب أن تكون المفرقعات فى علب نظارات ونفذنا التعليمات .

الرئيس : إنت قلت فى التحقيق إنكم بتعملوا الحاجات دى بغرض مساعدة إسرائيل فى الحرب .

ناتانسون : أيوه قلت .

الرئيس : علشان إيه اتعلمت الكيمياء والتصوير فى إسرائيل ؟

ناتانسون : علشان بصفة شخصية .

المدعى : ماذا تعرف عن جون دارلنج ؟

ناتانسون : لا شيء .

المدعى : من أين جاء إلى مصر ؟

ناتانسون : ما اعرفش .

المدعى : ألم تفهم منه كيف أراد خدمة إسرائيل ؟

ناتانسون : لا ، أنا فهمت إنه عايز يسفر ناس لما تحصل حرب ، لان اليهود كانوا بيتقتلوا أو خاف أحسن يتقتلوا فى مصر .

الرئيس : هو فيه حد مصرى موت حد من اليهود فى مصر .. إنت تعرف إننا بنفرق بين يهودى ومسلم ومسيحى ؟

ناتانسون : أنا ما بقولش المصريين ، أنا قلت فى مصر ، يعنى جايز يحصل حرب بين مصر وأمريكا .

انتهى .

□ ٦ □

انتحار « بنيت » !

ـــ هل تسمح لى ياسيادة المحقق بطلب بسيط ؟

ـــ تفضل !

ـــ أريد أن تسمح لى بالاستماع إلى بعض ألحان « فاجنر » حتى ترتاح أعصابى المحطمة !

ـــ هل تعشق فاجنر إلى هذا الحد ؟

ـــ نعم .

ـــ لكنك على ما يبدو تعشق صوت المفرقعات أكثر .. عموما سننظر فى الطلب .. وعليك الآن أن تواصل اعترافاتك !

صاحب هذا الطلب الرومانسى الناعم ، الذى يقطر عذوبة ، هو أخطر جواسيس الشبكة ، وأكثرهم احترافا .. هو « الصيد الثمين » فى القضية .. هو ماكس بنيت .

وعند القبض عليه ، لم يتردد فى المساومة ، وطالب أن يكون ثمن اعترافه إرسال برقية إلى زوجته وابنته فى ألمانيا ، يهنىء فيها الصغيرة بعيد ميلادها .. ولم تقبل سلطات التحقيق المساومة .. وشكت فى أن البرقية « شفرة » إلى زوجته بأنه اعتُقِل ، فقد أثبتت التحريات التى جُمعت عنه أنه ليس له ابنة .. لا صغيرة ولا كبيرة .. وأن له ابناً .. صبياً .. وحيداً ، اسمه « ميدل » من زوجته الإنجليزية التى نجح فى ترحيلها ـــ مع الصبى ـــ إلى خارج مصر ، قبل القبض عليه بأيام .. وأغلب الظن أنه اتفق معها على إرسال البرقية إذا ما وقع .

وماكس بنيت .. عمره ٣٨ سنة من أصل ألمانى .. الأم مسيحية .. والأب يهودى ورغم أنه يهودى فقد كان أميل إلى المسيحية ، ولوحظ أنه كان يفضل ـــ فى

الزنزانة ــ قراءة الإنجيل عن التوراة .. وقد كان التصور أنه يتعمد ذلك ، حتى يتقن كذبة أنه ليس يهوديا ، لكنه لم يغير هذا السلوك بعد أن ثبت بالدليل القاطع أنه يهودى .

لقد أنكر أنه يهودى أمام الصاغ السيد فهمى واليوزباشى جمال حسين من ضباط المباحث العامة ، ولاحظ الضابطان أنه يعرج قليلا .. أو يزك بقدمه ، وحين سُئل عن السبب ، ذكر أنه أُصيب برصاصة فى الحوض ، نتج عنها عجز فى الرجل اليسرى .. فلمعت فى رأس الصاغ سيد فهمى فكرة .. فطلب من ماكس أن يخلع ملابسه ليريه آثار هذه الإصابة .. وفهم ماكس الخدعة .. لكنه لم يجد مفرا من خلع ملابسه ، وعندما أصبح عاريا ، اتضح أنه قد أُجريت له عملية ختان .. أى أنه يهودى مهما كان موقفه من التوراة .

وحسب ما نشره ريتشارد ديكون (كتاب : الخدمة السرية الإسرائيلية ــ الناشر : شبير بوك ليمتد ــ لندن ــ ١٩٧٩ ــ The Israeli Secret Service) فإن القبض على ماكس بنيت كان أشد كارثة وقعت فى صفوف المخابرات الإسرائيلية فى ذلك الوقت ولمدة ١٠ سنوات تالية .. فهو جاسوس فعال ، ذو خبرة كبرى بأوروبا والشرق الأوسط .. « لقد كانت نهاية هذا العميل الذى ولد فى ألمانيا .. خسارة كبرى للمخابرات الإسرائيلية » .

رحل ماكس مع أسرته من ألمانيا ، إلى فلسطين ، فى الثلاثينات ، ودرس هندسة الكهرباء ، ثم انضم إلى « الهجاناه » .. وفى الحرب العالمية الثانية التحق بالكتيبة اليهودية التى قاتلت مع الجيش البريطانى ، وخدم فى قلم المخابرات الحربية البريطانية .. وعندما بدأ اليهود يقاومون الإنجليز ، فى فلسطين ، انضم إلى بنى جنسه .. وبعد إعلان دولة إسرائيل ، حصل على رتبة كولونيل فى جيشها .. وأتاح له ذلك الخدمة فى مخابراتها العسكرية .

ولأنه كان يتكلم اللغتين الإنجليزية والألمانية ، فقد تخفى فى فترات مختلفة كواحد

من أبناء هاتين اللغتين ، ولأن السفر كان غطاءه المحبب كرجل مخابرات ، فقد ادعى دائما أنه ممثل تجارى لشركات أوربية .. وبهذه الصفة مارس التجسس لصالح إسرائيل فى النمسا والعراق وسوريا وإيران ... وأخيرا مصر .

وحسب المصدر نفسه : كان ماكس بنيت « أحد الأوائل الذين حذروا إسرائيل من ارتقاء جمال عبد الناصر السلطة ، كما حذروها من التغيرات فى السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط ، ومن وجود جواسيس للسوفييت فى الخارجية البريطانية وفى جهاز مخابراتها » .

ملامحه ألمانية .. وتسريحة شعره .. وموديلات ثيابه .. فقد كان ماكس بنيت يفضل دائما ارتداء البالطو ، أو حمله على يده .

فى إحدى زيارته إلى لندن التقى بزوجته وأحبها ، وعندما عرض عليها الزواج ، رفضت الإقامة معه فى إسرائيل .. ولأنها كانت ثرية ، عرضت عليه أن يهاجر من إسرائيل .. ولأنه يحبها فقد قبل دون تردد .. لكن .. السلطات الإسرائيلية لم تقبل إلا بعد أن وعد بتنفيذ ما يكلف به من مهام فى الخارج .. وبقى ضابطا فى المخابرات الإسرائيلية بالرتبة نفسها .

وحسب معلومات السفارة العراقية فى القاهرة (انظر ملاحق الكتاب) فإن ماكس بنيت كان فى سنة ١٩٥١ يقيم فى طهران ، تحت غطاء أنه وكيل لشركة كاشان للسجاد ، وأنه نجح سرا فى تكوين وإدارة شبكة تجسس إسرائيلية فى إيران ، مدت نشاطها إلى العراق ، وقد قُبض على بعض جواسيسها (مثل سليم شالح ويوسف بازرى) لكنه لم يقبض عليه .. وحكمت المحكمة العسكرية العراقية على هؤلاء الجواسيس بأحكام تتراوح بين الإعدام ، والأشغال الشاقة المؤبدة ، والمؤقتة .

وحسب المصدر نفسه ، فإن المعلومات دلت على أنه المسيطر على الوكالة اليهودية فى طهران ، وأنه سافر إلى سوريا ولبنان ومصر ، وقد جاء إلى العراق سنة ١٩٤٨ ، متنكرا فى زى قسيس مسيحى ، وكان يرافقه شخص آخر من أصل روسى ، كما كان

يتردد كثيرا بين إيران وتركيا لإيصال ما لديه من معلومات إلى إسرائيل بواسطة السفارة الإسرائيلية فى أنقرة .

ودلت المعلومات على أنه سهل وصول الجاسوس الصهيونى إسماعيل صلحون ، واسمه الحقيقى يهودا ميرمنش ، والذى كان يرسل جميع تقاريره إلى جنيف على عنوان صندوق بريد رقم ١٦٠٢ ، ورقم ٥٣ طهران ، وقد قبض عليه فى بداية الخمسينات ، وأودع السجون العراقية .

وقد أرسلت السفارة العراقية هذه المعلومات وغيرها للتأكد من أن ماكس بنيت المقبوض عليه فى مصر ، هو ماكس بنيت نفسه الذى كان يرأس شبكة التجسس الصهيونية فى العراق .. فلو كان هو فالمطلوب أن يعاقب مرتين .. وأن يُسجن فى العراق بعد أن يُنهى مدة عقوبته فى مصر .. إلا إذا حكم عليه بالإعدام .

أما تحريات الأمن المصرى ، فقد أشارت إلى أن ماكس بنيت ترك إسرائيل إلى ألمانيا ، بقصد التعاون مع إبرام دار .. وفى مدينة بولون تقابلا .. وطلب منه إبرام دار : تثبيت دعائم شبكة العمر لإسرائيل فى مصر .

فى القاهرة اتصل ماكس بنيت بمارسيل نينو ، التى أخذ عنوانها وتليفونها من إبرام دار ، وبواسطة مارسيل كان من السهل معرفة أفراد الشبكة .

نزل مصر أول مرة تحت غطاء تجارى .. وكيل شركة ألمانية تقوم بتوريد بعض المهمات والأجهزة اللازمة للجيش المصرى .. وحدث بعدما التحق بهذه الشركة . أن رست عليه مناقصة لتوريد آلات إلى السلطات المصرية فأوفدته الشركة إلى القاهرة لفحص شروط المناقصة وإتمام الصفقة ، لكنه تعمد خلق العقبات فى طريق إتمام الصفقة ، حتى يطيل مدة إقامته فى مصر ، وحتى لا تكون هذه المدة مثيرة للشبهات .

ثم ... لعب لعبة شديدة الدهاء .. زعم أن شركته ليست فوق مستوى الشبهات ، وأنها ليست الأفضل ، ولأنه شخص أمين ولا يرضى إلا ضميره ، فقد رشح شركة

أخرى للسلطات المصرية ، التى أحست بالثقة فيه والاطمئنان إليه ، وبعد ٦ شهور عاد إلى ألمانيا ، وهناك راحت الشركة التى رشحها تتصل به ، وتسترضيه حتى يمثلها فى مصر ، وبعد الرفض ، قبل ، وكان قبوله له فائدة كبرى ، .. مرتب سخى .. وإقامة شرعية ، طبيعية ، تجعله يمارس عمله كجاسوس دون قلق ... فى مصر التى عاد إليها .

وبجرأة يحسد عليها ، تقدم إلى جمعية مشوهى الحرب المصرية ، وعرض عليها مساعدته فى سبيل استيراد الأطراف الصناعية من ألمانيا .. وتمكن بهذه الوسيلة من التعرف على بعض كبار رجال الجيش ، وكسب ثقتهم ، وحبهم ، لما كان يبديه من رغبة جامحة لمساعدة المشوهين من رجال الجيش المصرى ، ولما كان يتظاهر به من عطف كجندى ألمانى على الجنود المصريين ، وبذلك استطاع الاندماج فى الأوساط السياسية والاجتماعية ، والعسكرية ، وكان يُدعى إلى الحفلات العامة إلى جانب الشخصيات المصرية الكبيرة .

ويزعم ريتشارد ديكون أن ماكس بنيت استطاع أن يمد صداقته إلى رئيس الجمهورية اللواء محمد نجيب ، وأنه نتيجة لذلك ضرب ضربات موفقة ، وسرب معلومات عسكرية كثيرة مفيدة إلى إسرائيل .. لكن ليس فى الأوراق المصرية ما يشير إلى ذلك .. ولو كان هذا قد حدث ، لفُضح اللواء محمد نجيب .. خاصة وأن الفترة التى كان يحاكم فيها ماكس بنيت كانت فترة سحبت فيها الاختصاصات من الرئيس الأسبق ، وقبل أن تنتهى المحاكمة ، كان محمد نجيب فى معتقل المرج ... البيت الريفى لزينب الوكيل ، حرم مصطفى النحاس .. على بعد ٢٠ كيلو متراً من قلب القاهرة .

ولا جدال فى أن أصوله الألمانية أبعدت الشبهات عنه ... فهو ألمانى .. حارب إلى جوار هتلر كما ادعى .. أى أنه ضد اليهود .. أى أنه لا يمكن أن يكون معهم .. ولم يكن جهاز المخابرات المصرى قد نضج إلى حد كشف مثل هذا الأسلوب الذى كان مبتكرا .. ثم ... إنه اندمج مع مجتمع الألمان فى مصر .. وعدد كبير منهم كان نازيا ، وهرب إلى مصر ، عارضا خدماته .. وكانت مصر فى حاجة إلى هذه الخدمات فعلا .. خاصة فى الصناعات الحربية ، التى تطورت إلى رغبة فى صناعة الصواريخ فيما بعد .

وحسب التقرير رقم ١٦٠٤٨ ـ سرى جدا ، الموقع من حكمدار بوليس مصر فى ١٨ أغسطس ١٩٥٤ ، كان ماكس بنيت على اتصال « بعملاء إدارة مخابرات السفارة البريطانية فى مصر ، وقد تبين أنه كُلف من هذه الإدارة بعمل من أعمال التجسس على الجيش المصرى ، وتقديم تقارير وافية عن مدى نشاط ومساعدة وأعمال الخبراء الألمان الذين يعملون فى إدارة المصانع الحربية ، وقد اتضح فعلا أن المذكور متصل بالخبير الألمانى المدعو هلموث اندرك ، وهو خبير فى صناعة الأسلحة الثقيلة ، وكذا على اتصال بالخبير الألمانى المدعو جوهانس جرنهارت ، وهما ملحقان بمكتب حسن رجب وكيل وزارة الحربية المساعد لشئون المصانع » .

ومصدر الاقتباس هنا ، الوثيقة رقم ١٠٧ ، ص ٧٦٦ ، من كتاب محمد حسنين هيكل : « ملفات السويس » ـ الناشر : مؤسسة الأهرام ـ ١٩٨٦ .

عند عودة ماكس بنيت من ألمانيا ليتسلم عمله فى مصر ، كان يحمل فى جيوب خفية من حقائبه ثلاثة أجهزة اتصال ، تسلمها من إبرام دار فى فرنسا ، وهو فى طريقه إلى القاهرة .. وقد سلم اثنين منها إلى مارسيل ، لتوزعها على فرعى المنظمة ، واحتفظ بالثالث لنفسه ، ولاتصالاته .. والمذهل أنه لم يحمله إلى بيته بضاحية الزمالك ، وإنما تركه ـ بقلب قوى ـ فى شنطة سيارته الخاصة ، داخل صفيحة زيت .. كان نصفها لزيت المحرك ، والنصف الآخر بمثابة بيت مسحور للجهاز .. وصفيحة الزيت كانت ماركة « شل » .. وقد صنعت هكذا فى فرنسا ، وجاء بها كما هى .. وفى داخل علبتى مربى ، أدخل الجهازين الآخرين .

تردد ماكس بنيت على مصر ٣ مرات .. كان آخرها فى بداية سنة ١٩٥٣ ، حيث دخل ولم يخرج .. أو دخل على قدميه وخرج على ظهره ، كما سنعرف بعد قليل .

كان يعيش فى مستوى مرتفع من المعيشة .. فبيته فى الزمالك .. وسيارته شيفروليه

وثيابه من باريس .. وزوجته تظهر فى الحفلات وعلى صدرها وفى أذنيها ثروة من البريق والمجوهرات .. وكان سخيا .. يعرف متى وكيف يدفع البقشيش .. وسهل له ذلك الكثير .. لكن .. علاقاته القوية سهلت له الأكثر .

وعندما قُبض عليه .. ثار وغضب .. وقال لمن قبض عليه : لا بد أنك مخطىء ، فأنا لست الشخص الذى يُطلب القبض عليه !

وفى يوم القبض عليه ، أُرسل تحت السلاح إلى الإسكندرية ، حيث كان التحقيق .

وعُثر فى بيته على ورقة صغيرة ، بيضاء ، مكتوبة باللغة الإنجليزية ، وُجد على أحد وجهيها كتابة بهذه اللغة نفسها مثبت بها أرقام فى ثلاثة أعمدة ، تبين فيما بعد أنها عبارة عن أطوال الموجات الخاصة بالأجهزة اللاسلكية الثلاثة التى أحضرها معه من الخارج ، وتبين أيضا أنه مثبت على الوجه الآخر لهذه الورقة أسماء باللغة الإنجليزية ، اتضح أنها شفرة اصطُلح على أنها أسلوب للتخاطب مع إسرائيل .. وعُثر على جهاز تسجيل صغير فى حجم علبة الكبريت .

عُثر أيضا على عدة تقارير عن مصر :

١ ــ تقرير عن الحالة السياسية .

٢ ــ تقرير عن الحالة الاقتصادية .

٣ ــ تقرير عن مركز الحكومة القائمة طبقا للصراعات الداخلية ، والسياسات الخارجية .

٤ ــ نظرة مقارنة بين مصر وإسرائيل .

وعُثر كذلك على مفكرة تضم أسماء وتليفونات شخصيات مهمة ، قال إنها كانت تستفيد بخبرته فى إصلاح السيارات ، بعد أن ترك الشركة الألمانية ، وانتقل إلى العمل كمهندس ــ كهرباء فى شركة اجيبشيان موتورز .

وهناك أكثر من رواية للقبض عليه .

البوليس يقول إن مارسيل نينو بعد القبض عليها ، قررت أنه يوجد فى مصر ضابط مخابرات إسرائيلى برتبة كولونيل ، يُدعى ماكس بنيت ، واسمه الحركى أميل ، لكنها لا تعرف مكانه ، وإنما تعرف رقم سيارته ، فانتشر رجال المباحث يفتشون عن السيارة ، التى عُثر عليها فى جراج خاص بالزمالك ، فأرشد صاحب الجراج عن صاحب السيارة ، ومسكنه ، فقبض عليه .

النيابة التى تولت التحقيق ، تقول : إن أمره ظل مجهولا لدى السلطات المصرية حتى انتحر الصهيونى أرمان كرموده ، الموظف بشركة مصر الجديدة ، فقد شنق نفسه فى شقة لمارسيل ، غير التى تقيم فيها ، وتقع فى مصر الجديدة ، وعند معاينة الشقة عثروا فى حقيبة العجوز ، المنتحر ، على أوراق باسم ماكس بنيت ، تدل على أنه حضر إلى مصر بجواز سفر ، على أنه وكيل لإحدى الشركات ، وكان من السهل بعد ذلك أن يُقبض عليه .

أما الرواية الثالثة ـــ والتى لم تظهر إلا فيما بعد ـــ فتؤكد أن عميلا مزدوجا هو الذى أبلغ عنه السلطات الرسمية .. والرواية رغم أنها إسرائيلية ، فإن العديد من الكتب الغربية عن المخابرات الإسرائيلية ، تميل إليها وتفضلها ، لأسباب سنتعرض لها فى الوقت المناسب .

جرى التحقيق المبدئى مع ماكس بنيت فى سجن المحطة فى الإسكندرية .. وحسب أوراق التحقيق ، ظل فترة من الوقت يصر على أنه قُبض عليه بطريق الخطأ ، وعندما قدموا له الأدلة التى تخصه ، حاول إقناع المحققين بأنه يعمل فى خدمة المخابرات البريطانية .. وحتى يصدقوه ، كشف لهم معلومات حقيقية قُدمت إليه من السفارة البريطانية عن الخبراء الألمان فى مصر .. ولما أحس أن المصريين سيصيبون بحجره أكثر من عصفور ، أخذ الطريق المختصر ، واعترف .

أهم ما جاء فى اعترافاته ، أنه جاء نيابة عن إبرام دار لمتابعة أحوال الشبكة ، وتقديم التقارير عنها ، وقال إن هذه الشبكة اختيرت لتكون بمثابة طابور خامس ، ولكى تنمو الخطة ، وتنضج ، وتكبر ، وتتسع ، ويتحول الهواة فيها إلى محترفين ،

وأكد أن إبرام دار ، ضابط مخابرات إسرائيلى ، وهو أيضا ، وأنه فعل ما فعل ليهرب من العيش فى إسرائيل ، كذلك ، لم ينكر أنه اتصل بمارسيل نينو ، وصمويل عازار ، وماير ميوحاس ، بشأن معمل المفرقعات ، ودفع لهم ٤٥٠ جنيها لذلك ، على أن يحاسب إبرام دار فيما بعد ، عندما يراه فى باريس .

وفى سخرية ، علق رئيس المحكمة على هذه النقطة قائلا :

— يعنى راحت عليك الفلوس .. ياحلو !

فرد بجدية وانكسار :

— **المهم عمرى ما يروحش !**

وبالسخرية نفسها ، قال رئيس المحكمة لباقى المتهمين :

— اللى يعرف فيكم شخص اسمه أميل ، وموجود فى القفص يشاور عليه .

فأشار البعض إلى ماكس بنيت ، الذى كان قد بدأ يفقد أعصابه ، وعلى وشك الانهيار النفسى التام .. فقد وضع وجهه على كفيه ، وردد بصوت منخفض لكنه حزين : « كفاية فضائح » .. لقد كان جاسوسا محترفا ، دوخ الكثير من مخابرات العالم ، يشعر أنه قد أصبح مثل الدجاجة فى قفص ضيق .. ثم أنه أيقن الآن أن الجاسوس لا يجب أن يحب بجنون ، ولا يتزوج ، ولا ينجب .. إنها أمور ضد التحمل .. وضد الصمود .. وقد خذلته نفسه ، فتعاون مع البوليس المصرى .. ثم أحس بالقلق على زوجته وابنه ، فضعف أكثر ، فأدلى باعترافات مفصلة وكاملة .

ثم تحول الضعف إلى شبه انهيار ، عندما عرفت زوجته من الصحف بنبأ القبض عليه ، فوكلت المحامى الإنجليزى الشهير جورج ولسون للدفاع عنه .. وقد جاء المحامى الإنجليزى إلى القاهرة ، ونزل فى فندق شبرد اميس (القديم) وطلب مقابلة ماكس ، وقابله ، ونقل إليه مشاعر زوجته ، وأعطاه صورتها ، وصورة ابنه .. فكان كمن تلقى سكينا فى قلبه .. وقد خرج جورج ولسون من المقابلة ليوكل اللواء عباس زغلول المحامى للدفاع عنه ، فالقانون المصرى لا يقر استيراد المحامين ، ثم إن المحاكمة باللغة العربية .. وأغلب الظن أنه بعد انتهاء المقابلة ، قرر ماكس أن ينتهى

نهاية الجاسوس المحترف ... قرر أن ينتحر .. يقتل نفسه ... وقد كان !

فى الساعة الرابعة فجر الثلاثاء ٢١ ديسمبر ١٩٥٤ ، سمع السجان أحمد ظاهر ، الحارس على زنزانة ماكس بنيت (الزنزانة رقم ٢٨ ـــ الدور الثانى ـــ سجن الاستئناف ـــ القاهرة) أنينا خافتا ينبعث من الزنزانة .. اقترب منها .. أرهف السمع .. وضع أذنه على الباب .. سمع ماكس يقول بصوت ضعيف ، ولكنة عربية ركيكة .. لكنة خواجات : « ميه .. ميه .. عاوز ميه » !

طلب السجان من زميله أن يهرع إلى الضابط النوبتجى ، ويبلغه بوجود حركة غير عادية داخل الزنزانة .. وبعد دقائق جاء مسرعا الملازم أول مرجان إسحاق ، وفتح الباب على عجل ، فوجد المهم فى النزع الأخير والدماء تنزف من يده .. فسأله :

ـــ هل قطعت يدك ؟

لم يرد .. لأنه لم يكن قادرا على الرد .. وهز رأسه مرتين فى حركة غير مفهومة .. وجرى الضابط ليستدعى طبيب الوردية الليلية فى السجن ، وعندما عاد كان ماكس قد فارق الحياة .

كان من السهل اكتشاف طريقة الانتحار .. جرح قطعى برسغ اليد اليمنى ، طوله ٣/٤ × ١/٢ سم ، ترتب عليه تمزيق شريان اليد ، ونزيف حاد أدى إلى الموت .. وكان القطع بقطعة من موس حلاقة ، وُجدت ملوثة بالدماء ، أخفاها ماكس فى قطعة من الكاوتشوك ، وأخفى قطعة الكاوتشوك فى جنسمه .

فى التحقيق الذى تولاه فهمى الخولى وكيل نيابة جنوب القاهرة ، لم يُعرف ، كيف وصلت قطعة الموس إلى ماكس .. لكن .. زملاءه شهدوا أنه حاول الانتحار قبل ذلك ، وفكر جديا فى التخلص من حياته بعد أن أدلى باعترافاته الخطيرة .. فقد كان فى « حال نفسية غريبة » على حد قول أحدهم .. وقال آخر إنه طلب من زملائه أن يعينوه فى الحصول على كمية من مادة سيانوز البوتاسيوم ، لينهى حياته فى ثانية ، ويتخلص من إحساسه بالضعف .. وقال ثالث : إننا حاولنا إقناعه

بالعدول ، فصاح فيهم : « لا بد أن أنتحر .. قولوا لزوجتى تبحث لها عن زوج آخر » .

وتقدم زملاء ماكس إلى إدارة السجن ، وأبلغوها برغبته فى الانتحار ، فاتخذت احتياطات وُصفَت بعد انتحاره بأنها كانت « مشددة » ، وخُصصت له حجرة خاصة .. الزنزانة رقم ٢٨ .. إحدى الحجرات المخصصة للمحكوم عليهم بالإعدام .

تقرير الطبيب الشرعى قال : « إن الوفاة حَدثت نتيجة لنزيف ناتج من قطع الشريان الكبير بالجهة الآنسية لليد اليمنى » .

القنصل الألماني فى القاهرة ، طلب من الحكومة المصرية تسليمه الجثة لإرسالها إلى زوجته فى انجلترا .. وقال القنصل : إن ماكس بنيت حصل مؤخرا على الجنسية الألمانية .. والفائدة الأولى والأخيرة التى جناها من وراء ذلك ، هى أنه يستطيع الآن أن يعود فى صندوق على حسابنا الخاص .

بعد انتحاره بأقل من ساعتين ، وقبل أن يبدأ التحقيق ، كان على باقى المتهمين أن يذهبوا إلى المحاكمة .. ولأنهم لم يكونوا قد عرفوا بعد بالنبأ ، تساءلوا فى القفص : « أين ماكس ؟ » .. « لماذا لم يحضر من السجن حتى الآن ؟ » . وخمنت مارسيل أنه مريض .. وعندما أعلن ممثل الادعاء أن ماكس بنيت انتحر .. نزلت كلماته على المتهمين كالصاعقة ... سيطرت عليهم حالة من الذهول .. وأحسوا أن انتحار هذا « الصيد الثمين » يعنى أن دليلا إضافيا ، ضُم إلى ملف القضية !!

وعلى صفحات مجلة « المصور » — بعد أسبوع من الانتحار — روى المصور الصحفى منير فريد ، أنه بينما كان يغطى إحدى جلسات المحاكمة بعدسته ، قال له ماكس بالإنجليزية : « هل أطمع فى أن تلتقط لى صورة أبعث بها إلى أسرتى ؟ » .. فرد عليه : ممكن .. لكن لا بد أن نستأذن رئيس المحكمة .. وفى فترة الاستراحة ، لم يمانع رئيس المحكمة ، وقال : « هذه مسألة إنسانية لا علاقة لها بالقضية » .. وعندما هم المصور بتوجيه عدسته إلى ماكس تنفيذاً لرغبته ، طلب منه أن تكون

الصورة وهو خارج قضبان القفص .. وكما لو كان نجما سينمائيا ، وقف ماكس فى قاعة المحكمة لتُلتَقط له الصورة الأخيرة فى حياته .. إذ إنه بعد ساعات انتحر .

وأرسلت الصورة إلى زوجته ، ومعها نسخة من الإنجيل كان يقرأ فيها قبل أن يقطع شريان يده ، وخطاب أخير ، كتبه إليها ، وكان بمثابة وصية ...

« عزيزتى ..

« مفيش أمل فى الخروج ، لا بد من قضاء ما بين ٥ ــ و١٥ سنة فى السجن ، ولا يمكننى أن أحتمل هذه الحالة لا فكريا ولا جسمانيا .

« إن ألمى شديد ، وليس له نهاية ، وضرورى أن تتزوجى وأن ترعى ابنى « ميذل » ، لأنه فى احتياج إلى والد يرعاه ، ليعيش بينكما حتى لا يتأثر من غيابى .

« أرجو أن تعيشى مع الزوج الجديد العيشة التى كنا نعيشها معا ، ولا بد أن تزرعا معا شجرة باسمى فى عيد ميلادى بحديقة المنزل ، وأن تكون علاقتك حسنة مع العائلة .

« إلى اللقاء ...

« إنى أحبك .. إنى أحبك » .... ماكس .

□ ٩ □

البدايــة .. « باركوهبــا » !

... و .. نأتى إلى الجاسوس ــ اللغز ...

أو ... العقدة المزمنة فى شبكة التخريب والتجسس الصهيونية .. وهى مزمنة لأنها لم تحل حتى الآن .. ولأنها ــ على ما يبدو ــ لن تحل إلا فى زمن آخر !

نأتى .. إلى .. بول .. فرانك ...

إن بول فرانك هو الاسم الذى عُرف به هذا الجاسوس الإسرائيلى المحترف فى مصر .. وفى سجلات المباحث العامة .. وأوراق تحقيقات النيابة .. وقرار الاتهام .. وجلسات المحاكمة .. لكن .. من المؤكد أن الاسم غير حقيقى .. مستعار .. حركى .. مزيف .. مزور .. من المؤكد أن بول فرانك ليس بول فرانك !

كان اسم بول فرانك ، الاسم الذى دخل به مصر ، واستخدمه فى جواز سفره الألمانى .. لكن .. أغلب الظن أن اسمه الحقيقى هو إفرى إلعاد .. إلا أنه لاأحد يمكن أن يقطع بذلك .. فقد عُرف بأسماء أخرى عديدة ، منها هانز هوفمان .. وأفنى فايزنفيلد .. ويؤكد البعض أن اسمه الحقيقى إبرام سايدنفرج .

والذين شاهدوه وجها لوجه يقولون إن ملامحه فيها الكثير من ملامح الألمان .. الشعر أشقر .. العينان زرقاوان .. البشرة بيضاء ، قليلة الشعوب .. الأسنان الأمامية عريضة نوعا ما .. الشفاه رفيعة .. والفم كبير .. ويمكن أن نعتمد هذا الوصف ، إذا ما عرفنا أنه من أسرة يهودية ، عاشت فى النمسا .. وتحمست للفكر الاشتراكى .

وعندما انفجرت الحرب العالمية الثانية ، هرب إلى فلسطين ، وانضم إلى الحركة اليهودية السرية ، التى عُرفت باسم البالماخ ، وهى جماعات الكوماندوز التى أشرف عليها إيجال آلون ، لتنفيذ تعليمات الـ « هاجاناه » بشأن عمليات التخريب فى

الأراضى والمنشآت العربية .. وفى ذلك الوقت تعرف على إبرام دار ، أوجون دارلنج ، وأصبحا صديقين .

بعد إعلان الدولة الصهيونية أصبح إفرى إلعاد ضابطا فى الجيش .. ثم مسئولا عن مدرسة المدفعية .. ورغم هذا النجاح فقد أحس أن عمل المقاتل المنتظم لا يستهويه .. ولا يفجر مواهبه .. فخلع ثيابه العسكرية ، وراح يعمل فى « ورشة » سيارات .. كان ذلك فى سنة ١٩٥٠ .. وبعد سنتين أصابه الملل من شحوم السيارات .. فذهب بقدميه إلى المخابرات العسكرية ، وانضم إليها .. وهناك وجد نفسه .

واستنادا إلى كتاب د . إيريش فولات (السابق الإشارة إليه) فإن جهاز المخابرات العسكرية ، رحب به بسبب شكله الأوروبى .. « الذى لن يلفت النظر ، إذا ما أرسلوه إلى البلاد الأوربية » .

وبعد اختبارات وتدريبات روتينية ، سافر إلى ألمانيا فى سنة ١٩٥٣ فى مهمة خاصة .. وهناك وجد ما آثار حواسه .. وشد انتباهه .. وجد بيانات شخصية « فى ملفات الجيش الألمانى عن ضابط برتبة كابتن (رائد) ، اسمه بول فرانك ، قاتل فى فلسطين ، ومات هناك فى إحدى العمليات ، سنة ١٩٤٢ » ... وهكذا أعاد إفرى إلعاد الحياة للجندى المتوفى ، بعد أن تقمص شخصيته ، وأصبح « بول فرانك » بدلا منه ..

واستنادا إلى المصدر نفسه ، حصل إفرى إلعاد على كل أوراق بول فرانك .. شهادة الميلاد .. شهادة التعميد فى الكنيسة .. بطاقة التجنيد .. ثم .. كان من السهل بعد ذلك استخراج جواز سفر .. على أن ذلك لا يمنع أن المخابرات الألمانية ساعدته كثيرا فى تنكره .. فقد كانت عقدة الذنب الألمانية تجاه اليهود قد بلغت الذروة .. وكان على الألمان أن يدفعوا فى تلك الفترة ما عُرف بالتعويضات الألمانية إلى إسرائيل .. ولم تكن مساعدة إفرى إلعاد مسألة تذكر إذا ما قورنت بالمساعدات الأخرى التى قدمت إلى إسرائيل ..

وحتى يذهب بول فرانك إلى مصر ، دون أن يثار الشك حوله ، أصبح وكيلا

تجاريا لإحدى الشركات الألمانية .. هى شركة هنشيل .. ثم أصبح وكيلا تجاريا لأكثر من شركة ألمانية إمعانا فى التغطية !

فى ٢٥ مايو ١٩٥٤ ، كان على بول فرانك أن يترك بون ــ حسب تعليمات جاءت إليه فى برقية شفرة من إسرائيل ــ إلى باريس .. ليقابل فى اليوم التالى ، فى مقهى سان جيرمان رسولا من مدير المخابرات العسكرية ، كان يحمل تعليمات شديدة الأهمية ، تفرض أن يتولى فرانك مسئولية خلايا التخريب فى مصر .. أما التفاصيل ، فستصل إليه خلال برنامج المرأة الذى يذاع من راديو إسرائيل كل يوم .

ويؤكد كتاب د . فولات أن بول فرانك لم يتحمس للفكرة ، ولا للمهمة ، « فهو يحب أن يعمل بمفرده ، ولايرحب بالعمل المشترك ، وهو يريد أن يطارد النازيين ، لا أن يقوم بأعمال إرهابية ، لا يرى فيها أى معنى ، أو جدوى ، ولكنه رضخ للأمر فى النهاية » .

وطبقا لتحريات البوليس المصرى التى جرت بعد كشف الشبكة ، فإن بول فرانك « شاب طويل القامة ، ذو جسم رياضى ، يبلغ من العمر حوالى ٣٠ سنة ، أبيض اللون ، أشقر الشعر ، عيناه زرقاوان يتكلم الإنجليزية والألمانية ، وملم باللغة الفرنسية ، والعربية ، ويحتمل أن يكون قد أقام بالقطر المصرى قبل ذلك ، إذ إنه ملم بالأماكن العامة والشوارع بمدينتى القاهرة والإسكندرية » .

وحسب المصدر نفسه ، فإنه نزل ميناء الإسكندرية فى يوم ٢٨ يونيو ١٩٥٤ ، حاملا على جواز سفره تأشيرة دخول من فيينا لمدة ٣ شهور ، تنتهى فى ٢٧ سبتمبر ١٩٥٤ ، وكان معه سيارة ماركة بلايموث .. موديل ــ ١٩٥١ ..من النوع الكابورليه .. خضراء اللون .. باب واحد .. على زجاجها من الداخل علامة من علامات نوادى السيارات الدولية .. ورسم نسر .

ورغم أن تأشيرة الدخول حصل عليها من فيينا ، فإن السفينة التى أبحرت به إلى الإسكندرية استقلها من جنوة .. وعلى ظهر السفينة كان سفير ألمانيا إلى القاهرة..

فتعرف عليه .. وقبل أن ترسو السفينة قويت العلاقة بينهما .. وفيما بعد دعاه السفير إلى حفلات السفارة ، ففتح له ذلك الكثير من الأبواب المهمة فى مصر .

فى الإسكندرية نزل بول فرانك فى بيت بشارع السلطان حسين ، يحمل رقم ٥٣ ، وهو بيت لبارون ألمانى يدعى تيودور .. والبارون تيودور اسم حركى لخبير ألمانى ، هاجر بعد اندحار النازية إلى مصر ، وأقام بالإسكندرية ، بعد أن نجح فى بيع خبرته إلى السلاح البحرى ، بعقد وقعه فى ٩ أغسطس ١٩٥١ ، وانتهى فى ٢٨ فبراير ١٩٥٤ ، بعد أن حامت الشبهات حوله .. فقد فُقدت وثائق مهمة ، تتعلق بالسلاح البحرى ، واتهمته المخابرات الحربية المصرية بسرقتها ، وفتشت بيته فى يوم ٢٩ مارس ١٩٥٤ ، ولم تعثر عليها .. إلا أن ذلك لم يمنع الاستغناء عن خدماته نهائيا فى ٢٠ أبريل ١٩٥٤ ، ثم غادر البلاد — كشخص غير مرغوب فيه — يوم ٣ يوليو ١٩٥٤ ، هو وأسرته ، بلا عودة !

وبواسطة البارون تيودور ، تعرف بول فرانك على عدد من الخبراء الألمان فى مصر ، على رأسهم رئيس الخبراء الملحقين بالجيش المصرى ؛ الجنرال فون براختر .. وتعرف على تاجر أصواف ، ألمانى الجنسية أيضا ، ويقيم فى الإسكندرية اسمه كلدجيان . كان على صلة بزوج ابنة البارون ، الذى كان مديرا لوكالة « ملكى » للسياحة فى القاهرة .

وقبل سفر البارون ، أقيمت له حفلة وداع بمحل اكسلسيور بالإسكندرية ، حضرها القنصل الألمانى ، وبعض أفراد من الجالية الألمانية ، وبول فرانك أيضا ، الذى التقطت له بهذه المناسبة صورة تذكارية ، كانت فيما بعد من نصيب أرشيف المباحث العامة .

وفيما بعد أيضا ، وصف بعض الذين حضروا الحفل ، بول فرانك بأنه « محدث لبق على درجة كبيرة من الذكاء واليقظة والمعلومات العامة » !

اتخذ بول فرانك اسما حركيا آخر هو روبير ، استخدمه فى الاتصال بأفراد الشبكة

وقد جاء هذا الاسم ، أول مرة ، فى خطاب أُرسل من باريس إلى فيكتور ليفى ، جاء فيه : « إن روبير سيزوورهم قريبا ومعه آخر التعليمات الواجب تنفيذها » .

وحسب تقرير « سرى جدا » وقعه مفتش المباحث العامة بالإسكندرية (البكباشى محمد سمير درويش) وضمه الملحق الوثائقى لكتاب « ملفات السويس » ، فإن مقابلات بول فرانك ، وأعضاء الشبكة فى القاهرة والإسكندرية ، كانت على النحو التالى :

المقابلة الأولى ، كانت فى يوم ٢٨ يونيو ١٩٥٤ بالإسكندرية مع فيكتور ليفى وفيليب ناتانسون ، وذكر لهما فيها أنه يجب بدء نشاطهم الإيجابى وذلك بوضع المواد الحارقة فى الأماكن العامة خصوصا الممتلكات البريطانية والأمريكية ، بقصد إحداث حالة توتر بين السلطات المصرية ، والبريطانية والأمريكية حتى لايتم تنفيذ الاتفاق الأخير بين مصر وبريطانيا .

المقابلة الثانية : كانت بينه وبين صمويل عازار فى يوم ٧ يوليو ، الساعة السادسة مساء بالإسكندرية .. للغرض نفسه .

المقابلة الثالثة : كانت مع فيليب ناتانسون ، وفيكتور ليفى ، يوم ١٤ يوليو ١٩٥٤ ، أمام محل جروبى فى شارع سليمان باشا (طلعت حرب) بالقاهرة ، الساعة السادسة مساء ، لتوصيلهما إلى مكتبة السفارة الأمريكية لتنفيذ حادث الحريق .

المقابلة الرابعة : كانت مع المتهمين أنفسهم ، يوم ١٩ يوليو ، بالإسكندرية ، فى الساعة الخامسة مساء .. ولم تذكر التحريات ما جرى فيها .

المقابلة الخامسة : كانت مع فيليب ناتانسون ، وفيكتور ليفى ، وروبير داسا ، يوم ٢٠ يوليو ، الساعة العاشرة صباحا بالإسكندرية ، للاتفاق على ارتكاب حوادث حرائق دور السينما فى القاهرة ، والإسكندرية .

المقابلة السادسة : كانت مع روبير داسا وصمويل عازار فى القاهرة ، يوم ٢٣

يوليو ، الساعة السادسة والنصف مساء أمام سينما ميامى ، قبل الشروع فى تنفيذ حادثى سينما راديو ، وريفولى .

المقابلة السابعة (الأخيرة) : كانت مع صموئيل عازار فى الإسكندرية ، بعد القبض على فيليب ناتانسون وفيكتور ليفى ، وروبير داسا ، حيث سلم له صمويل عازار جزءاً من جهاز إرسال لاسلكى ، وراديو ماركة زينيت .. واطمأن منه على موقفه .. إلا أن بول فرانك قال لصمويل عازار ، إنه يخشى أن يدلى فيكتور ليفى — بعد القبض عليه — بمعلومات عنه ، تفيد البوليس فى ضبطه ، ولاسيما أن فيكتور ليفى يعرف أوصاف سيارته ، التى قرر أنه لن يستعملها بعد الآن .

فى المقابلات الأولى مع المخربين اليهود الشبان ، قال لهم بول فرانك أيضا إنه موفد من قِبَل جون دارلنج ، وعليهم أن ينفذوا تعليماته دون تردد ، وعندما أخبرهم بأن التعليمات تقضى بتنفيذ عمليات حرق وتخريب ، ظهر الخوف والتردد عليهم ، فكان أن هددهم بفضح أمرهم للسلطات المصرية ، وإبلاغها بأنهم سافروا سرا إلى إسرائيل ، وتدربوا هناك على أعمال التجسس .. وعندما رضخوا ، حاول أن يبعث فيهم الحماسة ، والطمأنينة ، فقال لهم : إنهم مثله ، جنود فى خدمة وطنهم ، إسرائيل ، وإن الجندى عليه أن ينفذ الأمر الذى يتلقاه ، دون أن يناقشه .

ولأنه لا خطة مفصلة للتخريب .. فقد راحوا جميعا يرسمون ما يجب أن يفعلوه .. وانتهوا إلى أن من الأفضل حرق المبانى العامة أولا ، حتى لا يثيروا الشبهات .. ثم التركيز بعد ذلك ، على ممتلكات البريطانيين ، والأمريكيين فى مصر .

فى نهاية شهر يونيو أبلغ بول فرانك القيادة فى إسرائيل بأن : « كل شىء جاهز للتنفيذ » !

وبعد ساعات ، كان الرد الذى تلقاه : « اضربوا خلال ٤٨ ساعة » !

وفى ٢ يوليو كان حادث بوستة الإسكندرية ... البداية .

واستنادا إلى د . ايريش فولات ، فإنه فى الساعة التاسعة من صباح يوم ١٠

يوليو ، أذاع صوت إسرائيل فى برنامج المرأة المعتاد ، طريقة صنع « الجاتوه الإنجليزى » ، ففهم بول فرانك الشفرة ، وبدأ التجهيز لحرق الممتلكات البريطانية والأمريكية .

ولأن التعليمات كانت تتم عن طريق برنامج « ربات البيوت » ، فلا غرابة أن يكون اسم العملية الكودى فى ملفات المخابرات الإسرائيلية .. عملية « سوزانا » !

وبفشل العملية ، التى انتهت بالقبض على أغلب الجناة ، أحس بول فرانك أنه لا بد أن يختفى .. وكان أول ما فعل — كما قال لصمويل عازار — أنه توقف عن استعمال سيارته ، البلايموث — الخضراء .. ولأنه يهودى ، فقد استخسر أن يلقى بالسيارة فى مكان مهجور ، وباعها إلى تاجر سيارات بالإسكندرية ، اسمه سعد حسنى .. لكن المباحث العامة التى عرفت بأمر السيارة من فيكتور ليفى ، كما توقع بول فرانك ، لم تتوصل إلى هذه المعلومة بسهولة .. ووزعت فى البداية نشرة بأوصاف السيارة ، وأجرت تحريات عنها بالجراجات العامة وتوكيلات السيارات ، وفى توكيل بلايموث بالقاهرة ، اتضح أن لا سجلات للسيارات ، ولا بيانات عنها ، بعد أن احترق التوكيل فى حريق القاهرة .. ٢٦ يناير ١٩٥٢ .

بعد أن توصلت المباحث العامة إلى مشترى السيارة ، ذكر التاجر سعد حسنى « أنه اشتراها من شخص ألمانى الجنسية اسمه بول فرانك » .. وكان ذلك فى يوم ٣ أغسطس ١٩٥٤ .. واتضح أن السيارة تحمل رقم ٤٣٥ ملاكى الإسكندرية .. وقد ضبطت فى جراج بشارع فؤاد بالإسكندرية يملكه شخص يدعى محمد البرادعى .. الذى كان قد بدأ فى إزالة طلاء السيارة ، وترميمها تمهيدا لدهانها ، وبيعها من جديد .

وعرضت السيارة على باقى المتهمين ، فتعرفوا عليها .

ومن صورة بول فرانك فى الاكسلسيور ، تعرفوا عليه ، إلا أنهم قالوا : إننا لا نعرف أن اسمه بول فرانك ، وإنما نعرف أن اسمه روبير ... فقط روبير .

وفى تقرير سرى جدا ، يحمل رقم ١٦٠٤٨ ، رفعه حكمدار مصر اللواء عبد العزيز صفوت إلى وكيل وزارة الداخلية المساعد لشئون الأمن العام والبوليس والمباحث العامة ، فى يوم ١٨ أغسطس ١٩٥٤ وسبقت الإشارة إلى مصدره ، أنه لما كان المدعو روبير « قد تردد من التحرى أنه يستعمل سيارة كبيرة من نوع الكابورليه لونها أخضر غامق ، فقد حُصرت جميع السيارات التى توجهت (فى الفترة الأخيرة) من القاهرة للإسكندرية وتبين أنها ١٥٠ سيارة ، كشف على أصحابها جميعا ، وحُصرت الشبهة فى بعض منهم صار التحرى عنهم فلم تصل التحريات إلى معرفة المذكور ، كما دار وضع رقابة فى عدة مناطق مهمة بالمدينة يحتمل أن يتردد عليها المذكور بسيارته ، وما زالت التحريات مستمرة » .

ويفهم من هذا التقرير أن السيارة لم تُضبط حتى ١٨ أغسطس .. لكن بعد ٥ أيام ، ضبطت السيارة .. أى بعد حوالى الشهر من بداية سقوط أفراد الشبكة .

وفى يوم ٢٤ أغسطس ، تأكد لقيادة المباحث العامة أن بول فرانك غادر البلاد فى يوم ٤ أغسطس .. أى بعد حوالى ١٢ يوما كاملة على وقوع فيليب ناتانسون .. وهى فترة طويلة بالنسبة لجاسوس مطلوب القبض عليه .. أو بالنسبة لجاسوس محترف ، علم بنبأ انهيار الشبكة التى ينتمى إليها .. فما الذى جعله مطمئنا طوال هذه المدة التى تفصل فيها الدقيقة بين الحياة والمشنقة ؟! .. السؤال مثير .. لكن الإجابة تحتمل الانتظار قليلا !

غادر بول فرانك مصر إلى روما ، عن طريق مطار القاهرة الدولى ، وعلى متن إحدى طائرات « اليتاليا » ، بتذكرة استخرجها له مكتب ملكى للسياحة ، الذى كان مقره فى ٢٦ شارع شريف بالقاهرة .

وقد أخطر بول فرانك معارفه بأنه سيعود إلى مصر بعد ثلاثة أسابيع .. وبسلامة نية صدقت المباحث العامة ذلك .. وأخطرت إدارة الجوازات والجنسية بأن تقبض عليه عند دخوله البلاد .. « مع الموافقة على منحه تأشيرة دخول إذا طلب ذلك » !

حسب التحريات ، التى أجريت فيما بعد .. بعد سفره .. كان بول فرانك وكيلا

لأربع شركات ألمانية .. لكنه طوال مدة إقامته فى مصر لم يتم صفقة واحدة ، وإن تفاوض مع مصلحة السكة الحديد المصرية على توريد قاطرات من ألمانيا ، وقدم إليها العروض والكتالوجات .

وحسب المصدر نفسه ، فإنه بعد القبض على فيليب ناتانسون كان سريع التنقل بين القاهرة والإسكندرية .. كما أنه فى المدينة الواحدة ، كان لا يقيم فى مكان واحد أكثر من ٤٨ ساعة .. فقد شُوهد بالقاهرة فى الساعة الرابعة من مساء يوم ٢٢ يوليو ، ثم شُوهد بالإسكندرية فى الساعة التاسعة صباحا يوم ٢٤ يوليو .. أى بعد ٤١ ساعة فقط .

وقد لوحظ أنه قد نزل فى لوكاندة وندسور بالإسكندرية ، بطريقة مريبة .. فقد نزل فيها يوم ٣ يوليو .. وغادرها يوم ٥ يوليو .. ثم عاد إليها يوم ٧ يوليو .. وتركها يوم ٨ يوليو .. ثم نزل بها يوم ١٨ يوليو .. وغادرها يوم ٢١ يوليو .. ثم عاد إليها يوم ٢٤ يوليو .. وتركها ٢٨ يوليو .. وأخيرا نزل بها يوم ٣٠ يوليو وغادرها يوم ٢ أغسطس !

أى أنه كان ينزل فى لوكاندة ، عامة ، شهيرة ، تراجع الشرطة سجلاتها اليومية ، فى وقت كان فيه أعضاء الشبكة تحت الاعتقال .. وهو معروف لديهم .. فهل هو جاسوس غبى ؟ .. أم مفرط فى الثقة بنفسه إلى حد التهور .. أم أن ما خفى كان أخطر ؟!

ثم ...

إذا كان بول فرانك جاسوسا محترفا ، فكيف قبل قيادة جماعة من الشبان اليهود ، يملكون الحماس ، والرغبة ، لكن لا يملكون الخبرة الكافية ؟!

إن كثيرا من الأوراق والوثائق المهمة عثر عليها البوليس المصرى فى بيوتهم ، بسهولة .. كما أن انفجار القنابل الحارقة قبل موعدها ، كان أكبر دليل على أنهم هواة .. كذلك .. فإن بعضهم كان من الممكن أن ينسى أشياء مهمة فى مقهى أو

بار .. يضاف إلى ذلك أنهم وجدوا صعوبة فى التعامل مع أجهزة اللاسلكى رغم التدريبات التى تلقوها فى إسرائيل !

ثم ..

لماذا أبرق بول فرانك إلى قيادة المخابرات العسكرية فى إسرائيل بأن « الأولاد جاهزون ، وقادرون » ... مع أن ذلك غير صحيح ؟!

مرة أخرى .. الأسئلة مثيرة .. ومرة أخرى .. الإجابة تحتمل الانتظار قليلا !

ثم ...

لماذا لم يصدر حكم على بول فرانك (ولا إبرام دار) ولو غيابيا ، كما نشرت الصحف التى غطت جلسة إعلان الأحكام ؟!

وبهذا السؤال يكون لغز بول فرانك قد أصبح لغزا معقدا .. مزمنا ... فعلا !

□ ٨ □

عميل مزدوج !

حتى الآن ...

هناك جدل كبير حول الدور الحقيقى ، فى عملية « سوزانا » الذى لعبه إفرى إلعاد ، الشهير باسم بول فرانك !

هل هو جاسوس إسرائيلى أخطأ التقدير ؟

هل هو ضحية صراع الأجهزة السرية فى إسرائيل ؟

أم ... هو عميل مزدوج ، نجحت أجهزة الأمن المصرية فى تجنيده ؟

إن هذا الجدل لم يحسم حتى الآن .. وأغلب الظن أنه لن يحسم فيما بعد .. إلا بعد زمن طويل .. فهذا من طبائع الأمور فى جدل ، أو خلاف ، تكون اجهزة المخابرات المتصارعة أطرافا فيه .

إن تيارا يكاد يكون غالبا بين مؤلفى كتب الجاسوسية فى الغرب ، والمتعاطفين جدا مع إسرائيل إلى حد الحماس لمخابراتها ، يميلون إلى اتهام بول فرانك بالعمالة للمخابرات المصرية .. ولا نعرف ما إذا كان الاتهام حقيقة ، أم أنه يأتى من باب التهوين من الضربة الفنية البارعة ، التى كشفت بها أجهزة الأمن المصرية غالبية أفراد الشبكة الإسرائيلية ؟!

وإذا كانت الإجابة ليست سهلة فى مثل هذه الأحوال ، فإن هؤلاء الكتاب يستندون فى اتهامهم إلى عدة ملاحظات لا جدال فى أنها بارعة .. وإلى معلومات نشروها لم يعلن الطرف المصرى عنها .

أما الملاحظات فقد سبق أن لفتنا النظر إليها ... وجود بول فرانك فى مصر حوالى أسبوعين بعد القبض على أفراد الشبكة .. حريته الواضحة فى الحركة والتنقل بين

القاهرة والإسكندرية فى خلال تلك الفترة التى كان فيها الأمن المصرى يقف على أظافره .. نزوله دون تخفٍ فى لوكاندة وندسور ، باسمه ، ورقم جواز سفره .. وكل البيانات الشخصية عنه .. وهى بيانات تُسجل فى دفتر استقبال اللوكاندة الذى يراجع يوميا بمعرفة سلطات الأمن .. خروجه من مطار القاهرة ، بعد استخراج تذكرة طائرة من مكتب سياحة أجنبى ، لا بد أن العيون كانت عليه .. دفعه أفراد الشبكة للقيام بالعمليات المطلوبة ، وهو يعرف جيدا أنهم لا يملكون الخبرة الكافية للتنفيذ .

ملاحظات تستحق الانتباه فعلا ... لكنها .. لا تكفى لإقامة الدليل على صحة الاتهام !

يضيف ريتشارد ديكون : أن بول فرانك ، بعد القبض على فيليب ناتانسون ، وإعلان حاله الطوارىء فى صفوف الأمن المصرى ، قد قبض عليه ، وسُحب إلى أحد أقسام الشرطة لاستجوابه ، لكن أُفرج عنه فى اليوم التالى .. ورغم أن الكثيرين من أعضاء الشبكة حدث لهم الشىء نفسه ، ولم يُكشفوا إلا فيما بعد مثل إيلى كوهين ، فإن ريتشارد ديكون اعتبر أن القبض على بول فرانك ، ثم الإفراج عنه ، كان نوعا من التغطية لحمايته كعميل للمخابرات المصرية .. وحتى لا يشك الإسرائيليون فى أنه باع نفسه إلى المصريين .. ويقول مؤلف كتاب « المخابرات الإسرائيلية » ، والجاسوس سابقا : « إنه لا ريب أنه قدم نفسه كى يعتقل ، إلا أن هذه كانت مقامرة متهورة على أية حال »

وبخلاف هذا الكتاب ، يمكن أن نضع أيدينا على أربعة كتب أخرى ، توجه الاتهام نفسه إلى بول فرانك ، وتؤكد أنه خلال إقامته فى مصر كسبه إلى جانب المصريين العقيد عثمان نورى ، رئيس هيئة المخابرات الحربية ، فى القاهرة ، والخبير اللامع فى شئون مكافحة التجسس ، والذى أصبح فيما بعد سفيرا لمصر فى نيجيريا ، وكان من أبرع ضباط المخابرات فى ذلك الوقت .. « وامتدت صلاته إلى بغداد ودمشق وبون وفيينا ، وهو أيضا المهندس الرئيسى لشبكة المخابرات المصرية فى أوروبا

وقد شارك ، مشاركة هامة ، فى تنظيم الانقلاب الثورى على إمام اليمن » .

واستنادا إلى د . ايريش فولات ، فإن إيسر هاريل مدير الموساد ، اكتشف أن العقيد عثمان نورى كان فى القاهرة أثناء أحداث عملية سوزانا ، حين كان بول فرانك يدير الشبكة الإسرائيلية ، وكان العقيد عثمان نورى ، يُعرف بأنه من أحسن ضباط مكافحة التجسس ، فهل استطاع أن « يستقطب » بول فرانك إلى جانب المصريين ؟ .. وهل يكون هذا تفسيراً لنشاط البوليس المصرى فى الأحداث ؟ وهل كان من المعقول أن يتم ضبط كل أفراد الشبكة الإسرائيلية ، ويظل بول فرانك حوالى أسبوعين فى مصر بعد ذلك ، ودون أن يقبض البوليس عليه ؟!

أما ستيفن جرين ، فيقول : إنه عندما أُلقى القبض على ناتانسون وأعضاء الفريق الآخرين ، ابتداء من أواخر يوليو ، كان إفرى إلعاد لا يزال يروح ويغدو فى القاهرة باسم بول فرانك ، وكان يحوز على ثقة هيئة المخابرات المصرية ، الكاملة .. وقال له العقيد عثمان نورى ، مدير المخابرات الحربية ، سرا ، إن هناك ضابط مخابرات إسرائيليا ساهم من جانبه فى كشف وتحطيم شبكة التجسس الإسرائيلية .. وأغلب الظن أن ذلك كان انعكاسا للصراع الذى كان فى ذلك الوقت بين الموساد والمخابرات العسكرية الإسرائيلية حول تنفيذ العمليات فى الخارج .

ولو سلمنا بأن بول فرانك كان عميلا مزدوجا ، فإن تجنيده فى المخابرات المصرية لابد أن يكون فى فترة تعامله مع البارون تيودور فى الإسكندرية ، والذى كان — على ما يبدو — جاسوسا هو الآخر ، وقد طرد من مصر بعد اختفاء وثائق من السلاح البحرى كما عرفنا ، وغادرها دون ضجيج ، حفاظا على سمعة باقى الخبراء الألمان الذين كانوا يخدمون فى الجيش المصرى ، ويساهمون فى الصناعات الحربية .

وإذا كان بول فرانك قد غادر القاهرة إلى روما .. فإنه سرعان ما ترك روما وطار إلى باريس ومنها إلى بون .. وقد بقى فى بون حتى ٢٩ ديسمبر ١٩٥٤ ، ثم استُدعى إلى إسرائيل ليدلى بأقواله فى التحقيق الذى كان قد بدأ لمعرفة المسئول عن فضيحة « سوزانا » .. وفى إسرائيل طلب منه عملاء المخابرات العسكرية أن

يسدى خدمة لهم ، وأن « ينسى » كل العمليات التى قام بها فى مصر بعد ١٦ يوليو ١٩٥٤ ، وأن يغير مفكرته اليومية تبعا لما يُطلب منه ، وأن يذكر فى تقريره وشهادته ما يُبرىء ساحة مدير المخابرات العسكرية .. ووافق بول فرانك .. ونفذ ما طُلب منه ، ثم غادر إسرائيل إلى أوروبا الغربية ــ من جديد ــ مكافأة له .

وفى سنة ١٩٥٥ ، كُشف المزيد من أسرار الفضيحة ، ونقلا عن المصادر الإسرائيلية ، يقول ريتشارد ديكون : إن العقيد عثمان نورى أُرسل إلى بون « حيث بذل نشاطا كبيرا فى تسيير أمور المخابرات السرية المصرية بموافقة الجنرال رينهارد جيهلن ، رئيس مخابرات ألمانيا الغربية ، وبمساعدته ، وكان بول فرانك ، العميل الإسرائيلى الخائن لا يزال يعمل معه » .

وحسب المصدر نفسه ، كان أكثر من جهاز مخابرات إسرائيلى ، قد بدأ يسعى وراء بول فرانك ، ويلاحقه ، وفى سنة ١٩٥٧ ، تجمع لدى هذه الأجهزة أكثر من ملف عن نشاطاته ، ثم التقى به فى فيينا ، بعض عملاء المخابرات الإسرائيلية وأقنعوه بالعودة إلى تل أبيب ... ويقال إنه عاد بنفسه بعد أن توفى والده فى شهر أكتوبر ١٩٥٧ .. وكان فى ألمانيا لا فى النمسا .. وفور عودته قبض عليه جهاز الموساد ، واتُهم بأنه عميل مزدوج ، وأنه خان زملاءه فى العملية ، وقدم إلى محاكمة ، كانت سرية ، وحُكم عليه بالسجن لمدة ١٢ سنة « لاتهامه بإجراء اتصالات مع المصريين ، أما عن عملية سوزانا فلم تثبت عليه الأدلة » .. واعتُبرت العقوبة أقل مما كان متوقعا !

وقد قضى بول فرانك العقوبة ... ثم ترك إسرائيل نهائيا ... وهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية .. وتقاعد فى مزرعة خاصة يمتلكها .. لا يعرف أحد من أين حصل على ثمنها ؟ .. وقد أتاح له البعد عن إسرائيل ، وهدوء الريف أن يكتب مذكراته ، وينشرها فى كتاب أسماه « انحطاط الشرف — Decline of Honor » والكتاب من منشورات « هنرى ريجنرى ــ كومبانى » فى شيكاغو .. وتعتبره نشرة المخابرات المركزية مرجعا يمكن الوثوق فيه عن المخابرات الإسرائيلية .

وفى « انحطاط الشرف » يدافع الجاسوس الإسرائيلى السابق عن نفسه ، ويرد تهمة

كشف شبكة التخريب ، والتجسس فى مصر إلى الصراع الذى كان قائما بين الموساد والمخابرات العسكرية ، فى ذلك الوقت !

أى أنه يطل مفعول قنبلة صغيرة ، ليفجرقنبلة أشد !

كيف ؟!

فى ٣٠ يونيو ١٩٤٨ ، طلب ديفيد بن جوريون ، إعادة تنظيم أجهزة المخابرات فى أعقاب قيام « الدولة » ، وقد تحول الطلب إلى لجنة خاصة ، ضمت ستة من أنشط رجال العمل السرى فى « هاجاناه » ، هم : عيزر بصيرى ، وبنيامين جيفلى ، وإبرام كيلدون ، وديفيد كارون ، وبوريس جوريل ، وإيسر هاريل .. وانتهت اجتماعات اللجنة التى كانت سرية إلى وضع هيكل المخابرات الإسرائيلية على النحو التالى :

□ المخابرات العسكرية (اجاف موديعين) ، وتسيطر على مخابرات جيش الدفاع ، وفرع التجسس المضاد ، وفرع المعلومات الخارجية ، وكان هذا يعنى أن لها اليد العليا ، والطولى فى شبكة المخابرات الإسرائيلية ، وقد اختير لها مقر فى مبنى على أحدث طراز فى يافا .

□ الشعبة السياسية التابعة لوزارة الخارجية ، وهى إدارة سرية ، مهمتها جمع المعلومات من خارج إسرائيل ، وهى مسئولة عن كل العمليات الخاصة خارج إسرائيل أيضا .. وكان مقرها مبنى وزارة الخارجية فى « هكيرياه » .. فى المجمع الحكومى بتل أبيب .

□ دائرة الأمن الداخلى (الشين بيت) ، وهذه الدائرة مهمتها الحفاظ على الاستقرار الداخلى .. وكان مقرها بضعة منازل مهجورة قرب ميناء يافا .

وفى خريف ــ ١٩٥١ ، قرر بن جوريون إعادة تنظيم هذه الأجهزة ، بعد أن أدى الصراع والتنافس بينها إلى سقوط أكثر من شبكة تجسس يهودية فى العراق ، ومن جديد كون بن جوريون لجنة خاصة ، كانت اجتماعاتها سرية أيضا ، وأوصت

هذه اللجنة بتأسيس وكالة جديدة مهمتها جمع المعلومات من الخارج ، والقيام بالعمليات الخاصة ، وسُميت هذه الوكالة باسم « المعهد المركزى للمعلومات والمهمات الخاصة » ، وعُرفت فيما بعد باسم « المعهد » أو « الموساد» فقط .. وولدت هذه الوكالة رسميا فى أول سبتمبر ١٩٥١ ، على جثة الشعبة السياسية فى وزارة الخارجية ، التى حلت محلها شعبة جديدة ، للدراسات والمتابعة ، مهمتها خدمة وزير الخارجية ومساعدته فى اتخاذ القرار .

لكن ...

رجال الشعبة السياسية لم يتقبلوا هذا الانهيار ، ورفضوا الانضمام إلى الوكالة الجديدة ، وقدموا استقالاتهم جميعا ، وحدث أول وأغرب تمرد من نوعه فى جهاز مخابرات .. وكان أن عاشت إسرائيل أياما ، وأخطر جواسيسها فى حالة إضراب .. وكان أن تحرك مؤسس الموساد ، وأول مسئول عنه ، « روبين شيلواح » واستولى بالقوة على ملفات الشعبة السياسية ، وطرد زعماء التمرد من الخدمة فورا ، ومنح الآخرين مهلة ٢٤ ساعة فقط ، للعودة إلى العمل ، أو الذهاب إلى السجن .

والقصة مثيرة بالفعل .. لذلك فإننا ننصح من يريد معرفة التفاصيل بقراءة كتاب « الوجه الحقيقى للموساد » الذى ألفه د . وجيه الحاج سالم ، وأنور خلف ، ونشرته دار الجليل ــ عمان ــ فى سنة ١٩٨٧ .

مرة ثالثة ، خلال عامى ١٩٥٢ ــ ١٩٥٣ ، أُعيد تنظيم المخابرات الإسرائيلية ، ورغم أن التنظيم الأخير أبقى على « الموساد » كوكالة للعمل فى الخارج ، فإن المخابرات العسكرية « موديعين » ظلت الجهاز الأقوى ، والأهم ، وتعاملت بإهمال مع « الموساد » ، وظلت تزرع العملاء فى الخارج ، وتحرضهم على العمل المضاد ... وهكذا ... خلقت المخابرات العسكرية شبكة العملاء فى مصر ، ودربتها ، ومولتها ، وأشرفت عليها ، ودفعتها إلى التخريب والحرق .

كان على رأس المخابرات العسكرية فى ذلك الوقت العقيد بنيامين جيفلى ، وقد تولى هذه المسئولية فى سنة ١٩٥٠ ، وهو ضابط صغير السن .. ابن فلاح يهودى

مقيم فى فلسطين .. ولد سنة ١٩١٩ .. كان أحد ضباط مدرسة المخابرات .. انضم وهو صغير إلى الهاجاناه .. وعمل فى شركة المستوطنات اليهودية .. وفى سنة ١٩٤٨ ، كان مسئول الأمن السرى فى منطقة القدس .

أما نظيره فى الموساد ، فكان إيسر هاريل ، وقد كان أذكى وأخطر منه .. ولد فى روسيا الوسطى سنة ١٩١٢ ، فى أسرة تملك مؤسسة صناعية صغيرة .. هاجر مع بعض أفراد أسرته إلى فلسطين فى أواخر العشرينات .. التحق بإحدى الكيبوتزات .. وهناك لُقب بنابليون ، لأنه كان ضئيل الجسم ، صارم الوجه ، شديد القسوة على من حوله ، قليل الكلام ، لا تهتز مشاعره ، ويملك القدرة على أن يفعل ما يريد دون حساب للعواطف الإنسانية .. وقد انضم فى سنة ١٩٤٢ إلى الهاجاناه ، التى حولته إلى سلك البوليس اليهودى ، فالتحق بشرطة المستوطنات اليهودية ، وترأس فى سنة ١٩٤٤ ، دائرة الأمن السرى فى فلسطين .. ثم عينه بن جوريون ــ بعد سنة ١٩٤٨ ــ مسئولاً عن مكافحة التجسس ... وفى سنة ١٩٥٢ ، مُنح رتبة عميد ، وأصبح رئيس الموساد .. وكان أن سعى إلى انتزاع اختصاصات الموساد فى الخارج من أنياب المخابرات العسكرية .. وهكذا بدأ الصراع الشرس بينه وبين العقيد بنيامين جيفلى .

وهذا الصراع الشرس ، هو الذى جعل إفرى إلعاد ، يؤكد أن الموساد ، سعت إلى كشف شبكة عملاء موديعين فى مصر ، لتوجيه ضربة تحت الحزام إليها .. وهذه الضربة ستلحق بها الخزى والعار ، وستثبت أنها عاجزة وفاشلة فى تنفيذ العمليات الخارجية ، ومن ثم يسترد إيسر هاريل أهم اختصاصات الموساد ... بل .. ويسحب السيطرة ، التى تتمتع بها موديعين على المخابرات الإسرائيلية كلها ...

وحجة إفرى إلعاد ، كما ذكرها ستيفن جرين فى كتاب « الانحياز » ، هى « أن الموساد ، كان لها عملاء فى القاهرة ، وكان فى إمكانهم مساعدة المخابرات المصرية المضادة ، كما أشار العقيد عثمان نورى .. وفى ذلك الوقت كان الاتصال بين الموساد وموديعين شبه مقطوع ، لذا فإنه من المحتمل أن إيسر هاريل لم يكن يعلم أن بول

فرانك ــ الذى جلب فى الماضى معلومات مهمة وموثوقا بها عن الصاروخ أرض ــ أرض المصرى الجديد ، وعن الخطط الدفاعية فى سيناء ــ كان أيضا عضوا فى شبكة التخريب » !

« وفى آخر الأمر ، كان من شأن الموساد وايسر هاريل أن يستفيد فائدة كبيرة من فضح عملية موديعين ، إذ أن موديعين لحق بها الخزى والعار بعد محاكمة أفراد الشبكة فى ديسمبر ١٩٥٤ ، وأصبحت الموساد هى المسئولة عن عمليات المخابرات الخارجية كافة » .

وفيما بعد ... فى سنة ١٩٨٢ ، أكد إفرى إلعاد شخصيا لستيفن جرين : « أن يعتقد الآن أن غطاءه التجسسى ، وغطاء باقى الفريق قد كشفتهما المخابرات الإسرائيلية عمدا ... فقد رفض إيزاى راهف ، وهو موظف فى موديعين كان من المفترض أن يلحق بإفرى إلعاد فى القاهرة ، فى أوائل سنة ١٩٥٤ ، ليعمل ضابطا للاتصالات فى فريق التخريب ، رفض هذه المهمة ، وقال لإفرى إلعاد ، فيما بعد ، إن السبب هو أن الشكوك راودته فى أن عملية خيانة كانت فى قيد التحضير . وبعد العملية بسنوات عدة ، وكان إفرى إلعاد قد هاجر إلى الولايات المتحدة ، أكد الكولونيل موردخاى بن تسور ، الذى كان رئيسه المباشر فى موديعين ، أن العملية كُشفت للمصريين عمدا وعن سابق قصد وتصميم » .

ولو كان هذا صحيحا ، فإن أحد عملاء الموساد لعب دورا مضادا من داخل موديعين ، لتوريطها ، لأن موديعين ما كانت لتفضح نفسها هذه الفضيحة .

أى أن جهاز الموساد تعامل مع جهاز موديعين ، كجهاز عدو ، يمكن اختراقه ، ويمكن العمل فيه من الداخل .

لكن ... هناك من يؤكد أن العملية كُشفت عمدا ، من موديعين ، ودون اختراق الموساد لها .. وذلك لأسباب سياسية ؛ هى تدمير أحلام رئيس الحكومة الإسرائيلية موشى شاريت ، فى التفاهم الدبلوماسى مع مصر .. والتى عبرت عن نفسها ــ

فى ذلك الوقت — من خلال محاولات للاتصال والتفاهم السلمى مع جمال عبد الناصر .

فالتخريب ، والحرق ، والتجسس ، ثم كشف أفراد الشبكة ، لا بد أن يستفز جمال عبد الناصر ، ويستثير غضبه ، فلا يقبل مبادرات موشى شاريت السلمية .

وهذا التفسير له أساس من الصحة ، سنشرحه فيما بعد ... لكن .. الإقرار به الآن ، يعني أن المخابرات العسكرية كانت منقسمة على نفسها دون أن تدرى .. فهناك من يكّون شبكة تجسس .. وهناك من يجد أن من الأفضل كشفها .

أى أن الصراع لم يكن فقط بين موديعين والموساد .. وإنما كان بين موديعين وموديعين أيضا !

والذين يقرون بهذا التفسير ، يستندون إلى أن رجال المخابرات الإسرائيلية ليسوا بالسذاجة التى يمكن بها كشف إحدى عملياتهم على النحو الذى تم فى مصر .. فضباط المخابرات الإسرائيلية الذين كانوا يقودون أجهزتها وقت فضيحة سوزانا ، هم أنفسهم أفراد الحرس القديم ، الذين خدموا وتدربوا فى الهاجاناه ، قبل حرب ١٩٤٨ .

وهؤلاء ، ليس من السهل عليهم القبول بهذه العملية ، التى « كانت عملية هواة » .

ويصر أصحاب هذا التفسير على أن بول فرانك ، وهو جاسوس كبير ، محترف ، أُرسل إلى مصر ليتزعم مجموعة من « الشباب من غير ذوى الخبرة ولا التدريب اللازمين » .. وعندما نزل القاهرة « كان بعض أوراق النقد المصرية التى أعطوه إياها يحمل ختم المصرف المركزى فى إسرائيل .. وحين أُبلغت الأوامر للعصابة فى القاهرة من أجل البدء بعمليات التخريب (بواسطة الراديو) ، كان من المفترض إرسال جوازات سفر ومزيد من المال لتسهيل هروب أعضاء الشبكة بعد الانتهاء من مهمتهم . لكن الجوازات والمال لم تصلهم قط . أما الأجهزة الحارقة التى استُعملت

فى العملية فلم يكن من الممكن الاعتماد عليها ، إذ احترق أحدها قبل موعده المحدد فى جيب سروال فيليب ناتانسون التعيس الحظ » .

ولا جدال ... أن هذا التبرير ، محاولة لتغطية الفشل الذى تعرضت له المخابرات الإسرائيلية ، والذى وصل إلى حد الفضيحة التى لا تزال رائحتها تزكم الأنوف فى إسرائيل ... إلى الآن .

فلو كان بول فرانك جاسوسا إسرائيليا على هذه الدرجة من البراعة التى يوصف بها ، فلماذا فعل ما لا يفعله أصغر الجواسيس ، وحمل معه أوراق النقد التى عليها ختم البنك المركزى الإسرائيلى ؟ ... ولو كان ضابط مخابرات محترفا ، فلماذا قبل العمل مع هواة .. ولماذا أرسل إلى قيادته فى إسرائيل يخبرها بأن الأولاد جاهزون ؟!

ثم ... إنه من المؤكد أنه هو الذى دفعهم إلى الحرق والتفجير والتخريب ، وهددهم بإبلاغ المصريين عنهم ، لو لم ينفذوا أوامره ، وتعليمات رئاسته !

ثم ... إن الأموال كانت أكثر من احتياجاتهم ، بدليل المبالغ التى كانت معهم وقت القبض عليهم .. كذلك فإن مسألة الجوازات لا معنى لها .. لأن الشبكة ، قدر لها أن تبقى فى مصر كطابور خامس .. لا أن تقوم بعملياتها... وتهرب إلى الخارج ... فالذين كان عليهم الهرب إلى الخارج ، هم الذين جاءوا من الخارج ... إبرام دار .. وإفرى إلعاد .

أما التدريب ... فهم تلقوه فى إسرائيل .. فى بيت صغير فى يافا .. لمدة كافية .. وكان على أعمال الجاسوسية كافة .. التصوير .. اللاسلكى .. الشفرة .. الكتابة بالحبر السرى .. وضع القنابل اليدوية والقنابل الحارقة .. وحسب ما نشر فى كتاب د . إيريش فولات ، فإن رئيس المخابرات العسكرية ، العقيد بنيامين جيفلى « تأكد أن فرقته التى دربها قادرة على القيام بأعمال كبيرة » .

وربما الشىء الوحيد الذى لا جدال فيه هو سوء الحظ !

لقد كانت الفضيحة ضربة أمنية قوية ضد المخابرات الإسرائيلية ، وقد ترتب عليها فضائح وانهيارات سياسية كبرى ، جعلت من الضرورى تبرير الفشل بأية صورة من الصور ... ومهما كان الثمن .

□ ٧ □

الجاسوس والبارون !

فى الجرائم الغامضة ... فتش عن المستفيد .

وفى الجرائم السياسية ... تسرى هذه القاعدة الجنائية أيضا .

ولو تمكن مجرم من أن يعاقب شخصا آخر بدلا منه ... فهذه هى الجريمة الكاملة .

والمجرم .. المجرم هو الذى يحدد من ستلبسه الجريمة قبل أن يرتكبها .. إذ ليس عليه فقط أن ينجو من العقاب ، وإنما عليه أن يحدد من سيناله بدلا منه أيضا .. إنه — فى الواقع — لا يرتكب جريمة واحدة .. بل يرتكب جريمتين .. أو يرتكب جريمة مزدوجة .

ولا جدال فى أن الفرصة ستكون أفضل لو كان المجرم صديقا للمجنى عليه ، وليس من مصلحته الظاهرة التخلص منه ... على العكس .. يبدو التخلص منه خسارة له .

هذا الأسلوب البسيط ، المعقد ، فى وقت واحد ، هو الأسلوب الذى رسمت به المخابرات الإسرائيلية ، سلسلة الحرائق والانفجارات التى نفذتها شبكة التجسس والتخريب فى صيف — ١٩٥٤ .. فإسرائيل صديقة ، وحليفة لبريطانيا ، والولايات المتحدة ، ومن الصعب الشك فيها إذا ما ارتكبت جريمة فى حقهما .. لأنه ليس من مصلحتها — كما يبدو — معاداتهما .. وهناك فى مصر قوى سياسية معارضة (تكره الإنجليز وضد الأمريكان) يمكن أن « تلبس » هذه الجرائم .

إذن ... المتهم معروف مقدما ، قبل البدء فى التنفيذ ... فهل كان ما حدث يمكن أن يكون الجريمة الكاملة ، لو لم تكشفه الصدفة ؟ .. وهل يفسر لنا هذا الأسلوب الكثير مما جرى ، وما يجرى فى حياتنا السياسية ، والدينية أحيانا ؟

وفى كتابه عن المخابرات الإسرائيلية يقول ريتشارد ديكون إن الخطة ، وُضعت ، وطُورت « لتحميل جمال عبد الناصر ، مسئولية مؤامرة معادية للأمريكيين ، وفقا للقواعد التى وضعها عملاء التحريض الروس فى زمن إيفنو آزيف » .

وإيفنو آزيف ، كان ابن خياط فقير .. ولد فى مقاطعة جردونيسكى فى روسيا ، سنة ١٨٦٩ ، وبدأ حياته كاتبا فى إحدى المصالح الحكومية ، ثم احترف مهنة التدريس ، فالصحافة ، وأصبح متين الصلة بتنظيمات الثوار ، قبل أن يعرض خدماته على الشرطة السرية ، القيصرية .

أصبح آزيف عميلا مزدوجا .. لكن .. لم يستطع أحد أن يكشفه بسهولة .. وكان قادرا على التعامل ببراعة مذهلة بين الثوار ، والشرطة السرية .. واستخدم علاقته الخفية بين الطرفين فى تسريب معلومات مهمة ، تؤدى بالثوار إلى اغتيال كبار شخصيات الحكم (بينهم ثلاثة وزراء داخلية) وتوصل الشرطة السرية إلى بعض خلايا الثوار .. وفى كل الأحوال كان يخرج من الموقف كما تخرج الشعرة من العجين ، وكان ينجح فى توريط آخرين ، من الجانبين ، تحوم حولهم الشبهات .

لقد كان ثوريا تحت الأرض .. مخبرا فوق الأرض .. وتخلص من خصومه فى التنظيمات الثورية .. وخلص الثوار من شخصيات كانت فى غاية الأهمية .. والقسوة ... ودائما كان يجهز من سيلبس القضية قبل أن يرتكب الجريمة .

وحتى الآن ، يسجل التاريخ أنه العميل المزدوج الذى لم يستطع أحد كشفه ، أو القبض عليه .. فقد طارده الثوار ، وطاردته الشرطة السرية ، فهرب من روسيا ، وتنقل بين إيطاليا ، واليونان ، ومصر .. وأخيرا استقر فى ألمانيا ... وقبيل انتهاء الحرب العالمية الأولى انتهت حياته !

وما فعله اليهود فى مصر — على طريقة آزيف — لم يكن جديدا .. فقد جربوا الأسلوب نفسه ، قبل حوالى ١٠ سنوات .. بالتحديد فى شتاء — ١٩٤٤ ، عندما اغتالوا اللورد موين ، وزير الدولة البريطانى فى الشرق الأوسط ، والمقيم فى القاهرة ،

والمسئول عن توفير مطالب قوات الحلفاء كافة فى المنطقة ، أثناء الحرب العالمية الأخيرة .. وكان عمره وقتها حوالى ٦٨ سنة .

وكان الهدف من وراء الاغتيال إجبار بريطانيا على التسليم بالمطالب الصهيونية فى فلسطين .. ولولا أن قبض على الجناة ، لكان فى مصر من اتهم بارتكاب الجريمة .. فعلاوة على غضب المصريين من وجود الاحتلال البريطانى ، كان جُرح الكرامة الوطنية فى حادث ٤ فبراير الشهير لا يزال ينزف .. حيث أجبر الإنجليز الملك على إقالة الوزارة بالدبابات التى حاصرت قصر عابدين .. يضاف إلى ذلك تعاطف الشعب المصرى مع الألمان ، الذين وصلوا إلى « العلمين » .. تحت قيادة روميل الذى هتف له المصريون .: « إلى الأمام ياروميل » .. بعد أن اعتبروا هتلر نصيرا للمسلمين ، وأسموه « الحاج محمد هتلر » !

خطط مؤامرة اغتيال اللورد موين ، إرهابى ، سيصبح فيما بعد رئيسا لوزراء إسرائيل ، هو إسحاق شامير ، الذى كان يرأس — فى ذلك الوقت — عصابة شتيرن .. وقد نفذ المؤامرة ، شابان من أعضاء شتيرن ، هما الياهو حكيم (انتحل اسم بورنشتين ، ثم اسم موسى كوهين) والياهو بن تسورى (انتحل اسم ميكائيل حبان) .. وقد تسللا من فلسطين بأوراق جنديين بريطانيين ، كانت مزورة .. وقد وصل الأول فى فبراير ١٩٤٤ .. بعد شهر من وصول اللورد إلى القاهرة .. وتنقل فى أماكن مختلفة ، وراح يرصد حركات المسئول البريطانى الكبير ، ويرسم خطوات التنفيذ على الطبيعة .. أما الثانى فقد وصل فى أكتوبر من السنة نفسها ، وهو يحمل أكثر من مسدس ، وكمية لا بأس بها من المفرقعات و٣٠ علبة بكل منها ١٦ رصاصة .

فى صباح يوم ٦ نوفمبر ١٩٤٤ .. صباح يوم التنفيذ .. استأجرا دراجتين ، انطلقا بهما إلى دار اللورد موين ، ووقفا بجانب الباب الخارجى للحديقة ، فى انتظار قدوم اللورد ، وكان كل منهما يحمل مسدسا .. وفى الساعة الواحدة والربع تقريبا من بعد الظهر ، أقبلت سيارة اللورد يقودها الأومباشى (العريف) أرثر فوللر ،

وبجانبه الكابتن « هيوزا نسلو » ياور اللورد ، وفى المقعد الخلفى جلس اللورد ، وإلى جانبه سكرتيرته الخاصة مس دورثى أوزموند .. وكانوا جميعا غير مسلحين .

وقفت السيارة أمام الباب الداخلى للمنزل .. نزل الكابتن هيوز .. استخرج المفتاح .. نزل ليفتح الباب .. فى اللحظة نفسها نزل فوللر ليلف حول السيارة ويفتح بابها للورد .. اقترب المتهمان من السيارة شاهرين مسدسيهما .. أمرا الياور والسائق بالانبطاح أرضا .. فتح الياهو حليم باب السيارة الخلفى وسدد إلى اللورد وهو جالس فى مقعده ثلاث طلقات أصابته فى الصدر والعنق .. أطلق الياهو بن تسورى ثلاث طلقات على السائق عندما شعر بأنه سيمد يده إلى مسدسه .. مع أنه كان غير مسلح .

مات اللورد فى المستشفى ، بعد ساعات ، متأثرا بجراحه .

وبواسطة رجل بوليس (كونستبل) شجاع اسمه محمد عبد الله ، أمكن القبض على الشابين اليهوديين ، بعد مطاردتهما عبر ضاحية الزمالك الهادئة .. أو التى كانت هادئة .. وقد رُقى فيما بعد ، وأنعم عليه الملك بنوط الواجب .

أما القاتلان ... فقد حوكما ، وحُكم عليهما بالإعدام .. وبالفعل شنقا .

ورغم بشاعة الحادث ، فإن اليهوديين القاتلين ، أصبحا فى عيون اليهود المصريين ... بطلين .. وشهيدين .. وساهمت هذه النظرة فى إثارة خيال الشباب اليهودى .. ومن ثم ، غيرت مفاهيمه السياسية عن إسرائيل ، والوطن القومى المرتقب فى فلسطين ... وكان أن تحمس عدد كبير منهم للعمل الصهيونى السرى ، وسارع بالانضمام إلى الجمعيات اليهودية التى كانت تحمل أسماء نوادٍ اجتماعية ورياضية وثقافية ... وكان من بين هؤلاء .. إيلى كوهين .. وروبيز نسيم داسا .. وفيليب ناتانسون ... وكانت هذه بداية مشوارهم نحو العنف والتخريب .. وهكذا تتصل الحلقات .

ولأن تفاصيل هذه الجريمة ليست موضوعنا ، فإننا نقترح على هواة قراءة الجرائم

السياسية أن يرجعوا إلى كتاب د . محمود متولى : « مصر والاغتيالات السياسية » .. الناشر : دار الحرية .. نوفمبر ١٩٨٥ .. أى بعد ٤٠ سنة بالضبط على وقوع الحادث ، وهي فترة كافية جدا لأن يكون المؤرخ محايدا .. ولأن تكون كل أبعاد الحادث قد كُشفت .

فى شهر يونيو ١٩٥٤ ، اعترف إسحاق شامير ، وكان فى المعارضة ، فى حديث أدلى به إلى مطبوعة « هاعولام هاعوزيه » بأن خطة اغتيال اللورد موين كانت جاهزة قبل تنفيذ الجريمة ، و « أنها لم تكن الأولى من نوعها خارج إسرائيل ، ولكنها كانت الوحيدة التى كُشف فاعلوها » ، وبعد أسابيع من نشر الحديث ، قُبض على الشبكة الجديدة فى مصر .

والحقيقة أن إسحاق شامير لم يكن صادقا ولا دقيقا فى كلامه .. فقبل حوالى ٤ سنوات .. بالضبط فى صيف ــ ١٩٥٠ ، كُشف فى العراق أفراد شبكة إسرائيلية ، كانت قد سبقت الشبكة التى فى مصر ، فى التكوين ، والنشاط ، وتحديد أسلوب العمل .. بل .. إن انهيار شبكة العراق ، أدي إلى تكوين شبكة مصر .. وما حدث فى بغداد كان بروفة لما حدث فى القاهرة والإسكندرية .. التفكير نفسه .. التكتيك نفسه .. والأهداف نفسها تقريبا .

وحتى نمد أيدينا إلى الجذور ، لا بد من التفاصيل .. وحتى نصل إلى التفاصيل ، لا بد أن نمد أيدينا إلى كتاب الصحفى البريطانى الشهير ديفيد هيرست : « البندقية وغصن الزيتون ــ جذور الصراع فى الشرق الأوسط ــ The Gun and The Olive Branch » .. الفصل الخامس .. وعنوانه « استخدامات خاصة للعنف » .

نحن الآن فى بغداد .. اليوم آخر أيام عيد الفصح ، فى أبريل من سنة ١٩٥٠ .. اليوم تعود يهود بغداد على التنزه على ضفاف النهر .. نهر دجلة .. احتفالا بما يُسمى « أنشودة البحر » .. وهى عادة قديمة يمارسها منذ مئات السنين يهود العراق .. أقدم جالية يهودية فى العالم .. ذلك أن أصلهم ونسبهم يرجع إلى عهد تدمير الهيكل الأول ، وسبى أجداد أجدادهم فى بابل .. فى هذا اليوم احتشد حوالى ٥٠

ألفا منهم فى الحدائق القريبة .. ومع حلول المساء بدأ العدد يتناقص بوضوح .. لكن .. بعض اليهود الشبان كانوا مازالوا جالسين على مقهى يُسمى « الدار البيضاء » ، تقع فى شارع شهير ، اسمه شارع « أبو نواس » .

فجأة .. بدد مرح الأطفال بالعيد ، صوت انفجار .. صوت قنبلة صغيرة ، ألقت من سيارة مسرعة على الرصيف المقابل للمقهى .. ورغم أن أحدا لم يصب ، فإن الحادث هز الجالية اليهودية التى لم تتردد فى اتهام الوطنيين العراقيين بتدبيره .. وبدأ البعض يهمس : « لا بد أن نرحل إلى إسرائيل .. إنهم يريدون قتلنا هنا » .

وفى اليوم التالى ، تدافع الكثيرون منهم نحو المكاتب الخاصة التى أعدت لتسجيل أسماء اليهود الذين يرغبون فى التخلى عن الجنسية العراقية ، مقابل السماح بالهجرة .. وكانت هذه المكاتب قد فُتحت قبل شهر واحد ، بعد أن اعترفت الحكومة بحق اليهود فى الهجرة ، بشرط عدم الاحتفاظ بالجنسية .. وكان هدفها منع الهجرة غير المشروعة .. التى تشوه سمعة العراق .. وأعطت مهلة سنة .. حتى مارس ١٩٥١ .

ورغم القرار ، فإن أحدا من اليهود لم يترك العراق ، ولم يفكر فى أن يوقع على نموذج الرحيل .. لكن بعد حادث القنبلة وقع حوالى ١٠ آلاف يهودى على هذا النموذج .. وازدادت بوضوح رغبات الهجرة ، حتى إن معبد « عزرا داود » الضخم تحول إلى مكتب تسجيل ، وأقيم فيه مطبخ لتقديم الطعام إلى الضباط الذين كان عليهم القيام بهذا العمل .

على أن حالة الذعر لم تدم ، وهدأت حركة التسجيل ، فكان أن وقع انفجار آخر فى مركز الإعلام الأمريكى ، حيث يأتى الكثير من الشبان اليهود للقراءة .. ومرة أخرى تردد أن الوطنيين العراقيين يريدون قتل اليهود ، ومن جديد نشطت حركة التسجيل ، ولكن كان العدد أقل من المرة السابقة .

انتهى العام ، واقترب الموعد المحدد للتخلى عن الجنسية ، وكان أن وقع الانفجار الثالث ، وهذه المرة كان هناك ضحايا .. فالانفجار وقع بخارج معبد « مسعود شمتوف »

الذى كان يستخدم كمركز تجمع للمهاجرين .. فى شهر يناير ١٩٥١ .. فأصيب صبى يهودى ، ومات آخر كان يبيع الحلوى ، وفقد ثالث عينيه .

اندفع اليهود إلى مكاتب التسجيل مثل الطوفان ، وقبل أيام من انتهاء الموعد ، دفع البعض مبالغ تصل إلى ٢٠٠ جنيه لكى يضمنوا إدراج أسمائهم فى قوائم المهاجرين .. وبعد انتهاء المهلة لم يبق فى العراق سوى ٥ آلاف يهودى ، رفضوا الهجرة إلى إسرائيل ، وفى الوقت نفسه صدر قانون يقضى بمصادرة ممتلكات من تخلّوا عن جنسيتهم ، وبدأت الطائرات تنقل المهاجرين بمعدل يتراوح بين ثلاث وأربع طائرات يوميا ، كانت تتجه إلى مطار اللد عبر نيقوسيا ، لكن بعد فترة وجيزة أصبحت تتجه إلى مطار اللد مباشرة .

لم يمض وقت طويل ، حتى انفُجرت قنبلة رابعة ، لكن مع انفجار هذه القنبلة انكشفت المؤامرة ، واتضح أن الانفجارات ليست من تدبير الوطنيين العراقيين ، بل من تدبير منظمة سرية تُسمى « الحركة » ، أشرف عليها ماكس بنيت ، وتلقى زعيمها ، وهو يهودى عراقى ، اسمه الحركى « رمضان » ، رسالة سرية من إيجال آلون ، يطلب منه فيها الحذر . (نص الرسالة السرية فى الملاحق) .

انكشفت حقيقة القنابل الصهيونية ، عندما دخل رجل أنيق ، متجر « أورو زدى بج » أكبر المتاجر فى بغداد ، وما أن رآه أحد الباعة ، وهو لاجىء فلسطينى ، حتى شحب وجهه ، وجرى إلى الشارع ، واستدعى رجل البوليس ، قائلا : « لقد اكتشفت شخصا إسرائيليا » .. وكان هذا البائع صبيا فى مقهى فى عكا وهناك عرف يهودا ميرميش تاجر (كان اسمه الحركى إسماعيل صالحون ، وقالت عنه مذكرة معلومات السفارة العراقية فى القاهرة إلى وزارة الخارجية المصرية إنه جاسوس سهل زرعه فى بغداد ماكس بنيت) .

قبض على يهودا تاجر ، واعترف على آخرين ، وصل عددهم إلى حوالى ١٥ شخصا ، وقال إنه المسئول عن مخابىء أسلحة الهاجاناه ، ثم راح يتنقل مع رجال الشرطة من معبد إلى معبد ، ليدلهم على أماكن إخفاء الأسلحة التى تم تهريبها إلى

داخل البلاد منذ الحرب العالمية الثانية .. وانتهى التحقيق باتهام أعضاء الشبكة بالانتماء إلى منظمة سرية صهيونية ، استخدمت المفرقعات والقنابل بهدف إشاعة الذعر بين اليهود ليسارعوا بالهجرة إلى إسرائيل فى أقرب وقت .. وقد حكم على اثنين من المتهمين بالإعدام ، وحكم على الآخرين بالسجن لمدد طويلة .

إن إسرائيل فى ذلك الوقت ، كانت تريد مهاجرين إليها من يهود العالم بأى ثمن .. حتى لو كان الثمن قتل بعض اليهود ، ليفزع البعض الآخر .. ويهرع إلى إسرائيل .. وقد عبر عن ذلك بجرأة تصل إلى حد الوقاحة معلق فى صحيفة « دافار » المعبرة عن الهستدروت (حركة النقابات العمالية فى إسرائيل) الذى كتب فى تلك الفترة يقول ، إنه لن يخجل من الاعتراف بأنه لو توفرت له السلطة والقوة لاختار عددا من الشبان اليهود الأكفاء — ممن يتوقون إلى المساعدة فى إنقاذ اليهود — وقام بإرسالهم إلى البلاد التى يندمج اليهود فى مجتمعاتها « فى حالة من الرضا الذاتى الأثيم » ، لكى يظهروا بمظهر غير اليهودى ، ليزعجوا أولئك اليهود المستقرين بشعارات معادية للسامية ، مثل « اليهودى القذر » ، أو .. « اليهودى اللعين » .. و « أيها اليهود ارحلوا إلى فلسطين » .. وغيرها من العبارات المشابهة .

ورغم هذه الوقاحة ، فإن المخابرات الإسرائيلية كانت أكثر من هذا المعلق ، تطرفا .. فهى لم ترسل من يسب اليهود ، أو يهين كرامتهم ، وإنما من هو مستعد أن يفجر بعضهم ويقتل بالقنابل !

وحسب إضافة ديفيد هيرست ، فإنه كان لا بد من إعمال العنف مع اليهود الشرقيين ، حتى ينخلعوا من جذورهم ، ويفكروا فى الذهاب إلى إسرائيل .. فحتى ذلك الوقت لم تكن نسبة المهاجرين اليهود القادمين من آسيا وإفريقيا تزيد على ١٠ ٪ فقط .. و « الحقيقة أن الغالبية العظمى من اليهود الشرقيين كانوا من اليهود العرب ، والسبب فى عدم مبالاتهم هو أنهم لم يعانوا على مر التاريخ من الاضطهاد والتفرقة التى عانى منها إخوتهم فى العالم المسيحى فى أوروبا » .. فلم تُفرض عليهم الإقامة فى « الجيتو » كما حدث فى روسيا القيصرية .. ولم تعلق على ظهورهم لافتات مهينة

بأنهم يهود .. ولم يسخر أحد من صفاتهم الشاذة ، كما فعل شكسبير فى قصة « تاجر البندقية » .. حيث طالب اليهودى بتقطيع لحم الحى وفاء للدين .. إن حياتهم باعتراف ديفيد هيرست « كانت مريحة ، وجذورهم متأصلة ، ولم يتمتعوا بحريتهم فى أى مكان مثلما تمتعوا بها فى العراق » .. ومصر .

وفى وقت من الأوقات كان عدد اليهود فى بغداد يفوق عدد المسلمين .. وكانوا أغنى الأغنياء هناك .. وسيطروا على أقوى وأهم البنوك والشركات والمصانع والمتاجر .. وكان أشدهم فقرا أفضل من حال العراقى المتوسط المعيشة .. وبموجب الدستور كانوا يتمتعون بالمساواة مع غيرهم من المواطنين .. وكان لهم من يمثلهم فى البرلمان .. وكانوا يشغلون وظائف فى جهاز الإدارة .. وفى الفترة من ١٩٢٠ إلى ١٩٢٥ ، كان وزير المالية العراقى يهوديا .

والمذهل أن الاضطهاد كان عكسيا فى العراق .. أى أن اليهود هم الذين اضطهدوا المسلمين .. ففى منتصف الأربعينات ، وزع الصهيونيون منهم كتيبات بعنوان « لا تشتروا من المسلمين » !!

وبعد حرب فلسطين ، بدأت قوافل تهريب اليهود العراقيين ، عبر إيران ، وأشرف على شبكة الترحيل ، كما عرفنا من قبل ماكس بنيت ، وجون دارلنج ، لكن .. هذه العمليات غير الشرعية لم يرض عنها اليهود هناك ، وكان لا بد من إزعاجهم ... وكان ما كان .

على أن اليهود العراقيين الذين هاجروا إلى إسرائيل ، لم يبق الكثير منهم هناك ، بعد أن اكتشفوا — مع غيرهم من اليهود الشرقيين — أنهم يتعرضون إلى اضطهاد وعنصرية من اليهود الأوربيين ، لم يجدوهما فى البلاد العربية .. بلادهم .. التى انتزعوا منها بالمفرقعات والحرائق .. و « لم يكونوا سوى وقود النيران بالنسبة لعقيدة الصهيونية الأوربية » .

والذين تركوا إسرائيل هم الذين يملكون الأموال والصلات وروح المبادأة .. وقد

نجح هؤلاء فى الوصول إلى أوروبا وأمريكا إلى غير رجعة .. والذين بقوا ، هم الذين لا حول لهم ولا قوة .. وقد اكتفى هؤلاء بترديد أغنية حزينة ، لا تزال شهيرة .. تقول :

ماذا فعلت يابن جوريون ؟
لقد هربتنا جميعا .
وبسبب الماضى تخلينا عن جنسيتنا .
وجئنا إلى إسرائيل .
ليتنا جئنا راكبين حمارا .
ولم نصل إلى هنا أبدا .
ويا للأسف ..
يالها من ساعة مشئومة .
فلتذهب إلى الجحيم ..
لتذهب إلى الجحيم بالطائرات التى حملتنا هنا .

وفى تحقيق صحفى نشرته الجيروزليم بوست (١٢ ديسمبر ١٩٥٤) ... أن يهود العراق لم يختف حنينهم إلى وطنهم الأصلى بعد أن ذهبوا إلى إسرائيل .. « ذلك أن الفارق كان كبيرا جدا بين ما كانوا عليه وما أصبحوا فيه » .. فقد تحطمت واحدة « من أروع وأغنى الجاليات ، وأصبح أفرادها فقراء معوزين » .

« وتحولت تلك الجالية التى كانت تسيطر على معظم موارد العراق ، إلى جماعة محكومة ، تتعرض للتفرقة فى المعاملة ، والقهر فى جميع النواحى » .

« جالية كانت تفخر بثقافتها وعلمها ، ولم يظهر من بين صفوفها سوى عدد ضئيل من الأكاديميين فى الجامعات الإسرائيلية ، يقل كثيرا عما أحضرته معها من العراق » .

« جالية كانت واثقة تماما من قيمها الأخلاقية وثقافتها السليمة ، تحولت فى إسرائيل إلى أداة لإنتاج كل ضروب الجانحين ، والمنحرفين » .

« جالية كانت تنجب أبناء رائعين ، فلم تستطع أن تنجب فى إسرائيل سوى أبناء معوقين » !

العدوى انتقلت من العراق إلى مصر .

ففيما بعد ...

قال العقيد بنيامين جيفلى ، مدير المخابرات العسكرية ، والمسئول عن فضيحة عملية سوزانا : إنه مهما كانت نتيجة ما حدث ، فقد كسبنا عداء المصريين لليهود ، ذلك العداء الذى جعل إسرائيل تستقبل أعدادا منهم .

يقصد أن إشعال الحرائق ، جعل الشعب المصرى يكره اليهود الذين يعيشون معه .. مما دفع اليهود إلى الخروج من مصر .. « وما كانوا ليخرجوا إلا بمعجزة .. أو بكارثة » !

لا جدال فى أن اليهود عاشوا فى مصر قبل الميلاد .. وعندما خرجوا مع سيدنا موسى من مصر .. عاد بعضهم إليها .. ومع وصول الإسكندر الأكبر إلى « بيت المقدس » ، هاجرت جماعات من يهود فلسطين إلى الإسكندرية ، واستقرت فيها .. ومع الفتح الإسلامى ، ثم الغزو العثمانى ، ازداد العدد ، وتضاعف الاستقرار .

فى القرن الماضى ، ومع فتح الأبواب للأجانب ، وصل عدد اليهود فى مصر إلى ٢٥٢٠٠ نسمة ، حسب إحصائيات عام ١٨٦٧ .. وقد أخذ العدد يتزايد حتى وصل فى سنة ١٩٤٧ إلى حوالى ٦٥ ألفا .. كان أغلبهم فى القاهرة (٣٦ ألفا) والإسكندرية (٢٥ ألفا) والباقى فى منطقتى الدلتا وقناة السويس .

الذين يحملون الجنسية المصرية لم يكن عددهم يزيد على ٥ آلاف شخص .. وكان هناك حوالى ٢٠ ألفا يحملون جنسيات أجنبية ، مختلفة .. وكان الباقى بلا جنسية .

وحسب المستوى الاقتصادى ، والاجتماعى ، كان هناك عائلات يهودية فاحشة الثراء .. منها قطاوى . سوارس . موصيرى . شيكوريل . نادلر .. وكانت تملك

البنوك ، وتجارة الأرض ، والمحال التجارية ، وتسيطر على الصاغة .. وارتبطت مصالحها بمجموعات أخرى من اليهود ، سيطرت على الاستيراد . التصدير . البورصة . تجارة القطن . العملة .

كان هؤلاء هم اليهود الأجانب .. وقد عاشوا حياة أرستقراطية .. فاخرة .. وسيطروا على شرايين الحياة الاقتصادية .. وكانوا يتصرفون على الطريقة الأوربية .

أما اليهود المصريون ، فكانوا فى القاع .. كانوا فقراء معدمين .. يعملون فى حرف بسيطة .. ويعيشون فى الأحياء الشعبية ، مثل العباسية ، والموسكى ، والظاهر ، والسكاكينى ، وكان لهم فى القاهرة جيتو خاص سُمى بحارة اليهود .. وهؤلاء ذابوا فى الحياة المصرية ، وتحدثوا باللغة العربية .. وكانوا أقل فئات اليهود فى مصر حجما وتأثيرا .

فى سنة ١٩٢٣ ، منحهم أول دستور فى مصر الحقوق المدنية والسياسية كافة ، حيث نص على ألا تفرقة بسبب العرق ، أو العقيدة ، أو اللون ، أو اللغة .. ونص على حرية العقيدة .. فأقام اليهود المدارس ، والمعاهد ، والمستشفيات والمعابد .. ووصل عدد معابدهم فى القاهرة والإسكندرية فقط إلى ٥٠ معبدا .

واستنادا إلى كتاب أحمد غنيم وأحمد أبو كف عن « اليهود والحركة الصهيونية فى مصر » ـ دار الهلال ـ ١٩٦٩ ، فإن الرأسماليين اليهود سيطروا على حوالى ٩٥ ٪ من الشركات المصرية فى القرن الماضى وحتى معاهدة ١٩٣٦ ، والقوانين الاقتصادية التى تلتها ، والتى فرضت أن يكون ٧٥ ٪ من الموظفين ، و٩٠ ٪ من العمال ، مصريين .

واستنادا إلى المصدر نفسه ، كان لليهود دور فى الحياة السياسية .. ففى أول حكومة شكلها سعد زغلول سنة ١٩٢٤ ، كان وزير المالية يوسف قطاوى باشا .. الذى كان عضوا فى لجنة الثلاثين التى أعدت دستور ١٩٢٣ ، ثم أصبح وزيرا للمواصلات فى حكومة أحمد زيور سنة ١٩٢٥ .. وفى البرلمان كان أعضاء من اليهود

أيضا ، مثل رينيه قطاوى والحاخام ناحوم أفندى ، الذى كان على علاقة وثيقة مع سعد زغلول والملك فؤاد فى وقت واحد .

ورغم أن هناك تفرقة نظرية معلنة بين اليهودية والصهيونية ، فإن كثيرا من وقائع التاريخ الحديث ، تؤكد أن هذه التفرقة لا وجود لها غالبا .. وأغلب الظن أنها تستخدم كشراك خداعية .

واليهود أنفسهم يعترفون بذلك ، والعلماء منهم على وجه الخصوص ، وآخر من سجل هذا الاعتراف الباحث اليهودى « بان يائور » فى دراسة نشرتها مجلة « الأزمنة الحديثة » ، فى سنة ١٩٨٠ عن الصهيونية فى مصر .

والدراسة مثيرة .. وتكشف الكثير .. لذلك .. سنتوقف عندها طويلا .

حسب ما رصده « بان يائور » ، فقد حضر من بلغاريا ، فى سنة ١٨٩٦ ، يهودى اسمه جوزين ماركو باروخ .. لم يكد يصل إلى القاهرة ، حتى راح يطوف شوارعها ومعابد اليهود فيها ، وهو يبشر بالعودة إلى القدس ... ونجح فى أن يشد البسطاء إليه .. فتجمعوا حولوا .. وتبرعوا له بالمال الذى استأجر به غرفة فى حى الموسكى ، أقام فيها هو وزوجته ، وجعلها مقرا لجمعية « باركوهبا » التى راحت تكبر ، وتقوى ، حتى أصبحت جمعية مؤثرة فى سنة ١٩٠٦ .. ونجحت ــ فيما بعد ــ فى استمالة المؤيدين للصهيونية .. وفى جمع التبرعات المالية .. ومثلت مصر فى مؤتمرات صهيونية دولية .. واستقبلت عددا من الشخصيات الصهيونية الغربية ، فى مصر ، كان على رأسها هرتزل .

فى الإسكندرية ، كانت بداية الحركة الصهيونية أكثر بطئا .. ففى اجتماع ضم ٤٠٠ عضو تقرر إنشاء فرع مستقل من جمعية « باركوهبا » فى الإسكندرية .. فى يوم ٢ أغسطس ١٩٠١ .. وتبع ذلك إعلان جمعيات أخرى مثل « تيكفات زيون » فى سنة ١٩٠٤ .. و « بوال زيون » فى سنة ١٩٠٦ التى تبنت قرارات المؤتمر الصهيونى الأول الذى عقد فى « بال » بسويسرا .. وفى سنة ١٩٠٩ قام اليهود

المهاجرون من روسيا بإنشاء جمعية صهيونية جديدة .

وحتى تكسب هذه الجمعيات المزيد من المؤيدين ، « كانت تمزج الصهيونية بالنشاط الثقافى لليهود فى معظم الأحيان » .. وهكذا .. وجدت فى إصدار الصحف فرصة كبرى .. ومن هذه الصحف « لى موساجى سيونيست » التى صدرت فى سنة ١٩٠١ ، معبرة عن جمعية « باركوهبا » .. والتى أصبحت بعد أقل من سنة ، تصدر تحت اسم « يياسيرت زيون » .. وفى سنة ١٩١٢ ، صدرت صحيفة « لارينو إيسرائيليت ديجيبت » .

صدرت هذه الصحف فى الإسكندرية .. أما فى القاهرة ، فقد صدرت صحيفة « ميزارايين لودينو » فى سنة ١٩٠٣ .. وصحيفة « لارينسانس جويف » فى سنة ١٩١٢ .. وصحيفة « لارينو سيونست » فى سنة ١٩١٧ ، التى رأسها المحامى اليهودى ، التركى الأصل ليون كاسترو ، الذى جاء بعد الحرب العالمية الأولى ، ورافق سعد زغلول فى مفاوضاته فى لندن .. وقد ترك هذه الصحيفة إلى « جاك موصيرى » ليؤسس صحيفة أخرى ، هى « لو ليبرتى » .

وقد جاء ليون كاسترو إلى القاهرة فى وقت طردت فيه السلطات التركية فى فلسطين ١١٢٢٧ يهوديا روسيا .. وصلوا إلى الإسكندرية عرايا .. حفاة .. بلا ألبسة داخلية ولا خارجية .. فأسرع ليون كاسترو إلى تشكيل « جمعية النازحين الروس من فلسطين » .. وبعد أن استقر هؤلاء ، طلب القنصل الروسى ، من السلطات البريطانية (فى سنة ١٩١٥) أن تعمل على إعادة ترحيل اليهود الروس القادرين على أداء الخدمة العسكرية إلى روسيا .. فسارع المجمع اليهودى إلى تشكيل لجنة « إنقاذ » رأسها إدجار سواريز رئيس مجمع الإسكندرية ، طالبت بأن يقاتل اليهود إلى صف الإنجليز لا إلى صف الروس .. ورفع موسى قطاوى باشا مذكرة بهذا الشأن إلى الجنرال ماكسويل قائد القوات البريطانية فى مصر ، الذى قبل أن يشكل اليهود « فوج » من البغال لنقل المؤن والذخائر .. وقد تكون الفوج من ٥٠٠ متطوع يهودى (٣٥٠ من يهود فلسطين و١٥٠ من يهود الإسكندرية) .. وقد

وضع أفراده على صدورهم ، شعار نجمة داوود .. وخاطب المسئول عن الفوج الجنرال باترسون اليهود ، قائلا :

« لقد مضى ٢٠٠٠ سنة دون أن يعرف العالم جنديا نظاميا ، يهوديا ، واحدا ، لذلك فعيون العالم عليكم الآن » !

وفى أول أغسطس ١٩١٨ ، تشكلت فى الإسكندرية لجنة مناصرة يهود فلسطين ، وبعد يومين كان يهود مصر يستقبلون وايزمان ، ويقدمون إليه الكثير من التبرعات .

وعندما دمج وعد بلفور بمعاهدة السلام مع تركيا فى أبريل ١٩٢٠ ، حول يهود الإسكندرية المدينة إلى « كرنفال » .. وارتجل ليون كاسترو خطبة فى نادى « ماكابى » .. وشرحه . ديجين ممثل اتحاد يهود السفرديم (اليهود الشرقيين) العالمى ، الدور الذى لعبه اليهود للتقارب بين العرب ، والغرب !

وفى غمرة الاحتفال ، أنشىء فى الإسكندرية مكتب خدمات لمساعدة اليهود المهاجرين إلى فلسطين أثناء توقفهم فى مصر .. وابتداء من ٢٧ نوفمبر ١٩٢٧ ، فُرضت إتاوات على اليهود المصريين ، خُصص ريعها لإعانة ٢٠ ألف مهاجر ، واستمر هذا النشاط حتى سنة ١٩٤٨ .

وخلال تلك الفترة كان كل النشاط اليهودى فى خدمة الصهيونية .. التبرعات .. الصحف .. حفلات الموسيقى .. الرياضة .. أوراق اليانصيب .. وألعاب التسلية !!

وعندما رشح حاييم ناحوم نفسه لشغل مكان الحاخام الأكبر ، لم تدعمه الجمعيات اليهودية إلا بعد أن تعهد بالكف عن معاداة الصهيونية .

وابتداء من سنة ١٩٢٤ ، أصبح الصندوق القومى لليهود (الكيرين كايمت) مؤسسة مهمة .. ومن خلاله جمع يهود الإسكندرية ١٥ ألف جنيه ، خصصت لشراء قطعة أرض فى فلسطين لإقامة مستوطنة « كفار يدياه » لليهود الألمان .

وفى تلك الفترة أنشئت مؤسسات لتعليم اللغة العبرية مثل « موادان هايفرى » و« وايزو » التى تخصصت فى تعليم العبرية للأطفال .. وأنشئت جمعية أصدقاء الجامعة

العبرية فى القدس « بريتيش ترامبيلدور » .. ووصلت الصحافة اليهودية إلى الذروة ، فتنوعت بعض الصحف الإخبارية والمجلات المصورة ، والدراسات الأدبية ، وصدرت هذه الصحف والمجلات بمختلف اللغات ، بما فى ذلك العبرية ، والعربية .

وقد قويت هذه الصحف والمجلات بعد سيطرة الفاشية على إيطاليا والنازية على ألمانيا ، ونجحت فى اجتذاب كبار الكتاب والمفكرين مثل د . طه حسين ، ود . محمد حسين هيكل ، بدعوى مواجهة هتلر وموسولينى .

وخلال الحرب العالمية الثانية توسع النشاط الصهيونى فى مصر أكثر ، حتى أصبح تيارا فكريا واضحا ، ومستقلا .. وظل على هذه الحال حتى إعلان دولة إسرائيل فى ١٥ مايو ١٩٤٨ .

لكن ... ذلك لم يمنع وجود جماعات يهودية ، رفضت الصهيونية .. منها « الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية » .. لكن .. النفوذ الصهيونى كان أقوى من بيانات هذه الرابطة .. وكان أن نجح هذا النفوذ فى استصدار قرار من وزير الداخلية بحلها .. وقبض على قياداتها .

انتهى ما استخلصناه من مجلة « الأزمنة الحديثة » .

ورغم أن بعض التوترات حدثت لليهود بعد حرب فلسطين ـــ حيث ألقى البوليس المصرى القبض على بعض أصحاب النشاط السياسى من اليهود ـــ فإن ذلك لم يستمر سوى أسابيع قليلة !

وبعد الثورة ، لم يتغير الوضع .. ولم تتغير النظرة إلى اليهود ... لكن .. كان واضحا أن احترام اليهود ، لا يعنى التسامح مع الصهيونيين منهم .

وقد كان حاخام اليهود الأكبر عضوا فى مجمع اللغة العربية ، حتى مات فى سنة ١٩٦٢ ، وفى البروتوكول كان مقعده فى الصفوف الأمامية بين شيخ الأزهر ، وبطريرك الأقباط .

واستجاب اللواء محمد نجيب لدعوة الحاخام الأكبر ، وزار معبد القاهرة الذى

يقع فى وسط العاصمة .. وفى اليوم التالى للزيارة ، نشرت الصحف صورة للرجلين وهما يتصافحان ، وكان التعليق : « الرئيس يتلقى تحية وبركة الحاخام الأكبر » .

وفى حفل افتتاح محل شيكوريل (بعد تجديده على أثر حريق القاهرة) اختار مجلس قيادة الثورة أحمد أنور (رئيس البوليس الحربى) لينوب عنه فى الحفل .

وما يدعو إلى الاحترام ، أن النظام فى مصر لم يحاول استثمار فضيحة التجسس والتخريب الإسرائيلية فى التشهير باليهود المصريين .. وأصرت البيانات الرسمية عن الحادث على أن الجناه يهود غير مصريين .. من أصحاب السوابق فى النشاط الصهيونى .. وكان ذلك ... منتهى السلوك الحضارى .

على أن ذلك أزعج إسرائيل .. فهى تريد أن يُضطهد اليهود فى مصر .. حتى يقولوا .. إن إسرائيل حق .. فيهاجرون إليها .

وفيما بعد ، سُئل صمويل عازار فى المحكمة :

س : هل تعتقد أن يهود مصر قد سرهم ما فعلتموه من حرائق فى دور السينما ، وفى غيرها؟!

جـ : لا أظن !

والإجابة دقيقة ... فلا أحد كان يعرف الحقيقة !

□ ١٠ □

٥ دقائق .. فقط !

لمدة ٤٣ يوما استمرت التحريات والتحقيقات .

واليوم ٢٤ ساعة .. والساعة ٦٠ دقيقة .. والدقيقة ٦٠ ثانية .. والثانية قد تغير مجرى القضية .. لا نوم .. لا راحة .. حتى تم اكتشاف أبعاد الحادث الخطير .

وقد لاحظ قراء صحيفة « الأهرام » ، أن فى الصفحة الأولى على الشمال ، يوم ١٢ أكتوبر ١٩٥٤ ، صورة على ثلاثة أعمدة ، لوكيل نيابة الإسكندرية العسكرية أمين أبو العلا ، وهو يقف فى غرفة التحقيق ، وسط أكوام الملفات ، والأحراز ، وصناديق القنابل الحارقة ، كان ببدلة كاملة .. منتهى الأناقة .. لكن بلا حذاء .. منتهى الراحة .. وفهم القراء من أناقة الرجل التى كانت بلا حذاء أن القضية خطيرة .. وأنه يعمل بجد .. ولا يذهب إلى بيته .. وأنه حاول أن يريح نفسه بعض الشىء ، فخلع الحذاء .

وكان أمين أبو العلا يتنقل كالمكوك بين القاهرة والإسكندرية .. فالحرائق اشتعلت فى المدينتين .. والمتهمون منهما .. ثم طلب أن يكون التحقيق فى الإسكندرية ، والمحاكمة فى القاهرة .. وقد كان .. فجاء متهمو القاهرة إليه فى الإسكندرية .. وفى الدور العلوى من مبنى مديرية الأمن ، كان التحقيق .

ولأن المسألة لا تحتمل التأجيل ، قضى المحقق فخرى عبد النبى (وكيل النائب العام) ، ٨٠٠ ساعة داخل السجون ، يستجوب المتهمين .. وقد أصبح فيما بعد .. فى المحكمة ممثل الادعاء .

وأول بأول ، كانت نتائج التحقيق ، تُرفع إلى رئيس نيابة أمن الدولة (مصطفى الهلباوى) ليكيف الجرائم ، ويعد قرار الاتهام الذى كان على النائب العام (حافظ سابق) .

أن يوقعه ، ويصدره ، بعد ٧٨ يوما من سقوط فيليب ناتانسون .

ورغم أن الشبكة ، بدأت تتساقط (كأوراق الشجر فى الخريف) فإن أول بيان رسمى عنها كان فى يوم ٥ أكتوبر ١٩٥٤ ، حيث أعلن زكريا محيى الدين (وزير الداخلية) فى مؤتمر صحفى (عالمى) عن « اكتشاف شبكة جاسوسية لمخابرات إسرائيل فى مصر » .. ووزع بيانا بالوقائع والتفاصيل (راجع الملاحق) .

ومن يقرأ البيان لا بد أن يلاحظ أن زكريا محيى الدين ، يصر على تأكيد الصفة اليسارية لشبكة التجسس الصهيونية .. فأعضاء الشبكة من « اليهود الصهيونيين » .. لم يقل اليهود فقط .. « من ذوى الميول اليسارية » .. ومع أن التحقيقات لم تثبت ذلك ، ولا تحريات المباحث العامة ، ولا جلسات المحكمة ، فقد ظل زكريا محيى الدين مصرا على رأيه .

وزكريا محيى الدين من الضباط الأحرار .. عُرف عنه الشدة والصرامة ، فكانت مسئولية الأمن من نصيبه بعد الثورة .. المخابرات .. والداخلية .. وكون جمال عبد الناصر جهازا موازيا للأمن الداخلى ، تولاه محيى الدين أبو العز .. وعند محاكمة ضباط المدفعية بتهمة قلب نظام الحكم (يناير ١٩٥٣) كان زكريا محيى الدين يحقق مع الضباط المتهمين ، وأمامه مسدس .. ويومها وصُف بأنه « بيريا » .. رجل الأمن القاسى فى عهد ستالين .. لكن .. الوصف يظلمه .. فهو رجل نقى .. متطهر .. مثالى .. نظيف اليد .. عيبه أنه لا يحيد عما يؤمن به .. ولا يعرف أن الطريق إلى جهنم مفروش بالنيات الطيبة .

وفيما بعد أصبح رئيسا للوزراء .. ولأن راتبه لا يكفيه ، كان يبيع أرضه ليواصل حياته .. وعندما تنحى جمال عبد الناصر بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، عينه رئيسا للجمهورية بدلا منه ، ودون أن يأخذ رأيه .. وقد رفض .. ثم اختفى من الحياة العامة .....ولا يزال ..

فى يوم الجمعة ١٧ ديسمبر ١٩٥٤ ، أدلى بحديث للتليفزيون الأمريكى ، أذاعته ١٦٨ قناة ، كان السؤال الأول والأهم عن الشبكة الإسرائيلية :

□ عرفنا بنبأ التصريح الخاص بإحباط مؤامرة حلقة التجسس فى مصر ، فما

نوع هذه الحلقة ، وما هي الأهداف التي كانت ترمى إليها ؟

ـ إن ثمة حلقة تجسس صهيونية « يسارية » ، تعمل لحساب قلم المخابرات الإسرائيلية ، وهدفها تقديم كل مساعدة ممكنة لأى جاسوس أجنبى ، والاتصال بحكومة إسرائيل فى حالة الحرب بواسطة اللاسلكى ، وإنشاء مصانع ميكانيكية بقصد تمويل الحلقة من أرباحها ، واستخدام هذه المصانع فى إنتاج القنابل .

□ متى وكيف عرفتم أنتم والمحققون نشاط هذه الحلقة ؟

ـ كانت لدينا معلومات بأن إسرائيل قد أنشأت حلقة صهيونية فى مصر ، بيد أن التفصيلات الخاصة بهذه الحلقة كانت لا تزال مجهولة لنا ، حتى بدأت حلقة التجسس تزاول التخريب ، وعندئذ اتخذت سلطات البوليس فى جميع أنحاء البلاد استعدادها .

وحدث أن عددا من أفراد تلك الحلقة كان تحت مراقبة دقيقة من رجالنا .. فألقى القبض عليه وهو متلبس بالجريمة ، وبجمع المعلومات السابقة والتحقيقات التى أجريت ، أمكن كشف حلقة التجسس كشفا تاما .

□ هل قبض على عدد من اليهود أكبر من عدد المتهمين ؟

ـ إن الذين يحاكمون ١٣ والباقى سيطلق سراحهم !

فى ذلك الوقت كان الشيوعيون فى المعتقل ، وكانت الصحف تهاجمهم ، وتندد بأفكارهم .. بل .. إن وقت إذاعة حديث زكريا محيى الدين فى أمريكا ، كانت الصحف فى مصر ، تنشر خبر القبض على « محامين ، وصحفى ، وموظف ، يعدون منشورات لإثارة الخواطر » كما قالت صحيفة « الأهرام » .. وكان هؤلاء هم : صلاح الحافظ ، ومحمود توفيق ، ومحمد عبد الجابر خلاف ، وبدير النحاس .

وأغلب الظن أن زكريا محيى الدين أراد أن يستثمر العلاقة التاريخية بين اليهود ، والحركة الشيوعية فى مصر .. وأن يوحى بما يحمل قضية الجواسيس الإسرائيليين أكثر مما تحتمل .

فى ذلك الوقت أيضا .. اتُهم الإخوان بمحاولة اغتيال جمال عبد الناصر فى المنشية ، وبالسعى إلى التدمير ، والقتل ، والتخريب ، وقلب نظام الحكم ... ومن ثم كانت قضيتهم الشهيرة ، التى سُميت فيما بعد ... بالمحنة .

كذلك .. شهدت مصر فى تلك الفترة محاكمات عسكرية فى أسلحة القوات المسلحة المختلفة ... وكانت التهمة .. هى التهمة نفسها .. استخدام القوة لتغيير السلطة .

إن سنة ١٩٥٤ كانت سنة تعسة .. شهد نصفها الأول توترات ومظاهرات .. وشهد النصف الأخير تحقيقات ومحاكمات .. وكان التاريخ فى حاجة لمن يساعده ليسجل كل هذه الصدامات .

على أن ذلك ، لم يمنع الحكومة من أن تعلن « مفاجأة سارة » .. هى « عثور لجنة جرد أموال أسرة محمد علي على صندوق حافل بالمجوهرات الثمينة ، كان مخبأ فى مكان لا يسهل الالتفات إليه فى قصر الأميرة السابقة نعمت كال الدين المجاور لوزارة الخارجية » .

فى هذه الظروف السياسية جرت محاكمة الجواسيس .

كانت البداية ، صدور قرار الاتهام (راجع الملاحق) فى ١١ أكتوبر ١٩٥٤ ، متضمنا أسماء ١٣ متهما ، طالبت النيابة بتوقيع أشد العقوبة عليهم جميعا ... الإعدام شنقا .. وذلك لأنهم ارتكبوا الجرائم التالية :

١ ــ الاشتراك فى اتفاق جنائى .

٢ ــ التجسس لحساب دولة أجنبية معادية هى دولة إسرائيل ، بقصد استعدائها على مصر .

٣ ــ إحراز مفرقعات لاستخدامها فى أعمال النسف والتخريب والتدمير .

وقدمت النيابة ١٧ شاهد إثبات منهم :

البكباشى محمد سمير درويش ، مفتش المباحث العامة بالإسكندرية .. والصاغ ممدوح سالم ، والصاغ السيد فهمى ، واليوزباشى جمال حسين ، واليوزباشى محمد

فتح الله سلامة ، من ضباط المباحث العامة .. واليوزباشي حسن زكي المناوى معاون مباحث قسم العطارين .. والبكباشي صلاح لبيب مفتش المفرقعات بالمنطقة العسكرية الشمالية .. وملازم أول عبد الغفار حسين من فرقة مطافئ الإسكندرية ، وجندى محمد هاشم ، بالفرقة نفسها ، والأومباشي حسن عوض ، من قوة الحراسات ، وصلاح السماع ، وطلعت حسين ، بمخزن أمانات العفش بمحطة سكك حديد القاهرة .

واحتفظت النيابة بأحراز لا نهاية لها ... منها :

إسطوانة من البلاستيك لتسجيل التعليمات .. أدوات كهربائية لتقوية الإرسال .. فانلة ، وقميص ، وبنطلون ناتانسون أى ملابسه التى كان يرتديها وقت القبض عليه .. جرامفون ، ودفتر شيكات ، وعملات مختلفة وجهاز تسجيل صغير ، وكلها أشياء تخص ماكس بنيت .. خطابات من أصدقاء مارسيل عليها تعليمات .. بخلاف أوراق ، ضبطت فى بيتها ، تملأ حقيبة سفر صغيرة .. شرائح ميكروفيلم ، وأفلام تصوير عادية .. ومحطة لاسلكى .. وعلبة زيت بها جهاز لاسلكى .. وجهاز استقبال بالكهرباء ، وآخر يعمل بالبطارية .. حقيبة بها مصنع قنابل حارقة ، وقنابل حارقة لم تنفجر ، ومخلفات القنابل التى انفجرت .. تقارير عن مصر ، ومنشورات دعائية لإسرائيل ، وقوائم مصاريف الشبكة .

يوم السبت ١١ ديسمبر ١٩٥٤ .. أى بعد شهرين تماما من إعلان قرار الاتهام ، بدأت المحاكمة .. كانت المحاكمة فى دار القضاء العالى .. وتشكلت هيئة المحكمة العسكرية العليا ، من الأميرالاى (اللواء) محمد فؤاد الدجوى ، رئيسا .. وعضوية ضباط عسكريين من رتبة نقيب فما فوق ، هم عبد المنعم الشاذلى ، وسمير عباس ، وعبد المحسن حافظ ، وحسين ثابت .. وكان نائب الأحكام ، البكباشي (مقدم) إبراهيم سامى .. وممثل الادعاء فخرى عبد النبى .. وقام بأعمال السكرتارية محمد رشاد فهمي ، والسيد عبد الله .

جاء المتهمون فى حراسة مشددة ، أوكلت مسئوليتها للأميرالاى لبيب المنيرى ،

وكيل حكمدار (مدير الأمن) القاهرة .. وفى قاعة المحاكمة ، كان المحامون فى انتظارهم .. وقد انتدب ١٤ محاميا للدفاع عن المتهمين ، حتى يُستكمل الشكل القانونى .. وكان من بين المحامين ، جمال العطيفى ، الذى أصبح الدكتور جمال العطيفى فيما بعد ، وتولى وزارة الإعلام ، وقت إعادة نظام تعدد الأحزاب فى السبعينات ، وقبل وفاته كان أستاذا لمادة التشريعات الصحفية بكلية الإعلام ــ جامعة القاهرة .. ومن بين المحامين أيضا ، كان على منصور ، الذى كان عضوا بمجلس الشورى ، حتى توفاه الله .

فى القفص وقف وجلس المتهمون الرجال ، ما عدا إبرام دار ، وبول فرانك ، أما مارسيل نينو ، فقد تقرر ــ حفاظا على التقاليد الشرقية ــ أن تجلس فى الأماكن المعدة للجمهور ، بين حارسين ، وراء مقعد المحامين تماما .. وكانت مارسيل ترتدى ثوبا أبيض اللون .. واسعا .. تحته فانلة من القطن السميك .. أما المتهمون فكانوا يرتدون ملابسهم العادية ، وبعضهم أصر على رابطة العنق ، وكانوا حليقى الذقون ، يأكلون فى فترات الاستراحة ــ داخل القفص ــ السندوتشات الصغيرة (البيتى بان) والفطائر الفرنسية (الكرواسون) حسب الصور التى نشرت لهم فى المجلات المصرية .

ازدحمت مقاعد الجمهور وامتلأت عن آخرها ، فقد كان الإقبال شديدا على متابعة المحاكمة ، خاصة من قبل أعضاء الهيئات الدبلوماسية ، والمراقبين ، والصحافيين ، الأجانب ، بما فى ذلك عدد من مبعوثى منظمات حقوق الإنسان ، والحريات المدنية فى أوروبا الغربية ، والولايات المتحدة الأمريكية .

وكان من بين الحضور أيضا إنجى سميث ، ضابط الأمن الإقليمى فى السفارة الأمريكية ، الذى تابع القضية من بدايتها .. فحسب الوثيقة الثامنة فى كتاب ستيفن جرين : « الانحياز ــ علاقات أمريكا السرية بإسرائيل ــ Taking Sides: America's Secret Relations With Amilitant Israel » الصادر فى سنة ١٩٨٤ ، فإن حكمدار القاهرة ، "الميرالاى عبد العزيز صفوت ، طلب من إنجى سميث ، فى يوم الاثنين ٢ أغسطس

١٩٥٤ ، الحضور إلى مكتبه للتشاور فى أمر اعتقال أفراد شبكة التجسس اليهودية ، وعندما استجاب الضابط الأمريكى ، روى له حكمدار القاهرة ما جرى ، لأن « إعداد تقرير مفصل قد يستغرق بعض الوقت » .

وقال الحكمدار : إن « ما ورد فى الصحف من أن الجناة من الصهيونيين المعروفين غير صحيح ، فهم من الرعايا المصريين ، وليس لروبير داسا ، أو فيكتور ليفى سجل لدى الشرطة ، لكن لفيليب ناتانسون سجل فى الشرطة كشيوعى سابق » .

وسأل إنجى سميث ، عن إمكانية تصديق أخبار الصحف ، فكان جواب الحكمدار : « هذه كلها غير صحيحة » !

وتقول الوثيقة : إن اللواء صفوت أصبح فى وقت لاحق من الحديث مع مسئول الأمن الأمريكى « قلقا بسبب بعض المعلومات التى أنشأها ، وطلب أن تبقى هذه المعلومات سرا دفينا ، لأنه أحس ـــ على ما يبدو ـــ أنه باح بمعلومات تخالف البيانات الرسمية » .

« ووعد الجنرال صفوت بتزويد مركز الأمن الإقليمى فى السفارة (الأمريكية) بتقرير مفصل عندما ينتهى التحقيق فى الإسكندرية » .

وهذه الوثيقة موقعة من السفير الأمريكى جيفرسون كافرى ، وهى عبارة عن رسالة منه إلى وزارة الخارجية فى واشنطن بتاريخ ٣ أغسطس ١٩٥٤ ، وتحمل رقم ١٩٤ ، ومحدودة الانتشار للسلك الخارجى . (ترجمة نص الوثيقة فى الملاحق) .

لا نعرف ما إذا كان اللواء عبد العزيز صفوت المسئول الأول عن أمن القاهرة ، قد وفى بوعده وقدم إلى السفارة الأمريكية التقرير المفصل أم لا .. لكننا نعرف أن مسئول الأمن الأمريكى كان يتابع ما يجرى أولا بأول ... ومن ثم لم تكن مفاجأة أن يحضر جلسات المحكمة .

كانت المحاكمة هى الثانية من نوعها فى تاريخ القضاء المصرى .. فقد سبق ، قبل حوالى ١٠ سنوات تقريبا ، أن حُوكِمَ قتلة اللورد موين ، وانتهت المحاكمة بإعدام

الشابين ، اليهوديين ، اللذين نفذا الجريمة .

وقد بدأت الجلسة الأولى فى الساعة التاسعة والنصف صباحا .. وكان أن افتتحها رئيس المحكمة ، باسم الله ، والشعب ، وسأل المتهمين :

س : هل هناك أى اعتراض على المحكمة؟

فلم يعترض أحد منهم .

وطلب ممثل الادعاء أن تكون جلسات المحاكمة سرية ، فاعترض الدفاع ، وقال المحامى صلاح الدين حسن : « إن المصريين لا يعلمون شيئا عن الجاسوسية ، ولعل ما يدور فى أثناء هذه المحاكمة يفتح أعينهم على ما يجرى حولهم » .

وقال مختار قطب — المحامى : « إن هذا الطلب سابق لأوانه » .

وقررت المحكمة أن تكون الجلسات علنية إلا إذا وُجد مايدعو إلى السرية .. وفيما بعد لم تفرض المحكمة السرية إلا على جلسة واحدة ، مسائية ، عقدت فى اليوم الأول من شهر يناير ١٩٥٥ .. والواضح أن النظام فى ذلك الوقت كان يفضل أن تكون المحاكمة علنية ، خوفا من أن يتهم بطبخ القضية ، وإصدار الأحكام قبل أن تبدأ الجلسات .. وقد اعترف المحامى الإنجليزى جورج ولسون (الذى جاء للدفاع عن ماكس بنيت) بأن « المحاكمة تجرى فى جو من الحرية ، والعدالة الكاملة متوفرة لكل المتهمين ، وأنا مطمئن ومرتاح إلى ما يقضى به القضاء المصرى » .

وقد نشرت تصريحه صحيفة « الإجيبشيان جازيت » ، التى سألته :

▫ يتردد أنك حضرت إلى القاهرة لتحقيق رغبة زوجة ماكس بنيت فى الحصول على الطلاق منه .. ما رأيك ؟

– كيف يمكن التوفيق بين توكيلها لى للدفاع عنه ، ومطالبتها بالطلاق منه ؟!

▫ ما الذى جعلك تطمئن إلى عدالة المحكمة؟

– غريزتى كمحام !

فى الجلسة الأولى ، قال رئيس المحكمة : « إذا تلعثم أى متهم فى اللغة العربية ،

يتكلم باللغة التى يتقنها .. ومن يريد أن يدلى بشهادة باللغة العبرية ، فليتفضل .. فأنا أحُسنها » .

ثم سأل كل متهم على حدة ، فى كل تهمة من التهم التى تضمنها قرار الاتهام : « هل أنت مذنب ؟ » .. فأجاب الجميع بالنفى ، ما عدا موسى ليتو مرزوق ، الذى قال : « أنا غلطان ، ولكن مش بالصورة دى اللى جت فى الادعاء » .. واعتبرت المحكمة أن إجابته « غير مذنب » .

ولوحظ أن على منصة المحكمة ، الكتب السماوية الثلاثة .. القرآن .. الإنجيل .. والتوراة ، لاستحلاف الشهود والمتهمين الذين كانوا خليطا من يهود ، ومسيحيين ، ومسلمين !

ولا جدال فى أن رئيس المحكمة كان يتمتع بهدوء .. وسعة صدر .. وقدرة على الاستجواب والمناورة .. كما أنه كان ساخرا .. يعرف كيف يختار تعليقاته اللاذعة .. لذلك فقد شهد الدفاع له ، بأنه « ابن بلد .. يجيد فن النكتة » .. ولا بد أننا لاحظنا وهو يناقش موسى ليتو مرزوق فى الشقق الست التى استأجرها للتنظيم وقال إنها جرسونييرات ، استخدمها فى ممارسة غرامياته .. ولا بد أننا لاحظنا ذلك عندما حدد فيليب ناتانسون يوم العيد لتفجير إحدى القنابل ، فقال له : « يعنى عايزين تنكدوا علينا فى العيد » .

وعندما طالت مرافعة أحد المحامين ، قال له : « خد راحتك يا أستاذ هو احنا ورانا حاجة ؟ .. دا احنا مقطوعين للشغلة دى » !

وأراد أحمد مختار قطب المحامى أن يسأل الشاهد الأول البكباشى سمير درويش ، واستأذن قبل إلقاء السؤال ، فقال :

ـ عندى سؤال رزل شوية ؟

فرد عليه رئيس المحكمة قائلا :

ـ ما فيش مانع احنا مستعدين نستحمل كل حاجة !

وأراد صالح منصور المحامى أن يسأل فيكتورين نينو سؤالا ، فنبهه رئيس المحكمة إلى أن سؤاله مكرر ، وقد سبق أن أجابت عنه ، وأضاف :

ـ يظهر ياأستاذ إنك ما كنتش فى الجلسة ؟

فقال المحامى بسرعة :

ـ أبدا والله العظيم أنا حاضر من الأول ، ومستعد أن تمتحنى فى كل اللى فات !

ولا جدال فى أن المحامين المصريين ، كانوا في ورطة نفسية ، وقانونية فى هذه القضية ، فالمتهمون يعملون فى خدمة إسرائيل .. جواسيس لها فى مصر .. ثم إنهم خربوا وحرقوا فى البلد التى فتحت صدرها لهم .. وقد عبر عن الورطة النفسية للدفاع ، جمال العطيفى فى جلسة يوم ٣١ ديسمبر ١٩٥٤ ، فقال :

« بدا لى ــ وأنا أقول الحق ــ أن أعتذر ، وأطلب إعفائى من هذه المهمة .. أن أدافع عن متهم تهمته أنه جاسوس يعمل لحساب دولة عدوة لبلادى ، بأى لسان يمكن أن أدافع عنه ؟! .

« كانت هذه لحظة من لحظات الضعف التى مرت بى ، وكدت معها أن أنسى واجبى .. واجب المحامى المقدس .. تذكرت أن واجب المحامى ألا يهرب من واجبه وألا يتخذ من مصائب الناس وسيلة للادعاء والتظاهر .. لذلك قبلت هذه المهمة الشاقة » !

أما الورطة القانونية .. أو الجنائية ، فقد عبر عنها كل أعضاء هيئة الدفاع عندما اكتفوا فى طلباتهم بتخفيف العقوبة على المتهمين .

وحاول الدفاع عن بعض المتهمين أن يبعد تهمة التجسس عنهم ، وأن يقصر ما فعلوه على ارتكاب جرائم الحرائق ، التى لا يعاقب قانون الجنايات المصرى عليها بالإعدام (مثل التجسس) وإنما بالسجن مع الأشغال الشاقة .

وفى هذه القضية كان هناك محام واحد عن أكثر من متهم أحيانا .. وأكثر من محام عن متهم واحد أحيانا أخرى .. وكان ذلك حسب قدرات المتهمين ..

وإمكانياتهم المالية .. أما الفقراء منهم ، فالقانون يفرض ضرورة انتداب من يدافع عنهم ، على حساب المحكمة .

وقد قبل أحمد رفعت المحامى الدفاع عن فيكتور ليفى ، وروبير داسا .

وقبل يوسف الغريانى المحامى الدفاع عن فيكتورين نينو ، وقد نشرت الصحف أنه قال لها قبل عقد الجلسة الأولى ، إنها أصبحت فتاة الصفحة الأولى فى كل الصحف !

وقبل حسن الجداوى المحامى الدفاع عن أربعة متهمين ، فى وقت واحد ، ودهش رئيس المحكمة ، وسأله :

ـ « أليس هناك أى تعارض بين مصلحة المتهمين ؟ » .

قال :

ـ لا ! .

وبعد قليل قاطع حسن الجداوى الشاهد الأول البكباشى سمير درويش ، قائلا :

ـ هى شهادة ولا مرافعة ؟

فالتفت رئيس المحكمة قائلا :

ـ المحكمة تحمى الشاهد ، وتمنع الأستاذ من مقاطعته ، وإذا كنت ما تعرفش إذا كان فيه تعارض بين مصلحة موكليك جاى تقاطع الشاهد الآن ؟! .

وفى يوم ٢٣ ديسمبر ، توقفت الجلسات ــ مؤقتا ــ فى القاهرة ، وسافرت هيئة المحكمة إلى الإسكندرية لتعاين على الطبيعة أماكن الحرائق .. وكان معها فيليب ناتانسون ، وفيكتور ليفى ، وروبير داسا ، وصمويل عازار ، وفى أماكن الأحداث ــ يوم ٢٥ ديسمبر ــ أعاد المتهمون تمثيل ما فعلوه من قبل .. وبعد انتهاء المعاينة ، انعقدت المحكمة فى دار المحكمة الكلية .

بعد عودة المحكمة إلى القاهرة ، بدا أن المحاكمة على وشك الانتهاء ... ففى جلسة يوم ٢٧ ديسمبر ، أعطى رئيس المحكمة المتهمين الفرصة للدفاع عن أنفسهم :

الرئيس : أقوال المتهمين للدفاع عن أنفسهم ... موسى ليتو مرزوق .. عندك دفاع ؟

مرزوق : الدفاع سيتولى هذا .

الرئيس : فيكتور ليفى ؟

ليفى : أيوه يابيه .

الرئيس : طيب تعالى .

ليفى : أنا عاوز أقول الآن شعورى الشخصى ، وزى ما انتم عارفين ، أنا فى كل اللى عملته ، اعترفت به وعاوز أقول لحضرتكم إنى ما كنتش واعى على الحاجات اللى كنت باعملها لأنى لما كنت بفرنسا ولما اتصل بى جون وكنت واخد كل الحكاية دى زى لعب ، وأنا قلت لكم هو بدأ يعطينى فلوس من غير ما أطلب شيئا وعودنا على عيشة ما كنتش واخد عليها ، وبعد شوية لقيت نفسى فى إسرائيل واعتقدت أنها رحلة ، ولما أعطونى لاسلكى كنت واخده زى حاجة مسلية علشانى ، مش علشان يضر حد .

وعاوز أقول حاجة . إنه مهما عملت حاجة فأنا مش صهيونى ولا إسرائيلى .. ولا إسرائيل تهمنى ، ولا عشرين زيها ، وأنا أعتبر مصر بلدى . والكلام اللى بقوله ده هو شعورى لأنى واعى وعارف أن مصر معيشانى ، وعيلتى ، وأنا مولود هنا ، ومصر بلدى ، وأنا إذا كنت ضربت مصر فأنا لم أكن واعى ولم أقصد ضررها أبدا . أنا لقيت نفسى كده وبدون وعى منى ، وممكن أقول فى حكاية الحرايق إنهم لما قالوا لى اعمل حرايق فى السينما رميت القنبلة دى فى البحر لأن ضميرى لم يسمح لى بعمل ذلك ، خصوصا مع ناس فى السينما وعلى كل حال أنا عاوز أقول إنى مش ندمان وبس . أنا مختش من الحكاية دى .

وأنا يهودى يهودى إنما مصرى ، وفيه حاجة عاوز اقولها تانى ، يمكن علشان كان سنى ١٦ سنة ، كنت عاوز أسافر إسرائيل لما الناس حكوا لى عنها . ولكن أنا لما شفت العيشة هناك فيه فرق كبير بين اليهود بتوع أوروبا ويهود الشرق ،

ومنهم يهود مصر ، لا يساعدون إسرائيل فى حاجة أبدا ومش أنا بس اللى بقول كده ، كل زملائى اللى راحو إسرائيل يعرفوا الحالة دى .. وحسوا بيها . وإذا كان واحد فى إسرائيل يبحث عن شغل هناك أول حاجة يسألوه أنت شرقى أو من أوروبا ، فإذا كان من أوروبا يدوروا له على شغل وإذا كان من مصر ، لا يعبروه ، وعلى كل حال مهما كان الحكم حيكون على فأنا لا أتأثر ولن أكون عدوا لمصر أبدا .

الرئيس : فيليب ناتانسون عاوز يتكلم ؟

ناتانسون : أيوه .

الرئيس : عاوز تقول إيه ؟

ناتانسون : أنا لما دخلت الجروب بتاع جون لم أكن أفكر فى أى شىء وفى الوقت ده كان عندى ١٨ سنة ولم أكن أفكر فى أى حاجة سياسية ، ولما سافرت فرنسا ١٩٥٣ كنت فضلت قبل كده سنة علشان أكوّن الأوراق بتاعتى وكنت عايز أشوف باريس وبعدين لما أعطونى الفلوس أنا قبلت ولما سافرت إسرائيل أنا فكرت أنهم عاوزين يعلمونى التصوير نفسه ، علشان فى الحقيقة أنا كنت غاوى التصوير فلم أرى أى فكرة بطالة فى الكلام ده .

وعلى كل حال أنا مش ممكن أقدر أكون صهيونى علشان أنا لا أفكر فى الديانة وأنا عندى كل الأديان زى بعضها . أنا أفكر فى ربنا فقط . وليس عندى أى فكرة علشان أساعد إسرائيل .. ولكن لما رجعت مصر وجاء بول فرانك وطلب منا عمل الحرايق ، أنا ما كنتش عاوز ورفضت لكن هو خوفنى ، وأنا وأهلى عايشين فى مصر ، واتولدت فيها ، وما كنش يصح أعمل حاجة زى كده .

وأنا أعترف بالغلطة بتاعتى وأنا لم أكن مسئولا عن نفسى ، وأنا متأسف جدا على الغلطة دى .. وفى الحقيقة أن إسرائيل لا تهمنى أبدا .

الدفاع : الدكتور موسى عاوز يتكلم .

الرئيس : تعالى ياموسى .

الدفاع : هو كان مكسوف يتكلم النهاردة علشان ذقنه طويلة ، وهو قدم طلب التأجيل علشان يحلقها .

موسى : عاوز أقول إن لما اتصل بى جون أنا اتغشيت بالكلام اللى قاله فى الأول لأنه أغرانى بحاجة كل واحد يسعى إليها ، وهى العمل على إيجاد جو ودى فى البلد وعلى ذلك أنا وافقت ، ولما اتضح لى أن له أغراض أخرى حصل خلاف بينى وبينه وكانت النتيجة أنى رفضت التعاون معاه بالمرة ، ولما أصر أنه يرسل جهاز اللاسلكى أنا انسحبت من المنظمة ورفضت أى عمل يضر أى شخص . والفكرة الأولى اللى وافقت عليها هى دى نفسها عمل على تحقيقها كل من يريد الخير فى البلد .

فأنا نيتى حسنة . وإن كنت هاودت جون لمدة فأنا أعترف بأنها كانت غلطة وأنا شرحت ازاى الموقف . ودا كلامى .

الدفاع : صمويل عاوز يتكلم .

الرئيس : مفيش مانع .. صمويل عازار .

صمويل : أنا كنت فى الأول بالنسبة لعلاقتى بالتنظيم لم أكن أعطيه اهتماما كبيرا ، وكان عندى أعمال ودراسات تشغل جميع وقتى وأنا وافقت على المبدأ لما كلمنى جون لأنى حبيت أخدم اليهود ولم يكن فى فكرى أننا سنسيىء إلى أى شخص فى مصر مهما كانت العواطف بين يهود ويهود .

الرئيس : يعنى إيه ؟

صمويل : مهما كانت العواطف بين إسرائيل ومصر فهذا لا يستدعى من اليهودى اللى عايش فى مصر أن يعمل العمل ده . وأنا لما شعرت أن التنظيم بدأ يتطور ، أنا نفسى كشيت وحبيت أبعد . وهذا ظهر مثلا عندما رفضت أن أقوم

بأى عمل مثل الحرائق . والغلطة اللى حصلت منى إنى وافقت استلم فلوس منهم على أنها مقدمة للخدمة اللى سيطلبوها منى . وأحب أقول حاجة كمان .. إنى تعمدت لما ساعدت روبير داسا فى وضع الحامض فى الغلافات الكاوتشوك ، كان المفروض إننا نملأ الانتفاخ الموجود فى الأغلفة الكاوتشوك بالحامض علشان يبقى حدوث الحريق مؤكد واللى حصل إننا ملأناه للنصف وذلك لأننا كنا بنستنكر الأعمال دى .

الرئيس : روبير داسا عنده كلام ؟

داسا : أيوه .

الرئيس : اتفضل !

داسا : أنا عاوز أقول إنه لغاية يوم ما اتمسكت لم أكن أفهم الأغراض بتاعة الجروب ده .. ولا خطورة هذه الأغراض .. ومن أول ما دخلت فى الجروب ده فهمت إنهم اختارونى لإنهم يقدروا يغرونى بجميع الطرق اللى عملوها زى الإغراء بالفلوس ، وأنا كنت لسة طالع من المدرسة وعمرى ١٧ سنة ، وإن ممكن يساعدونى علشان أكمل دراستى ، فانتهزوا الفرصة دى لإغرائى .

ثم بكى روبير داسا .

وأضاف وصوته يختنق بالدموع :

ــ أنا لما سافرت فرنسا لم أكن أفكر أبدا إنى مسافر إلا علشان يساعدونى فى تعلم حاجة جديدة وهذا ما كنت أحلم به .. إنى أسافر وأتعلم فى الخارج .. والحرايق اللى عملتها لم أفكر أبدا أنها تعمل ضررا بالشكل ده . ولما سألت عن سبب وضع الأجهزة فى المكتبة أو البوستة قالوا إنها سهلة ، وأنا لم أر علبة تحرق أمامى علشان استطيع تقدير خطورتها .

وبكى مرة أخرى .

ثم قال :

ــ أنا لم أكن عاوز أعمل ضرر لمصر فى أى وقت من الأوقات أبدا ، ولم

أفكر أبدا إن أغراض الجروب ده الحرق وهم اختارونى علشان أنا ولد صغير ومولود فى مصر وعائلتى فيها ، وطول عمرى عايش فى الإسكندرية حتى إنى لم أخرج منها ، والإغرا كان شديدا علينا جدا خصوصا الضغط بعد ما اتفسحت فى فرنسا وإسرائيل .

الرئيس : إيلى نعيم ، عاوز تدافع عن نفسك ؟

نعيم : أيوه .

الرئيس : طب تعالى .

نعيم : كل اللى أنا متهم فيه بأنى أخذت شقة مع الدكتور موسى مرزوق وأنا لما أخذتها لم يكن قصدى بطال ، وفيكتور سعاديا لما كان يكلمنى كان بيعمل ليا معروف علشان نسكن فى الشقة وأنا كنت ساكن فى حجرة صغيرة ، وفى هذا الوقت كان سنى ١٩ سنة وكنت مبسوط علشان حنسكن فى شقة .

وأناعمرى ما عملت حاجة ضد مصر ولو كنت اعرف إنهم عاوزين يعملوا حاجة ضد مصر ما كنتش أساعدهم لأنى مولود فى مصر وعايش فى مصر وأعتبر مصر زى الوطن بتاعى .. ودى أقوالى .

الرئيس : ماير يوسف زعفران .. عندك كلام ؟

زعفران : أيوه .. أحب أقول إنى أولا لم أشترك أبدا فى أى جمعية ولها أغراض ضد الغرض الوطنى فى مصر ، أو أى فكرة تعتبر خيانة ، أو تعتبر نشاطا معاديا ، والدليل على ذلك إنى أول ما شفت تغير فى الفكرة الأولى اللى عرضوها على ، إلى فكرة نشاط هجرة ، أى أول ما شفت حاجة غامضة رفضت الفكرة ، وأحب أقول ما شفتش حد منهم خالص ، وأنا لما كنت طالب فى الكلية ، ووقتها العرض ده عُرض علىّ ، وأنا عارف أن الكلام اللى ح أقوله ده جميع زملائى فى الكلية ح يسمعونى ، وجميع المهندسين زملائى ، وهو أنه فى الكلية كان جميع زملائى يحترمونى أكثر من أى شخص آخر وكان الشعور متبادلا بيننا وكنت أشترك فى جميع

ما يعملوه من الحركات الوطنية وهم يشهدون بذلك وبعد تخرجى فصلت شوية طويلة بدون عمل ، وقدمنا عريضة طويلة للسلطات المختصة لتفتح أمامنا أبواب العمل وكل هذه المدة ، لو كنت أنا صهيونى إيه اللى كان يمنعنى من السفر فى حين أنه كان يوجد أحد زملائى المصريين ترك البلاد وسافر إلى المملكة السعودية لأنه وجد عملا ، وأنا فضلت من غير عمل .

وقررنا مرة الاعتصام فى نقابة المهندسين بسبب التعطل ، إلى أن جاء رجال العهد الجديد ، ولم يمض وقت طويل حتى اشتغلت الأكثرية فى الحكومة ، وأنا بما أنى ما عنديش الجنسية المصرية ، اشتغلت مع مهندس كرسام إلى أن قُبض على ، فلو كان لى أى غرض سيىء كنت أسافر ، يمكن ألاقى أى شغلة ثانية ، ولكن طبيعتى ، وبيئتى ما سمحتش لى بأنى أترك مصر ، لأنى متعود على بلدى ولم أعش فى القاهرة فقط ، بل عشت فى أسوان مدة طويلة .

وأنا أكثر من غيرى من اليهود أعرف إيه هيه طبيعة الشخص المصرى وهى من أجمل الطبائع .

ولذلك أول ما شفت تغير فى العرض اللى عرضوه على رفضت ، وطلبت منهم أن مافيش حد منهم يشوفنى بعد كده ، لا موسى ، ولا مارسيل .

ولما جانى ماكس فى البيت ما كنتش عارف غرضه ، إلا أنه مهندس ومحتاج لمساعدة وحتى لما عرض على الموضوع ده ، ورفضت .. غضب .

وأنا أقول هذا الكلام لأنه حقيقة ، وهو أنه لما غضب وقال لى ليه بتتردد وترفض ، قلت له أنا ما أقدرش أعمل حاجة وأنا أعتبر هذا نشاطا سياسيا معاديا لمصر فضحك ولما رآنى متمسك برأيى نزل ومشى ، ولم آراه بعد ذلك وكل ما أطلبه الرأفة لشخص لم يحاول ولم يفكر أن يضر بلده ورفض ما طلبوه منه .

الرئيس : ماير ميوحاس .. عندك دفاع .

ميوحاس : أنا أؤكد ما قاله زملائى .

الرئيس : وسيزار كوهين ؟

كوهين : أكتفى بدفاع المحامى .

الرئيس : تعالى يامارسيل .

مارسيل : أنا عاوزة أقول إن شعورى شخصيا أنه حصل ضغط على وانجريت فى الموضوع ده ، علشان والدتى كانت عيانة وكانت عملت عمليات سنة ١٩٥١ ، و١٩٥٢ ، ١٩٥٣ ، وأخيرا فى آخر ١٩٥٣ توفيت بالسرطان وهو جون كان عارف بالشعور ده عندى وكان بيساعدنى فى علاج والدتى وعلشان كده أنا رجلى انجرت فى الحكاية دى .

وأنا ما كنتش عارفة حاجة من الحاجات اللى حصلت فى القاهرة أو الإسكندرية ودى كل الحكاية .

وعادت إلى مكانها وهى تحاول أن تمسح دموعها .

أو ... هكذا بدت .

الرئيس : فيه كلام تانى .

الدفاع : نعم سيادة الرئيس .

الرئيس : تفضل ياأستاذ .

الدفاع : (حسن الجداوى ـــ المحامى) : هناك ثلاثة أشخاص وصف أولهم بأنه ضابط فى الجيش الإسرائيلى ، وهو رجل جاوز الأربعين ، والثانى والثالث جاوزا الأربعين ، وقد قدموا لمصر ولعبوا بعقول هؤلاء الأطفال وعرفوا كيف يستغلون فيهم صغر السن ، فلعب هؤلاء الأطفال بالنار .

والأولاد دول فى سن ١٨ سنة ، وهو سن المغامرات ، وسن التصديق ، وهذا السن القانون المدنى لا يسمح له بأن يتصرف وقانون الأحوال الشخصية لا يسمح له بالزواج . السن ده بتاع إنهم يروحوا السينما ويشوفوا طرازان وتوم آند جيرى ،

فهو يتهيأ له لا هو رجل ولا هو طفل ، ففى هذا السن من أسهل الأمور التأثير عليه .

فإذا لاحظتم أن الأولاد دول يهود ، وكل هؤلاء الأولاد ولدوا بعد أن تولى هتلر الحكم وبدأ حملته على اليهود ، فكلهم مصريون بإحساسهم ويعلمون أن أبناء جنسهم فى العالم اضطهدوا . وكلنا نعرف أن هتلر تتبعهم فى كل بلاد أوروبا وكانوا هم الضحايا فى كل بلد امتدت إليها النازية ، فلما يجى جون دارلنج ويقول لشاب يهودى عمره ١٨ سنة أنا عايزك تتعاون لخدمة إسرائيل فيجب أن يكون هذا الشاب وصل لسن ناضجة علشان يقول له أنا يهودى مصرى ماليش دعوة ولكن هوه وجده فقيرا فصحبه إلى فرنسا اللى ما كانش يحلم إنه يشوفها وياخده إلى إسرائيل علشان يشوف شىء ما شافوش غيره . وهذه مغامرة لشاب عمره ١٨ سنة فهو لم يكن يتصور أن يسافر فرنسا أو يسافر لإسرائيل .. وكان يقول لهم احنا مش عايزين منك حاجة أبدا ، واحد مثلا غاوى تصوير ، يقول له تعالى نعلمك التصوير فى فرنسا ويعطيه ٣٠٠ جنيه وهناك يجد مدرسة التصوير فتاة ، ومدرسة اللاسلكى فتاة .. ودول شبان مكبوتين .

الرئيس : وهم كلهم فى سن الـ ١٨ ؟

الدفاع : معظمهم .

الرئيس : اتفضل أكمل !

الدفاع : إنهم لما رجعوا من إسرائيل ، ومضت سنة ١٩٥٣ لم يطلبوا منهم عمل شىء ، ووصلنا لمنتصف ١٩٥٤ .. وصل من الخارج الشخص اللى أسموه « روبير » وهو ثالث الثلاثة اللى قلت عليهم . وصل لمصر وأعطى عنوانه على بارون ألمانى وتبين كذبه ورحل عن مصر .

ولو كان تبين هذا من الأول لما أمكن له إغراء هؤلاء الأولاد .

فمثلا صمويل عازار كان بيشتغل علشان يكمل تعليمه وهو خريج كلية الهندسة وقد أخذ جهاز اللاسلكي إلى منزله علشان يفكه يمكن يقدر يلاقى فيه لمبة يبيعها

لأن حاجته إلى المال كانت شديدة فماهانش عليه يرمى الجهاز اللى مصدر خطر له فى البحر ، وأخذه إلى بيته .. فروبير ده قال لهم إحنا عايزين منكم عمل بسيط وهى مسألة القنابل الحارقة ، وعلمهم طريقة صنعها وطلب منهم وضعها فى صناديق البوستة .

وفيه سؤال قد يعتمل فى نفس القاضى ، وهو انتوا بتقولوا إنكم ما كنتوش عايزين فى نفسكم تعملوا الحاجات دى .. طيب ليه ما رحتوش للبوليس وإحنا بنقرأ فى الصحف عن أخبار الناس اللى بيقعوا فريسة للابتزاز من قبل الذين يتجرون بالأسرار وكيف يستطيعون الحصول على المال من أشخاص يعرفون أسرارهم ، فنحن لا نجد غرابة إذا عرفنا ذلك فى عدم تبليغ هؤلاء الأولاد لأنهم بسفرهم لإسرائيل يحس الواحد منهم أنه بقى فى مركز حرج .. وهؤلاء من ناحية أخرى فقراء ...

الرئيس : لما يبقى واحد عمره ١٨ سنة أو عشرين سنة ومرتبه ١٤ و١٥ جنيه يبقى شوية ده عليه ، علشان تقول عليه فقير . وهو خريج الجامعة بيتعين بكام بعد تخرجه ؟!

الدفاع : المال على كل حال له تأثير قوى ، وخاصة على أمثال هؤلاء الأطفال .. عموما نحن نشكر المحكمة على سعة صدرها .

الرئيس : رفعت الجلسة !

استمرت المحاكمة ١٨ جلسة وانتهت يوم ٥ يناير ١٩٥٥ .. وبعد ٣ أيام بدأت المداولات التى استغرقت ٢٠ يوما ...

.. وفى الساعة الثانية عشرة تماما من ظهر يوم الخميس ٢٧ يناير ١٩٥٥ ، عُقدت جلسة النطق بالأحكام .. التى حضرها قنصل فرنسا ، وثلاثة دبلوماسيين من السفارة الأمريكية ، وعدد هائل من أقارب المتهمين .

كانت اللحظات السابقة على بداية الجلسة مثيرة للتوتر .. و حسب وصف مندوب صحيفة « الأهرام » لطفى عثمان ، كانت مارسيل مصفرة الوجه ، وارتسمت على

فمها ابتسامة باهتة ، وقالت لبعض معارفها إن أملها فى الله كبير .

وكان أكثر المتهمين وجوما واضطرابا د . موسى ليتو مرزوق ، فقد جلس صامتا ، مطأطىء الرأس ، ولم يحى إلا نفرا قليلا من أقاربه .

وكان صمويل عازار يبدو عليه القلق ، والاضطراب ، ويحرك شفتيه باستمرار ، ويبدو أنه كان يتلو بعض آيات من التوراة .

فى الثانية عشرة إلا قليلا ، دخل قاعة المحكمة البكباشى إبراهيم سامى ــ نائب الأحكام ، بمفرده ، يحمل عددا من المجلدات ، وجلس فى المقعد المخصص للرئيس ، وإلى يساره محمد رشاد فهمى سكرتير الجلسة .. ورفع نائب الأحكام رأسه ، وتطلع فى وجوه المتهمين لحظة قصيرة قبل أن ينطق بالأحكام ، وعندئذ بدأت أعناق المتهمين تشرئب ، وازداد شحوب وجوههم ، وظل د . موسى مرزوق مطاطىء الرأس ، واختفت الابتسامة الباهتة من على شفتى مارسيل .

وحانت اللحظة التى تساوى دهرا ...

وبدأ النطق بالأحكام ...

الإعدام شنقا لموسى ليتو مرزوق وصمويل بخور عازار .

الأشغال الشاقة المؤبدة لفيكتور مويز ليفى وفيليب هرمان ناتانسون .

الأشغال الشاقة لمدة ١٥ سنة لفيكتورين نينو وروبير نسيم داسا .

الأشغال الشاقة لمدة ٧ سنوات لماير يوسف زعفران وماير صمويل ميوحاس .

وبراءة إيلى جاكوب نعيم ، وسيزار يوسف كوهين .

ولم يشر الحكم إلى إبرام دار وبول فرانك .

واشتمل الحكم على مصادرة أجهزة اللاسلكى والأموال ، وسيارة ماكس بنيت .

وحسب وصف « الأهرام » فإن د . موسى ليتو مرزوق ، استند إلى حاجز القفص عندما سمع الحكم بإعدامه ، وقال لمندوب « الأهرام » عند عودته إلى

السجن : « إن هذا هو حكم الله » !

وعادت الابتسامة إلى شفتي مارسيل عندما عرفت أن رقبتها أفلتت من حبل المشنقة ، ولم تكن الابتسامة باهتة هذه المرة .

أما صمويل عازار فقد أصيب بنوبة ذهول ولم يفه بكلمة واحدة عندما سمع الحكم بإعدامه .

بينما أجهش ماير ميوحاس بالبكاء :

وسرت عدوى بكائه إلى يوسف زعفران وروبير داسا .

ووجم فيكتور ليفي وفيليب ناتانسون .. ثم انفرجت أساريرهما عندما أيقنا أن الحكم ليس إعداما .

وشوهد إيلي جاكوب نعيم الذى نال البراءة ، يبكى بكاء مرا ، فقد أخطأ فى فهم الحكم ، ولما عرف أنه سيُفرج عنه حالا ، أخذ يضحك ضحكة هيستيرية .

كانت حيثيات الحكم فى ٦٠ صفحة فولسكاب .

أما النطق به فلم يستغرق سوى ٥ دقائق فقط .

بعدها ... حدث الكثير !

□ ١١ □

آخـر من يعلـم !

عندما أعلن زكريا محيى الدين على العالم ، نبأ القضاء على شبكة التجسس الصهيونية ، أُصيب الرأى العام الإسرائيلى بالذهول ... بالضبط أُصيب بالذهول .

وشنت أجهزة الإعلام اليهودية حملة قوية .. غير صادقة ، لإظهار القضية ، وكأنها مؤامرة عدائية من النظام المصرى ضد اليهود .. والسامية .

ولم يجد رئيس الوزراء الإسرائيلى (الذى لم يكن يعرف حقيقة ما جرى) مفرا من الانضمام إلى هذه « الجوقة » ، وقيادة « التخت » المصاحب لها .. أحيانا .

واتهمت الدعاية الصهيونية — داخل وخارج إسرائيل — البوليس المصرى بتعذيب الشبان اليهود لإجبارهم على الاعتراف بأدوار لم يقوموا بها ، فى مؤامرة ، نُسجت من وهم الخيال .. ومن باب السخرية ، طالب راديو إسرائيل هؤلاء الشبان أن يعترفوا بحادث المنشية ، وبكل ما يُطلب منهم ، وما لم يرتكبوه ، حتى يرحموا أنفسهم من العذاب الذى ينتظرهم فى السجون على أيدى « الجلادين المصريين » .

وقال راديو إسرائيل : إن فيليب ناتانسون اضطر إلى الاعتراف بعد « أن ذاق ألوانا مختلفة من العذاب على أيدى رجال البوليس وضباط مكافحة الجاسوسية لعدة أيام » .. « ولم يتكلم إلا عندما أخبروه أن أمه محبوسة وسوف يطلق عليها الرصاص ، وعندئذ انهار واعترف بكل شىء » .

ومع أن الشبان اليهود ، لم يُعذبوا ، ولم يُضربوا ، ولم يُهانوا ، لأنهم اعترفوا بسهولة ، فإن الحملة لم تتوقف ... ومع أنهم شربوا أكواب العصير والماء المثلج ، وأكلوا « الكرواسون » و « البيتى بان » وسمع أحدهم موسيقى فاجنر أثناء التحقيق ، فإن صورة البوليس المصرى فى إسرائيل ، والغرب ، لم تكن على ما يرام .

وقد حاولت السلطات المصرية أن ترد بأسلوب عملى .. بسيط .. فسمحت لمصورى الصحافة بدخول السجون ، ومقابلة الجواسيس ، وتصويرهم .

كانت مارسيل نينو فى سجن مصر .

وكان ماير زعفران وسيزار كوهين وماير ميوحاس وروبير داسا فى سجن المحطة .

وكان ليتو مرزوق ، وفيليب ناتانسون وإيلى نعيم وفيكتور ليفى وصمويل عازار فى سجن الاستئناف .

واستنادا لما نشرته مجلة « المصور » فى يناير ١٩٥٥ ، كانت مارسيل نينو تقيم فى الزنزانة رقم « ٦ » فى قسم النساء .. الزنزانة بها سرير من الحديد ، مغطى ببطانية صوف رمادية اللون ، وبجانبه منضدة خشبية صغيرة ، كانت تتناول عليها طعام الغداء « المؤلف من فاصوليا ، ولحم ، وجبن ، وجرجير ويوسفى » .. وفى الزنزانة مقعد ، وماء للشرب والغسيل ، ومجموعة من الروايات الفرنسية ، وكتاب عن تاريخ العالم منذ سنة ١٨٠٠ ، وقالت : إنها تدس رأسها بين الكتب والقصص حتى يغلبها النعاس .. فتنام .. واشتكت من أنها لا تقوى على الوقوف على الكرسى لتفتح النافذة ، وذلك بسبب الكسور التى أصيبت بها ، عندما ألقت بنفسها من النافذة ، محاولة الانتحار ، أثناء التحقيق معها .

ونُشرت صورة للدكتور موسى مرزوق وهو يهم بارتداء جاكتة البدلة ، وكانت الابتسامة على وجهه عريضة ، وطبيعية .. رغم أنه كان داخل الزنزانة رقم « ٣٦ » .. وعندما سُئل عن حياته داخل السجن ، قال : « حياة عادية ليس فيها ما يجوز أن يُتخذ مادة للكتابة » .

وفى زنزانته ، قال فيكتور ليفى : إنه يقرأ ويغنى .. وأنه يعتقد أن صوته جميل . وطلب أن يُسجن معه شخص أو أكثر حتى يمكن الحكم على صوته !

وسُئل ماير ميوحاس :

« هل يضربونك هنا ؟ » .

فقال :

« كلا .. لم يحدث هذا مطلقا » .

وميوحاس يقرأ ، ويشرب « السحلب المحوج » ، ويلعب الرياضة داخل زنزانته التى تحمل رقم ١٥ .

وفى الزنزانة رقم ١١ كان سيزار كوهين يقرأ هو الآخر .. وقد قال : إنه زوج وأب لطفلين صغيرين .. « وبالرغم من المدة الطويلة التى قضاها فى السجن ، فإن زوجته وولديه لم يزوروه إلا مرة واحدة » .

□ وكيف تعيش هنا ؟

ـ على خير ما يرام .

□ هل تشكو من شىء ؟

ـ كلا .

□ ما هو شعورك الآن ؟

ـ إننى فى الثالثة والثلاثين من عمرى ، وأذكر جيدا أنى لم أدخل أى قسم من أقسام البوليس خلال هذا العمر ، ولا أعرف الطريق إلى المحكمة ، ولا أعرف كيف عرفت بعض المتهمين فى هذه القضية ، فساقونى إلى هذا الموقف ... ترى هل سأنجو منه ؟! .

وقال روبير داسا :

« اكتب على لسانى أن من يقول أننا نتعذب كاذب ، فنحن نُعامل معاملة كريمة . انظر إلى هذه الغرفة التى تُضاء بالكهرباء .. إننى أتناول فيها أشهى الأطعمة ، وكل أسبوع نشاهد السينما ، حيث تعرض الأفلام الثقافية وأفلام الكاوبوى » .

أما إيلى جاكوب نعيم ، فقال :

لقد حُرمنا أخيرا بعد انتحار ماكس بنيت من الترخيص لنا بالكتب والقصص فى السجن ، فشكونا من ذلك ، فقاموا بتحقيق شكوانا وردوا إلينا كتبنا وقصصنا » .

□ وماذا تقرأ فى السجن ؟

ـ مجموعة من الكتب والروايات من بينها قصة التفاحة المحرمة .. التفاحة التى خرج بسببها آدم وحواء من الجنة !

□ هل أنت راضٍ عن وضعك فى السجن ؟

ـ ومن ذا الذى يرضى عن السجن ولو كان جنة ؟!

ولأن فيليب ناتانسون من الذين يعشقون الوحدة ، فقد كان أقل الجواسيس إحساسا بالسجن ، وفى الزنزانة رقم ٣٠ كان يفضل قراءة التوراة ، وقال إنه « **يطبق تعاليم العهد القديم ليكفر عما تقدم من ذنبه وما تأخر** » .. **وقال إنه يصوم يومين فى الأسبوع ، ويصلى تحت النافذة « لعل رحمة الله تدركنى »** .

□ هل تنشد البراءة ؟

ـ حتى القاتل الذى يضبط متلبسا بجريمته ينشد البراءة .

□ هل أنت راضٍ عن سجنك ؟

ـ راضٍ عن وحدتى ولو كانت هذه الوحدة فى السجن .

وقال يوسف زعفران فى دهشة :

« لست أدرى كيف أرهف إحساسى فى السجن وأصبحت أتأثر من أى شىء بعد أن كنت شجاعا مقداما »[1] .

وعندما بدأت المحاكمة ، ازدادت حدة المشاعر الغاضبة فى إسرائيل ، وأمام البرلمان الإسرائيلى ، ندد موشى شاريت « بالمؤامرة الشريرة التى تم تدبيرها فى الإسكندرية .. والمحاكمة الصورية التى يجرى تنظيمها فى القاهرة ، ضد مجموعة من اليهود وقعوا ضحايا لاتهامات كاذبة ، يبدو منها أنه يجرى الآن محاولات لاستخلاص اعترافات منهم بارتكاب جرائم وهمية باستخدام التهديد والتعذيب » .

---

(١) حسنى الحسينى ـ تحقيق « مع جواسيس إسرائيل فى السجن » ـ المصور ـ ٧ / ١ / ١٩٥٥ .

وفى ١٣ ديسمبر ١٩٥٤ ، قالت صحيفة « دافار » الناطقة بلسان نقابات العمال والهستدروت ، إنه يبدو أن النظام المصرى يستمد أفكاره من النازيين ، وأعربت عن حزنها لتدهور وضع اليهود المصريين بصفة عامة .

وفى اليوم نفسه ، ذكرت صحيفة « ها أرتس » : أن المحاكمة « أثبتت أن الحكام المصريين لا يترددون فى اختلاق أغرب الاتهامات ، إذا كان فى ذلك ما يرضيهم » !

وأضافت : « أن الزمرة العسكرية الحاكمة فى مصر تحتاج بلا شك فى الوقت الراهن إلى شيء يشغل الانتباه » !

وفى اليوم التالى ، خرجت صحيفة « جيروزاليم بوست » وهى تحمل العنوان الرئيسى التالى : « شاريت يعلن فى البرلمان : المحاكمة الصورية فى مصر تثير إسرائيل ، وترى فيها إحياء لأساليب محاكم التفتيش » !

وقبل أن نمضى ، لا بد أن نعترف بأننا لم نطلع على هذه الصحف بأنفسنا ، وإنما نقلنا ما قالته عن ديفيد هيرست : « البندقية وغصن الزيتون » .

وحسب ما جاء فى يوميات موشى شاريت ، فإن « الروايات المختلفة عن اعترافات انتُزعت من المتهمين تحت وطأة التعذيب ، انتشرت فى إسرائيل ، وبعض الأوساط الدولية » .

لكن .. شاريت كان يعلم جيدا أن كل الروايات كاذبة ... ولا أساس لها من الصحة .. ففى ٢ يناير ١٩٥٥ ، كتب فى يومياته يقول :

« لا يمكننا أن ننكر أن مواطنينا المعتقلين فى القاهرة قد لاقوا معاملة لائقة وإنسانية » .

وأشار شاريت إلى أن حكومته ، كلفت الحكومة الأمريكية ، بمتابعة حالة الجواسيس اليهود الشبان فى مصر ، وأنها قبلت ذلك ، وبواسطة سفيرها إلى القاهرة جيفرسون كافرى ، تأكدت من أن المؤامرة حقيقية ، والمعاملة لا غبار عليها .

وأشار شاريت أيضا إلى أن الحكومة المصرية ، نسبت المؤامرة إلى إسرائيليين ،

صهيونيين ، وباعدت بينها وبين اليهود المصريين ، حتى لا تتهم بمعاداة السامية ، وإعادة محاكم التفتيش ... ومع ذلك فإنها لم تنج من مثل هذه الاتهامات .

وأشار شاريت كذلك إلى أن المصريين ، لم يستثمروا الفرص المشابهة للتنكيل بالإسرائيليين ، كما حدث مع بحارة السفينة الإسرائيلية « بات جاليم » ، التى اعتدت على نقطة حراسة مصرية على ساحل البحر الأحمر يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٥٤ ، جنوبى السويس .. وقد حجزت السلطات المصرية السفينة وبحارتها فى ميناء السويس ، ثم نقل البحارة بعد ذلك إلى القاهرة للتحقيق معهم فى تهمة إطلاق النار على اثنين من الصيادين ، وحفظ التحقيق معهم ، لعدم توافر الأدلة ، وأُفرج عن المعتقلين ، الذين نشرت الصحف الإسرائيلية — على لسانهم — أنهم عُوملوا أحسن معاملة ، وأُغلقت القضية فى ٥ أكتوبر ... فى اليوم نفسه الذى كشف فيه وزير الداخلية ، زكريا محيى الدين ، أمر القبض على شبكة التجسس والتخريب اليهودية !

لكن ... إشارات شاريت ، بقيت حبيسة مذكراته أو يومياته ، التى لم تنشر إلا بعد ربع قرن من الفضيحة .. أى فى سنة ١٩٧٩ !

ولا جدال أن انفعال شاريت فى البداية سببه أنه لم يكن يعرف حقيقة ما جرى .. وعندما عرف بعض الشيء ، فضل أن يلزم الصمت .. وعندما حاولت مارسيل نينو الانتحار ، ونجح ماكس بنيت فى التخلص من حياته ، بدأ الشارع الإسرائيلى ، يشعر أن شبكة التجسس قد زرعت فعلاً ، وأن الدعايات الحكومية زائفة من البداية إلى النهاية ، وأن المؤامرة الحقيقية دبرتها حكومة موشى شاريت ، لا حكومة جمال عبد الناصر .

وكان أن اهتزت الثقة فى كل شيء فى إسرائيل ، وسمم دخان الإشاعات الجو العام .

وبعد إعلان الأحكام ، ظهر يوم ٢٧ يناير ١٩٥٥ ، تجدد الغضب مرة أخرى ... وحتى تدارى إسرائيل عورتها التى فُضحت ، وتخرج من الحرج التى وجدت نفسها فيه ، شنت من جديد حملة شديدة ضد الأحكام التى صدرت ضد جواسيسها

بالحبس والإعدام .. خصوصا الإعدام .

والمذهل ... أن هذه الحملة ، وصلت إلى الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، اللتين أحرق الجواسيس اليهود ممتلكاتهما فى القاهرة والإسكندرية .. وعن طريقها قدمت إسرائيل إلى مصر أكثر من التماس لإعادة النظر فى الأحكام .. وعن طريق لجنة الهدنة ، قدمت إسرائيل التماسات أخرى .

وفى واشنطن ، وجد اللوبى الصهيونى — بين رجال الإدارة الأمريكية — من يستمع إليه ، ومن يتعاطف مع هؤلاء الجواسيس ، ومن يضغط على الرئيس الأمريكى « دوايت ايزنهاور » للتدخل لدى جمال عبد الناصر .

وفيما بعد ...

اتضح أن الرئيس ايزنهاور ، كتب بخط يده ، خطابا شخصيا ، يقطر رقة ، وعذوبة ، إلى جمال عبد الناصر ، يرجوه فيه ، تخفيف الأحكام عن « هؤلاء الشبان » ، رغم جرمهم ، لأسباب ودوافع إنسانية (!!) .

وكما يقول محمد حسنين هيكل (فى ملفات السويس) اعتذر جمال عبد الناصر « عن قبول شفاعة الرئيس دوايت ايزنهاور » .

ثم ... تدخل انتونى ايدن ، وونستون تشرشل تمارس ضغطا مشابها !

ثم ... جاء الدور على فرنسا لتفعل الشيء نفسه .

لكن ... من جديد اعتذر جمال عبد الناصر .

فقد كان من العسير عليه أن يخفف حكم الإعدام ، ليس فقط لأنه لا يقبل بوجود إسرائيل وإنما لأنه قبل أسابيع قليلة ، أعدم ستة من الإخوان المسلمين ، لاشتراكهم فى محاولة اغتياله الشهيرة فى ميدان المنشية .

وكان الإخوان المسلمون قد أشاعوا أنهم يتعرضون للعذاب فى السجون ، بينما يعامل الجواسيس اليهود معاملة نزلاء الفنادق ... وكان هذا يكفى !

وبرفض جمال عبد الناصر إلتماسات الغرب ، قالت وكالة الأنباء الإسرائيلية : إن

هذا الرفض « يعد صفعة قوية على أقفية حكام العرب ، ويدل على أن مصر تمضى فى طريقها غير عابئة بغير مصلحتها » .

وقد تكرر التعليق نفسه فى اليوم التالى لتنفيذ الإعدام .

فى ٣١ يناير ١٩٥٥ .. أى بعد أربعة أيام فقط على النطق بالأحكام أعدم موسى مرزوق وصمويل عازار شنقا فى سجن الاستئناف ، بباب الخلق ، فى القاهرة .

فى الساعة الثامنة إلا خمس دقائق من صباح ذلك اليوم رفعت الراية السوداء على السجن ، وقيد موسى مرزوق من زنزانته إلى ساحة التنفيذ ، وبعد أن قرأ مأمور السجن نص الحكم ، تقدم عبده باروح صالح نائب حاخام اليهود لطائفة القرائين ، وطلب من موسى مرزوق التوبة ، وكان المتهم مطرقا برأسه إلى الأرض أثناء الوعظ .

وسأله المأمور :

ـ نفسك فى إيه ياموسى ؟

فأجاب بلغة عربية ركيكة :

ـ « متشكر مش عاوز حاجة » .

بعدها تسلمه « عشماوى » ... ولم يستغرق فى يده سوى ٣ دقائق :

بعد نصف ساعة ، جيىء بصمويل عازار ، وكان شديد الاضطراب ، وقال له الواعظ :

« استغفر الرب .. وتب إليه .. وقل إنى مخطىء .. يارب سامحنى » .

فرددها وهو ينتفض كالمحموم .

وسأله المأمور :

ـ نفسك فى إيه ياصمويل ؟

فأجاب :

ـ لا .

وعندما تسلمه عشماوى ، كانت مهمته هذه المرة أسرع بنصف دقيقة !

وفى سيارة بوليس ، نُقلت جثتهما إلى سجن مصر ، حيث تم تسليمهما إلى ذويهما لدفنهما حسب التعليمات .. وقد دُفنت جثة موسى مرزوق بمقابر اليهود بالبساتين ، ودُفنت جثة صموئيل عازار بمقابر اليهود بالإسكندرية ..

وبمجرد أن أُذيع النبأ ، أعلن موشى شاريت أن موسى مرزوق ، وصموئيل عازار « ماتا ميتة الشهداء » !!

ووقف أعضاء الكنيست صامتين حدادا عليهما ... وفى اليوم التالى أُعلن الحداد الرسمى فى إسرائيل .. ونُكست الأعلام .. واختفت الألوان فى الصحف والمجلات .

وأُطلق اسما الجاسوسين على بعض شوارع بئر سبع[٢] .

وحسب إضافة كنيث لاف : كتاب « السويس ـــ الحرب التى خيضت مرتين » فإن مندوبى إسرائيل فى لجنة الهدنة (المصرية ـــ الإسرائيلية المشتركة) رفضوا حضور اجتماعات اللجنة وأعلنوا « أنهم لن يجلسوا إلى جانب ممثلى الزمرة العسكرية الحاكمة فى مصر » .

وكانت صحيفة « الأهرام » قد اكتفت بنشر الجزء الأول من هذا الخبر ، بعد يومين من تنفيذ حكم الإعدام .

وفى اليوم التالى لتنفيذ حكم الإعدام ، تلقت القنصلية المصرية فى نيويورك تهديدا بالنسف ...

وحسب ما أذاعته وكالات الأنباء :

« أقام البوليس الأمريكى حراسة مشددة ، ومستمرة ليل نهار على مقر القنصلية المصرية ، ومقر وفد مصر لدى الأمم المتحدة بنيويورك ، بسبب قيام بعض المجهولين من الصهيونيين بالتهديد بالنسف .

وتقع القنصلية ومكاتب وفد مصر لدى الأمم المتحدة فى البناء رقم ٩٠٠ ـــ شارع بارك أفينو فى قلب مانهاتن .

---

(٢) هيرست ـــ البندقية وغصن الزيتون .

« وحدث أن تلقت القنصلية فى الساعة العاشرة والنصف من صباح أول فبراير مكالمة تليفونية من إحدى الفتيات ، قالت فيها إن قنبلة زمنية ستنفجر فى المبنى بعد ربع ساعة ، ثم تلقت مكالمة أخرى من رجل ، كانت تنطوى على تهديد مماثل ، واستخدم المتكلم لهجة شديدة ، نابية .

وحدث ذلك عقب إعلان نبأ الإعدام .

« واتصل فؤاد عرسان ــ نائب القنصل بالسلطات الأمريكية التى سارعت باتخاذ اللازم » .

انتهى .

وفى يوم ٥ فبراير قام شخص مجهول بإطلاق ٦ رصاصات على القنصلية ، وتعمد أن تدخل الرصاصات إلى القنصلية من إحدى نوافذها .

وقال البوليس :

ـ إن الجانى شُوهد من سطح إحدى العمارات المجاورة للقنصلية وهو يهرب مستقلا إحدى السيارات عقب ارتكاب الحادث .

وقد وجه الجانى الطلقات إلى إحدى نوافذ الطابق الرابع ، ولحسن الحظ لم تقع إصابات وإنما تحطم فقط زجاج النافذة .

لم يكن أحد فى المبنى .. وصرح محمد رياض (السكرتير الثانى) بأن القنصل العام عزيز شريف ، وعمر لطفى رئيس وفد مصر لدى الأمم المتحدة لم يكونا بالمكتب وقت الحادث .

واتضح أن الرصاصات من عيار ٢٢ م .

وقد تمكن المستر جون ماكلوى ــ المندوب السامى الأمريكى السابق فى ألمانيا ورئيس مجلس إدارة بنك تشيس من معرفة رقم سيارة المعتدى .

وفيما بعد ... اتضح أن جون ماكلوى أعطى رقم سيارة لا وجود له .. .. وإن لم توجه إليه تهمة التستر على مجرم .

وأمام السفارات المصرية فى واشنطن ولندن وروما وباريس تظاهر اليهود هناك ، ورفعوا شعارات عدائية ضد جمال عبد الناصر ، الذى وصفوه بأنه هتلر « النيل » ، ورسموا على العلم المصرى ، صليب النازية المعقوف !

لكن ...

ذلك كله لم يمنع الفضيحة الأمنية التى تعرضت إليها المخابرات الإسرائيلية ، والتى كانت فى الوقت نفسه خيبة للجيش .. « وإهانة وطنية لإسرائيل » على حد تعبير ستيفن جرين ، الذى يضيف : أنه لا ريب أن الإسرائيليين آمنوا بأن عملية سوزانا كانت عملية فاشلة ، ومن ثم ... « فقد تعالى الصياح والضجيج للمطالبة بإجراء تحقيق فى الموضوع » !

وقبل أن تشكل لجنة التحقيق ، اتضح أن رئيس الحكومة موشى شاريت لم يكن على علم بها .. ولم يعرف موشى شاريت ما جرى إلا بعد اعتقال أفراد الشبكة فى الأسبوع الأخير من شهر يوليو ـــ ١٩٥٤ !!

أى أن العملية جرت من وراء ظهر رئيس الحكومة ... الذى أصبح من المؤكد أنه كان مثل الزوج المخدوع .. آخر من يعلم !

حسب المعلومات التى كتبها عن نفسه ، ولد موشى شاريت (أو شيرتوك) فى ضاحية هارسون فى روسيا القيصرية .. عام ١٨٩٤ .. كان أبوه صهيونيا متعصبا ، ومن ثم هاجر إلى فلسطين فى سنة ١٩٠٦ .. أى عندما كان عمر موشى شاريت ١٢ سنة .. استقرت الأسرة فى قرية « عين سينيا » بالقرب من نابلس .. وبعد عامين انتقلت إلى تل أبيب ، حيث التحق شاريت بمدرسة هرتسليا ، حتى المرحلة الثانوية .. وأثناء الحرب العالمية الأولى ، جُند شاريت فى الجيش العثمانى ـــ الذى كان يسيطر على فلسطين ـــ برتبة ضابط ، وخدم معظم سنوات الحرب فى سوريا ... لذلك فقد كان يجيد اللغة العربية بلهجة الشوام ، وكان يعرف جيدا معظم العادات والتقاليد الشرقية .

بعد الحرب ، فُرض الانتداب البريطانى على فلسطين ، وساعد ذلك شاريت على استكمال تعليمه فى لندن .. فكان أن تخرج فى مدرسة لندن للعلوم الاقتصادية .. وفى ذلك الوقت بدأ نشاطه السياسى فى صفوف الحركة العمالية الصهيونية .. وكان أحد الأعضاء المؤسسين لحزب ماباى (حزب العمال فى إسرائيل) ، الذى ظل فيما بعد ، يحكم إسرائيل لمدة ٢٩ سنة متواصلة ، بعد إعلان الدولة فى ١٥ مايو ١٩٤٨ .

أصبح شاريت المحرر العام لجريدة دفار لسان الهستدروت ، الذى يسيطر عليه حزب ماباى ... ثم عين نائبا لرئيس القسم السياسى فى الوكالة اليهودية ، حاييم أرلوسوروف ، الذى اغُتيل فى سنة ١٩٣٣ على أحد شواطىء تل أبيب ، فعين شاريت فى مكانه .. خلفا له .. وكان ديفيد بن جوريون فى ذلك الوقت مديرا عاما للوكالة اليهودية .

فى أول حكومة إسرائيلية شكلها بن جوريون بعد إعلان الدولة ، أصبح شاريت وزيرا للخارجية ... وبعد انسحاب بن جوريون إلى صحراء النقب .. فى مستوطنة « سدى بوكر » ، سنة ١٩٥٣ ، تولى بدلا منه مسئولية رئاسة الحكومة .. وأصبح بنحاس لافون وزيرا للدفاع .. وموشى ديان رئيسا للأركان .. وشيمون بيريز المدير العام لوزارة الدفاع .

ويشتهر شاريت بيومياته التى بدأ كتابتها من أكتوبر ١٩٥٣ إلى نوفمبر ١٩٥٧ ، وتقع فى ٢٤٠٠ صفحة ، تضمها ٨ مجلدات ، وقد خضعت أسرته ، بعد أن توفى سنة ١٩٦٥ ، لضغوط هائلة لمنعها من نشر اليوميات ، وطلب منها تسليمها إلى حزب العمل لمراقبتها قبل النشر ... لكن ابن شاريت وعائلته أصروا جميعا على نشر اليوميات كاملة ... فكان أن فُضح كثير من المستور ، فى سياسة إسرائيل وخططها ومؤامراتها ، بما فى ذلك فضيحة سوزانا ، التى ستعرف بعد ذلك باسم فضيحة لافون .

ففى يوميات شاريت ، أنه لا رئيس الحكومة ولا الوزراء ، ولا رئيس الدولة

كانوا على علم بتفاصيل ما تفعله الشبكة التى زُرعت فى مصر .. كما أن اللجنة الوزارية لشئون الدفاع لم تطلع على العملية ... كذلك فإن بنحاس لافون وزير الدفاع ، والكولونيل بنيامين جيفلى ، مدير المخابرات العسكرية ، راحا يتبادلان الاتهامات علنا .. وقال كل منهما إن الآخر هو الذى أعطى الإذن أساسا للقيام بعمليات التخريب .

وقد وصف موشى شاريت فى يومياته الحالة التى كانت عليها القيادات الإسرائيلية فى ذلك الوقت ، فقال : « لم أكن أتخيل قط أن فى إمكاننا أن نصل إلى مثل هذه الحالة المريعة من العلاقات المسمومة ، وإلى هذا المستوى الذى تفجرت عنده غرائز الكراهية والانتقام والخداع ، لدى القيادات العليا فى وزارة الدفاع » .

وعندما طُرح اسم لافون كمسئول عن هذه الفضيحة ، لم يكن من الصعب تقبل هذا الأمر ... فتاريخه الدموى يدعم ذلك ... بل .. إن أول عمل له كوزير للدفاع ، كان الهجوم على قرية قبية الأردنية ، التى صادق عليها بن جوريون عشية رحيله إلى سدى بوكر .

وتشرح يوميات شاريت عن مذبحة قبية مدى جنون لافون بمثل هذه العمليات ... وذلك على النحو التالى :

١ ـــ « أخبرت لافون أن ذلك الهجوم (على قبية) سيكون خطأً فادحا ، وذكرته مستشهدا بحوادث مماثلة بأن الأعمال الانتقامية لا تخدم غرضها المعلن .. أجابنى لافون مبتسما إن بن جوريون لا يشاركنى هذا الرأى » .

شاريت ـــ ١٤ أكتوبر ١٩٥٣

٢ ـــ « تمت العملية ، وبناء على الروايات الأولى دمر ثلاثون منزلا فى قرية واحدة .. لم يكن لتلك العملية مثيل فى الماضى ، لا فى أبعادها ، ولا فى حجم القوة التى استُخدمت لتنفيذها .. كنت أذرع غرفتى مجيئاً وذهابا شاعرا بالعجز والكآبة الشاملة الناتجة عن شعورى بالمرارة ، وعدم الفاعلية .. أفزعنى الوصف الذى سمعته من راديو رام الله عن الخراب الذى حل بالقرية العربية .. عشرات القتلى

وعشرات المنازل المدمرة .. باستطاعتى أن أتصور العاصفة التى ستهب غدا فى العواصم العربية والغربية » .

شاريت ــ ١٦ أكتوبر ١٩٥٣

٣ ــ « يجب أن أوضح هنا أننى حين اعترضت على تلك العملية ، لم أكن أتصور إمكانية حدوث مثل هذه المجزرة .. كنت أعارض هذه العملية بحكم كونها واحدة من العمليات التى كانت فى الماضى نوعا من الروتين اليومى .. ولو ساورنى شك بما كان سيحدث لأقمت الدنيا وأقعدتها » .

شاريت ــ ١٦ أكتوبر ١٩٥٣

٤ ــ فى الاجتماع الوزارى أدنت العملية التى أظهرتنا أمام العالم كعصابة من القتلة قادرة على ارتكاب المجازر دون أدنى اعتبار لما يتولد عنها من نتائج قد تؤدى إلى الحرب .. حذرت المجتمعين بقولى إن تلك البقعة السوداء لن تمحى من سجلنا قبل سنين طويلة .. تم الاتفاق على أن يكتب بن جوريون (الذى عاد من إجازته بسبب ما جرى) البلاغ الرسمى عن العملية .. طالبت بإصرار أن يتضمن البيان عبارات تعبر عن الأسف لما حدث .. لكن بن جوريون أصر بدوره على عدم تحميل الجيش أية مسئولية عن الحادث ، وإلقائها على سكان الحدود اليهود الذين أخذوا على عاتقهم مسئولية تحقيق العدل » .

شاريت ــ ١٨ أكتوبر ١٩٥٣

وبعد مجزرة قبية ، كان لافون من أنصار ، احتلال سوريا ، بعد إسقاط نظام أديب الشيشكلى ، فى ٢٥ فبراير ١٩٥٤ .. واستنادا إلى يوميات شاريت :

بعد تناولنا الغداء ، أخذنى لافون جانبا ، وقال محاولا إقناعى : « هذا هو تماما الوقت المناسب كى نتحرك ونقوم باحتلال المواقع السورية خلف خطوط الهدنة فى المنطقة المنزوعة السلاح ، منتهزين فرصة انهيار الوضع فى سوريا ، إذ أن الحكومة التى وقعنا معها اتفاقية الهدنة لم يعد لها وجود ، أو هى على وشك السقوط ، ولا توجد فى الوقت الحاضر أية قوة فى الساحة يمكنها السيطرة على الوضع . أما العراق

فقد بدأ يتحرك عمليا باتجاه سوريا ، إنها فرصتنا التاريخية ، وعلينا ألا نضيعها » .. كنت مترددا فى الموافقة على مثل تلك الخطة للحرب الخاطفة وكان رأيى أننا نسير نحو هاوية مجهولة تقودنا إليها تلك المغامرة المشؤومة . وقد صدمت حين اقترح لافون البدء بتنفيذ العملية فورا .

« أخبرته أن تحرك القوات العراقية داخل سوريا ما زال احتمالا لم يتأكد .. أجاب لافون بأن الوقت ثمين للغاية وإذا لم نباشر العمل فورا فقد تضيع تلك الفرصة نهائيا .. لم أكن مقتنعا بالموافقة على تلك العملية ، وأخيرا قررت عقد اجتماع مع بن جوريون يوم السبت التالى لاستشارته بخصوص هذا الأمر .. كان لافون شديد الاستياء لهذا التأخير .. لكن لم يكن لديه من خيار سوى الموافقة والانتظار .. ثم ارتدى وجه لافون فى تلك اللحظة تعبيرا صادقا من الحزن والأسى ، فقد أدرك أن التأجيل يعنى وضع نهاية لاقتراحه العنيد » .

شاريت — ٢٧ فبراير ١٩٥٤

وفى ١٢ يناير ١٩٥٤ ، وبناء على موافقة لافون ، خُطفت طائرة ركاب مدنية سورية ، وأجبرتها المقاتلات الإسرائيلية على الهبوط فى مطار اللد ، حيث أُخضع الركاب وطاقم الطائرة لاستجواب استمر يومين .. ولم يُفرج عنهم إلا بعد أن هاج الرأى العام العربى والعالمى .

وقد كتب شاريت إلى لافون فى ٢٢ يناير ١٩٥٤ ، يقول :

« ليكن معلوما لديك أنه ليست لدينا أية أسباب تبرر خطف الطائرة السو ية .. كان من الأفضل لنا إطلاق الطائرة فى الحال بدلا من إخضاع ركابها ، وليس لدى أى شك فى صدق ما أعلنته دوائر الخارجية الأمريكية من أن عملنا هذا ، ليست له سابقة فى تاريخ التعامل الدولى .. إن ما يقلقنى بشكل خاص هو ضيق الأفق ، وقصر النظر الذى يتمتع به قادتنا العسكريون !

« يبدو لى أنهم مقتنعون بأن باستطاعة إسرائيل التعامل مع العالم بأسره تبعا لقوانين الغابة » !

إذن .. القبول باتهام لافون بأنه كان وراء عملية سوزانا ، لم يكن أمرا صعبا .. ومع أن الاتهام لم يكن صحيحا ، كما سنعرض فيما بعد ، فإن تاريخ لافون الإرهابى لم يكن يسمح بالبراءة .. كما أن مسئوليته ،كوزير للدفاع ، جعلته يتحمل المسئولية فى النهاية ، وجعلت اسمه يقترن بهذه الفضيحة ، فلا تعرف باسم فضيحة سوزانا ، وإنما تعرف باسم فضيحة لافون !

وبنحاس لافون ، ولد فى بولندا سنة ١٩٠٤ .. وتلقى تعليمه فى جامعة لفوف .. وكان من جيل الرواد الأوائل المهاجرين إلى فلسطين .. وقد بدأ حياته السياسية عضوا متطرفا فى حركة شباب الماباى ، ثم أصبح رئيسا لها فيما بعد .. وقبل سنة ١٩٤٨ ، أُختير أمينا عاما للهستدروت ، وخلال هذه الفترة تعرف على موشى ديان ، ولوحظ وقتها أنهما لم يقيما علاقة حسنة بينهما .

تولى وزارة الزراعة فى سنة ١٩٥٠ و١٩٥١ ، ثم أُختير وزيرا للدفاع فى حكومة موشى شاريت .. ومنذ اللحظة الأولى للعمل مع شاريت ، كان يرفض أسلوبه فى الضغط الدبلوماسى ، وكان يعبر فى تصريحاته عن نفاذ صبره من هذا الأسلوب ، ويسعى جاهدا لممارسة كل مظاهر التطرف التى سبق أن أشرنا إليها .

وفى مذكراته (قصة حياتى — Story of My Life) يقول موشى ديان : إن لافون كان تواقا لاستخدام وحدات المهمات الخاصة ، وكنت أرى أنها يجب أن تستخدم فقط فى زمن الحرب ، وتبقى بلا عمل وساكنة وقت السلم ، ولما كان وزيرا ، وأصر على حقه فى الاجتماع بكبار الضباط بدون مشاركتى ، وبدون معرفتى أحيانا ، قمت بتحذير الضباط المسئولين فى هذه الوحدة بأن يكونوا حذرين من رغبة لافون فى استخدامهم !

وكان واضحا أن ديان لا يطيق لافون ، حتى إنه — فى إحدى المناسبات — قدم استقالته ، ثم أقنعه بن جوريون بسحبها .. لأن المستقبل له لا لمثل لافون .. فسحبها !

فهل كان بن جوريون يعرف مسبقا ما سيجرى للافون ؟! .

يقول ريتشارد ديكون (كتاب المخابرات الإسرائيلية) إن لافون لم تكن له خبرة بشئون الدفاع حين أصبح وزيرا للدفاع .. وربما أحس أن عليه توطيد سلطته منذ البداية لأنه أدرك أنه محاط بيدين قويتين هما موشى ديان ، وشيمون بيريز (رئيس الأركان والمدير العام لوزارة الدفاع) .. ولكن الأخطاء جميعا لم تكن أخطاءه ، بل إن أكثر التحقيقات سرية ودقة ، كشفت أن أناسا عديدين ، لا واحدا فقط ، ساهموا فى كوارث سنة ١٩٥٤ التى أثبتت أنها ضربة قاصمة لجهاز المخابرات . وربما كان تعليق عاموس برلموتور ، هو أفضل ما قيل فى هذا الشأن .. « إن لافون لم يقم ارتباطا جيدا بالجيش ، بل تورط فى المحن والكوارث الأمنية التى لم تكن له يد فيها ، وكلفته أخيرا عمله وسمعته » .

« والحقيقة أن وزارة الدفاع لم تكن وحدها المتورطة فى « المحن الأمنية » ، رغم أن لافون كان ولا ريب هو المسئول عن استخدام « وحدة المهمات الخاصة » وتكثيف غارات الحدود مع مصر ، إذ إن المخابرات العسكرية كانت مسئولة أيضا .. وكان لا بد من قيام تعاون وثيق بينهما مع هيمنة شديدة ومحكمة على العمليات الخطرة جدا .. ففى زمن بن جوريون (وحين كان رئيس الوزراء هو أيضا وزير الدفاع) تحققت هذه الأمور .. لكن مع وجود لافون فى وزارة الدفاع ، كان ثمة مجال لوقوع كارثة لأنه كان يميل إلى اتخاذ قراراته دون أن يستشير الآخرين .. على حين أن بعض مساعديه حجبوا الثقة عنه .. ومنهم رجال المخابرات العسكرية ، والموساد ، الذين حاول أن يتحالف معهم » .

لقد أصبح لافون فى ورطة بعد فضيحة سوزانا ...

ليس لأنه لم يعرف بأمر هذه العملية فقط .. وإنما لأنه كان عليه أن يُعاقب على جريمة لم يرتكبها .. أيضا !

ولم يكن عليه أن يوجه غضب الرأى العام فقط ، وإنما ألاعيب رجال المخابرات أيضا !

كانت اللعبة أكبر منه ...

ومن ثم .. راحت الدوائر تدور ضد مصلحته !

□ ١٢ □

جـزاء .. سـنمار !

وقت انفجار الفضيحة ...

كان ديفيد بن جوريون فى مستوطنة سدى بوكر فى النقب يزرع الطماطم !

وكان شيمون بيريز فى فرنسا يتفاوض على أسلحة جديدة لإسرائيل !

وكان موشى ديان فى زيارة لقواعد الجيش بالولايات المتحدة لمدة ثلاثة أسابيع ونصف !

وهكذا ... خرج هؤلاء من دائرة الاتهام ، لأنهم كانوا بعيدين عن مسرح الأحداث ، وقت ارتكاب الجريمة ... ورغم أن ذلك أبرأ ساحتهم جنائيا ، فإن الاستفادة السياسية التى حصلوا عليها من وراء ما حدث ، جعلت ظلال الشك تخيم عليهم كثيرا ، فيما بعد .

ويقول موشى ديان فى مذكراته : إن الرأى العام الإسرائيلى ، أُصيب بالذعر ، وتساءل : من الذى أمر بتنفيذ هذه الفضيحة الأمنية ؟

ويضيف ديان : أن ضابط الجيش الكبير المسئول عن وحدة المهام الخاصة (وقائد المخابرات العسكرية ، العقيد بنيامين جيفلى) أصر على أنه تلقى الأمر من الوزير شفهيا .. فى اجتماع لم يحضره غيرهما .. بينما ادعى لافون أن الضابط قد تصرف من تلقاء نفسه !

وفيما بعد ... اتضح أن رئيس الأركان ، موشى ديان كان يعرف أكثر مما كتب فى مذكراته .. فقد تلقى وهو فى رحلته إلى الولايات المتحدة رسالة من العقيد بنيامين جيفلى ، يؤكد فيها أن المخابرات العسكرية تلقت الضوء الأخضر لبدء عمليات التخريب فى مصر ... أى أن ديان كان يعرف بالأمر قبل أن ينفجر .. فهل أراد

أن يورط لافون ، أم شاريت ، أم سعد لأن مثل هذه العمليات كانت تتوافق مع رغبته فى العبث وراء الحدود المصرية ؟! .

وعندما عاد ديان من رحلته ، خشى أن يتورط فى الفضيحة ، فطلب من العقيد جيفلى أن يريه تصريحا كتابيا ، يتضمن « الأمر » بالقيام بهذه العمليات ، لكن العقيد جيفلى — على حد قول د . ايريش فولات — كذب وراوغ ، وادعى أن لافون قد أعطى إليه الأمر شفاهة ، فى اجتماع ثنائى ، يوم ١٦ يونيو ١٩٥٤ .

« أنكر لافون هذه القصة تماما ، فهو لم يسمع من قبل عن عملية سوزانا ، ثم إنه فى يوم ١٦ يونيو لم يعقد أى اجتماع كما يدعى جيفلى » .

أيسر هاريل ، رئيس الموساد ، وأحد المستفيدين من الفضيحة ، لم يكن هو الآخر فى إسرائيل ، وقت الكارثة ... فهل تعمد أن يترك الساحة فى هذا الوقت بالذات ، هو أيضا ؟ ... هل طُلب منه أن يكون خارج إسرائيل حتى لا يُتهم بالتقصير ، وحتى يترك الحبل على الغارب للعقيد جيفلى .. أم أن رحلته إلى الخارج كانت مجرد صدفة ؟!

وحين عاد أيسر هاريل إلى إسرائيل ، وواجهه موشى شاريت بتفاصيل ما جرى فى مصر ، رد قائلا :

_ أنا لا أعرف عن الموضوع شيئا .

وفى يومياته ، كتب موشى شاريت يوم ١٠ يناير ١٩٥٥ ، يقول :

أصيب ايسر هاريل بالذهول وكاد يفقد صوابه ، لأن المخابرات العسكرية « عالجت » القضية بشكل منفرد ، ودون التنسيق مع جهازه الأمنى .

« لقد سمعت منه قصصا يقشعر لها البدن عن مقترحات تقدم بها جيفلى للقيام بملاحقة المواطنين المصريين واختطافهم ، لا فى قطاع غزة وحسب ، بل فى قبرص وأوروبا أيضا . كما اقترح خطة حمقاء لنسف السفارة المصرية فى عمان فى حالة إصدار أحكام بالإعدام على المتهمين الإسرائيليين » .

وقبل ذلك بيوم واحد ، كتب شاريت :

« كنت أتمشى فى غرفتى كمجنون أصابه ذعر قاتل .. كنت أشعر بالضياع والعجز المطلق .. ما العمل ؟ .. ماذا باستطاعتى أن أفعل ؟ » .

وفى اليوم نفسه ، كتب يقول :

« يسألنى الناس ما إذا كنت مقتنعا بأن لافون هو الذى أصدر الأمر بشأن العملية ؟ لكن لنفترض أن جيفلى تصرف من نفسه ، دون تعليمات من لافون ، ألا تقع التبعة الأخلاقية بالدرجة نفسها على لافون ، الذى كان يعظ باستمرار ويبشر بالعنف ، ويدعو للقيام بالأعمال الجنونية ؟ »

« أليس هو الذى علم قيادة الجيش درسا شيطانيا حول كيفية إضرام النار فى الشرق الأوسط ، وإشاعة الفوضى والمواجهات الدامية فيه ؟ .. من الذى دعا للأعمال التخريبية ضد المؤسسات التابعة للدول الكبرى ، وحقق أعمالا يائسة وانتحارية ؟ .. أليس هو ؟ »

أى أن شاريت اعتبر لافون مسئولا سياسيا عما حدث ، وإن بدا مقتنعا بأن جيفلى تصرف من نفسه ، أو بأمر من ديان وبيريز وعدد من كبار موظفى وزارة الدفاع ، وضباط الجيش !

ففى يوم ٩ يناير ١٩٥٥ ، كتب شاريت فى يومياته :

« رسم لى تيدى كولاك صورة مرعبة عن نمط العلاقات السائدة على مستوى القيادة فى المؤسسة الأمنية الإسرائيلية » .

« كان ديان مستعدا للقيام بعمليات خطف طائرات ، واحتجاز رهائن من الضباط العرب المسافرين فى قطارات ، أما قائد الأركان الذى سبق ديان فقد طالب بإطلاق يده لاغتيال أديب الشيشكلى ، بينما اقترح لافون القيام باحتلال غزة والمنطقة العسكرية المنزوعة السلاح على طرفى الهدنة مع سوريا » .

« كذلك تبنى لافون وشجع قيام اتجاه مغامر فى الجيش ، وسعى لإفهام الإسرائيليين أن العرب ليسوا وحدهم الأعداء ، بل هناك أيضا القوى الغربية

الكبرى ، والطريق الوحيد أمامنا لمنعهم من تنفيذ مؤامراتهم ضدنا هو القيام بأعمال تشيع الذعر فى قلوبهم ، وشارك بيريز لافون تبنيه هذه الأيديولوجية تحت شعار : العمل على زرع الرعب فى الغرب توصلا إلى ابتزازه لدعم أهداف إسرائيل وتبنيها » .

« وبعد أن حدث ما حدث ...

« أصبح وزير الدفاع معزولا تماما ، خاصة بعد أن امتنع معاونوه عن التداول معه فى أى أمر من الأمور ، وعلى سبيل المثال كان ديان وبيريز وعدد من كبار موظفى الوزارة ، وضباط الجيش ، يرسمون الخطط من أجل تلويث اسمه ، وإيقاعه فى المصيدة » .

« ولهذا أتوا بالإسرائيلى الهارب من مصر ، ويدعى (إبرام سايدنفرج) ، والذى يعرف أيضا باسم (بول فرانك) وزودوه بتعليماتهم التفصيلية عن كيفية الإجابة عن الأسئلة ، وضرورة اللجوء إلى الكذب أحيانا أثناء التحقيق ، كما قاموا بالتنسيق بين أقوال مختلف الشهود من أجل تضييق الخناق على لافون » .

لا جدال فى أن ما يقوله شاريت قد حدث ...

فعند استدعاء بول فرانك للشهادة ، طلب منه الثلاثى ديان ــ بيريز ــ جيفلى ، أن يقول ما يملونه عليه .. وأن يؤكد أن عبء العمليات الفاشلة لا يقع على كاهل المخابرات العسكرية ، بل على أفراد الشبكة فى مصر ، الذين كانوا يتصرفون كثيرا على مسئوليتهم الخاصة ... باختصار .. « يعملها الكبار ويقع فيها الصغار » .

كان على بول فرانك أن يكذب أمام لجنة التحقيق التى أمر بتشكيلها رئيس الوزراء لمعرفة الحقيقة .. وقد تشكلت اللجنة من اثنين فقط .. أحدهما كان « أولشان » الرئيس السابق للمحكمة العليا .. والآخر كان « دورى » رئيس الأركان السابق .. لذلك فقد عرفت هذه اللجنة ، بلجنة « أولشان ــ دورى » .

وأمام هذه اللجنة شهد ديان ، وبيريز ضد لافون .

وقدم جيفلى نسخة من الرسالة التى بعث بها إلى ديان ، والتى جاء فيها : « إنه بناء على موافقة لافون ــ فقد صدر الأمر بالبدء فى عملية سوزانا » .

وقد قدم جيفلى الرسالة بعد أن قام بالتزوير فيها ، وأضاف عبارة « بناء على موافقة لافون » .. ... وفيما بعد .. اعترفت داليا كارميل سكرتيرة جيفلى ، بأن هذه العبارة أضيفت إلى صورة الرسالة .. وقبل ديان بالتزوير .. وأقسم على أن صورة الرسالة التى قدمها جيفلى ، صورة طبق الأصل ... وعندما طلبت لجنة التحقيق منه أن يقدم الأصل ، اعتذر بحجة أنه كان على سفر ، وأن الأصل قد فُقد منه !

أما لافون فقد استند فى دفاعه إلى :

١ ــ أنه لم يصدر أمرا شفهيا إلى جيفلى يوم ١٦ يونيو ١٩٥٤ كما يقول .

٢ ــ أنه لم يحضر مؤتمر الأمن الأسبوعى يوم ١٦ يونيو ، كما يدعى جيفلى .

٣ ــ أن مثل هذه العمليات لا يجوز فيها الأمر الشفهى .

٤ ــ أن الوثائق المقدمة ، مجرد صور ضوئية ، وليست وثائق أصلية ، مما يعنى أن من الممكن تزويرها بسهولة .

وانتهى التحقيق إلى لا شيء !

إن موشى شاريت شكل هذه اللجنة لمعرفة من الذى أعطى الأمر لحلقة التجسس ، ووجه نشاطها ... لكن اللجنة لم تصل إلى إجابة حاسمة .. قاطعة .. وأعلنت أنها عاجزة عن تحديد المسئولية بما لا يدع مجالا للشك فى هذا التحديد .

وجاء فى تقرير اللجنة الذى قُدم إلى رئيس الوزراء ، فى يوم ١٢ يناير ١٩٥٥ :

« وفى التحليل الأخير ، نحن نأسف لأننا لم نتمكن من الإجابة عن الأسئلة التى وجهها إلينا رئيس الوزراء، ولا يسعنا إلا أن نقول إننا لم نقتنع اقتناعا كليا ، يقينيا ، بأن الكولونيل بنيامين جيفلى لم يتسلم أوامره من وزير الدفاع بنحاس لافون . كما أننا لم نقتنع اقتناعا كليا ، يقينيا ، بأن وزير الدفاع أعطى فعلا تلك الأوامر التى نسبها إليه مدير المخابرات العسكرية » .

إلا أن اللجنة ألقت بظلال الشك على لافون ، عندما اعتبرته المسئول عن كل ما يحدث فى وزارة الدفاع .. فلو كان يعرف فتلك مصيبة .. وإن كان لا يعرف فالمصيبة أعظم !

واستنادا إلى كتاب ريتشارد ديكون ، فإن لافون قام بتحقيق مستقل فيما جرى ، وقدمه إلى لجنة « أولشان ـــ دوري » ، لكنها لم تلتفت إليه ، ولم تعره أى اهتمام ... « إذ من المؤكد أنها لم تناصر وزير الدفاع ، واتخذت بذلك موقفا حياديا غير مساعد ، وأعربت عن رأيها بأن من غير الممكن بشكل أكيد ، معرفة من أصدر الأمر الأصلي للمجموعة التخريبية فى القاهرة ، وهذا ما ترك لافون فى وضع يستحيل الدفاع عنه » .

بعد أيام ... عرض لافون على شاريت ، عدة « مشاريع للتغيير » فى وزارة الدفاع .. منها توصيات بإقالة جيفلى ، وبيريز وديان ... ورفض شاريت .. وطالب لافون بأن يقدم استقالته .. وكان شاريت قد توصل إلى هذا الطلب ، بعد ضغوط الوزراء وقيادات الماباى عليه لإقالة لافون ... لكن .. لأنه كان واثقا من أن لافون برىء من التهمة ، فقد اكتفى بأن يطلب منه الاستقالة .

وبالفعل .. تقدم لافون باستقالته من وزارة الدفاع فى يوم ٢ فبراير ١٩٥٥ ... وفى الوقت نفسه لم يكن أمام شاريت من خيار سوى الرضوخ للإنذار الضمنى الموجه إليه من أنصار بن جوريون (وعلى رأسهم ديان وبيريز) ، فذهب إلى الرجل العجوز ، يطلب منه العودة إلى الحكومة ، وتولى وزارة الدفاع بدلا من لافون ... وهكذا عاد بن جوريون محمولا على الأعناق إلى السلطة من جديد .

بقى العقيد بنيامين جيفلى فى منصبه لمدة أسبوعين بعد استقالة لافون ... إلى أن أقاله بن جوريون بنفسه ... إلا أن مستقبل جيفلى لم يتحطم ، كما تحطم مستقبل لافون .. ففيما بعد ، أصبح جيفلى قائد الجبهة الشمالية .. ثم قائد لواء فى سيناء أثناء حرب السويس ، فى عام ١٩٥٦ .. ثم تولى منصب الملحق العسكرى فى لندن واستوكهولم ... وعندما استقال من الخدمة ، أصبح رجل أعمال ، وتولى إدارة شركة البترول الإسرائيلية ، وأخيرا أصبح الرجل الثانى فى « مؤسسة الصادرات الإسرائيلية » !

كان شاريت يتمنى أن يقيل جيفلى بنفسه من المخابرات العسكرية .. لكنه لم

يستطع ... كذلك كان يتمنى التخلص من ديان .. إلا أنه لم يجرؤ وكتب فى يومياته : « إن الضرورة تقضى بعدم المساس به فى الوقت الحاضر » .. أى فى يناير ١٩٥٥ .

و « الضرورة » كانت تعنى خوف شاريت من انقلاب عنيف ، أُبلغ أن ديان ــ بدعم من بن جوريون ــ يمكن أن يقوم به ضده .. وكان « غرض ديان أن يتجنب بأى ثمن افتضاح أمره أمام لجنة التحقيق كواحد من المسئولين عن تلك القضية » ... وقد بقى شاريت على خوفه من لجوء ديان إلى العنف ، رغم أن معظم مقاتلى حزب الماباى ــ الذين اتصل بهم ديان ــ رفضوا فكرة اللجوء إلى العنف من أجل إجراء تغيير فى القيادة .

وفيما بعد ... لم تظهر أية معلومات مؤكدة عن هذا الانقلاب .. وإن ظهر أن ديان يشيع ذلك أحيانا حتى يرضخ رئيس الحكومة لطلباته ... كما حدث فى أواخر مايو ١٩٦٧ ، حين اختاره رئيس الوزراء ليفى اشكول ، ليصبح وزير الدفاع ، تحت ستار التهديد بانقلاب عسكرى .

وقبل أن أنسى .. لا بد أن أذكر أن مصدر هذه المعلومات كتاب ليفيا روكاخ عن « الإرهاب الإسرائيلى » .. وقد صدر باللغة العبرية ، ثم تُرجم إلى اللغة الإنجليزية .. ومؤلفته تركت إسرائيل وتقيم فى واشنطن ، وتعمل مع مركز الدراسات السياسية هناك .

ونحن معها فى أن شاريت كان أضعف من الموقف .. وأنه لم يتصرف كرئيس حكومة فى يده كل السلطات والصلاحيات ، وإنما كسكرتير لرئيس الحكومة الفعلى ، الذى كان يرعى الأغنام فى صحراء النقب ... بن جوريون !

وتقول ليفيا روكاخ :

« ربما كان بوسع شاريت تغيير تاريخ الشرق الأوسط لو لم يلزم الصمت تجاه تلك القضايا ...

« كان بإمكان شاريت التوجه صراحة ومباشرة إلى الرأى العام الإسرائيلي الذى كان مضطربا ومتأثرا إلى حد كبير بالأحداث التى جرت فى مصر ، من اعتقالات ، ومحاكمات ، وإعدامات ، كذلك لعبت الإشاعات المتناقضة ، والمناخ التآمرى المحيط بالقضية دورا فى تعميق ذلك الشعور بالاضطراب . لذا كان يتوقع من شاريت أن يخرج بالقضية إلى الرأى العام ، ويزيح عنها كل ما شابها من غموض وسرية بإعلان المسئولين عنها ، مع شجبه واستنكاره لكل ما جرى عارضا اقتناعاته الحقيقية ، وموقفه الصريح من أيديولوجيات إسرائيل الإرهابية وتوجهاتها ، داعيا إلى إيجاد البديل » .

« كان بوسعه أن يخلق لنفسه الظروف الملائمة لاستخدام سلطاته الرسمية ، والقيام بحملة تطهير واسعة فى الجهاز الأمنى » .

« لو قام شاريت بهذه المهمة ، لكان قد أحدث تأثيرا لا يستهان به ، ليس فى إسرائيل وحدها ، بل فى العالم العربى أيضا . وخاصة فى مصر » .

« إن سقوط لافون من جهة وزمرة بن جوريون إلى السلطة (وعلى رأسها ديان وبيريز) من جهة أخرى ، ربما كان سيشكل عائقا أمام عودة بن جوريون إلى السلطة ، وفى المدى البعيد كان سيمنع نشوب حرب سيناء — السويس » .

« ولا شك أن الأحداث كانت ستأخذ مجرى مختلفا منذ ذلك التاريخ » .

« ولكن ...

« الواقع أن رئيس الوزراء كان يفتقر إلى الشجاعة المطلوبة والمزاج الملائم لاتخاذ مثل هذا الموقف .. إضافة إلى أن آراءه المعتدلة جعلته يخشى دائما من الاتهامات التى يطلقها ضده المتطرفون .. وينعتونه فيها بالانهزامية » .

« وهكذا ...

« فضل الاختباء خلف ذرائع متعددة استخدمها لتبرير موقفه السلبى ، حتى أمام نفسه ، بينما كان يعلم أن إذعانه الموضوعى لقواعد اللعبة التى فرضها عليه خصومه

السياسيون ، سيجعل الشر الناجم عنها يرتد عليه فى نهاية المطاف » .

« كان يناقش الموضوع بصورة تعكس ألمه ، حين يقول إن إعلان الحقائق للرأى العام قد تكون له نتائج خطيرة بالنسبة للمتهمين الذين تجرى محاكمتهم فى القاهرة . أو أنه قد يؤدى إلى تشويه وتدمير صورة إسرائيل أمام العالم ، كما أنه قد يتسبب فى انشقاق فى حزب ماباى الذى يؤلف شاريت وبن جوريون ولافون عناصره القيادية » .

« وإذا ما حدث الانشقاق ، فلن يتمكن الحزب من الانتصار فى الانتخابات القادمة وإحراز الأغلبية المطلوبة » .

« وهكذا ...

« وقع شاريت فى نهاية الأمر ضحية المؤامرات التى حيكت حوله من قبل الزمرة المعارضة لسياسته فى الحكومة والجيش والحزب » .

انتهى النص الذى كتبته ليفيا روكاخ ، وترجمته إلى اللغة العربية دار ابن خلدون ــ بيروت ، ونشرته فى سنة ١٩٨٤ .

الدبلوماسى الأمريكى فى سفارة القاهرة (فى ذلك الوقت) لويس جونز ، سجل فى تقرير رسمى كتبه يوم ٨ فبراير ١٩٥٥ ، أن شاريت ليس قويا .. وفى التقرير نفسه علق لويس جونز على « أعمال إسرائيل الإرهابية فى مصر قائلا : إن شاريت لا يملك بالتأكيد زمام الأمور فى يده ، ما دامت هذه العمليات الجنونية تحدث بتلك البساطة » .

ولويس جونز كان متعاطفا مع إسرائيل ، وعلى صلة قوية بعدد من قادتها ، مثل ناحوم جولدمان ، وتيدى كولاك ، وإيجال آلون ... وموشى شاريت نفسه .. وأخطر ما قاله فى ذلك التقرير : إنه لا يجب على الحكومة الأمريكية أن تأخذ احتجاجات إسرائيل ضد الأحكام الصادرة على جواسيسها فى مصر ، مأخذ الجد ، فحتى لو صدرت أحكام بالإعدام فإنها لن تكون كارثة بالنسبة إلى إسرائيل ، لأنها

ستمكنها من جمع المزيد من التبرعات فى الولايات المتحدة !!

ولعل إحساس شاريت بالضعف والعجز ، هو الذى جعله يفرض رقابة صارمة على الصحافة والإذاعة والمطبوعات ، حتى لا يتناول أى شخص ما جرى فى مصر .. وما يجرى فى إسرائيل .. وقد بقيت هذه العملية من المحظورات أكثر من ست سنوات كاملة .. لا يجرؤ أي إسرائيلى على الاقتراب منها .. وعندما عاد بن جوريون إلى وزارة الدفاع ، تضاعف هذا التشدد .

وفيما بعد ...

وقعت حرب السويس فى سنة ١٩٥٦ .. ورغم أن إسرائيل أسرت عددا مناسبا من المصريين ، فإنها لم تطالب بمبادلتهم بجواسيسها المسجونين فى مصر .. على خلاف ما جرى العرف عليه .. ولأنها لا يمكن أن تكون قد نسيتهم ، فقد تعمدت أن لا تطالب بهم .. حتى لا تضع ــ بعودتهم إلى إسرائيل ــ ملحا على جرح الفضيحة الذى لم يكن قد اندمل ، رغم مرور حوالى العامين ، تقريبا .

إن وجود فرصة ذهبية لم تستغلها إسرائيل فى سحب جواسيسها من السجون المصرية ، يعنى أن الفضيحة السياسية المكتومة فى ذلك الوقت كانت أكبر من أى اعتبار آخر ... مهما كان هذا الاعتبار .

وكان لا بد من فرصة أخرى ... بعد سنوات أبعد ، لكى تجد الحكومة الإسرائيلية أن من الممكن المطالبة باستعادة جواسيسها .. وكانت هذه الفرصة بعد ١٤ سنة .. فى سنة ١٩٦٨ ، عند مبادلة الأسرى بين مصر وإسرائيل ، بعد حرب يونيو ــ ١٩٦٧ .. وكان قد خرج بعضهم من السجن فعلا ، وسافر إلى أوروبا ومنها إلى إسرائيل ، بعد انقضاء مدة العقوبة ، مثل ماير يوسف زعفران ، وماير صمويل ميوحاس .. وكان هناك من هو على وشك الإفراج عنه بعد عدة شهور ، مثل فيكتورين نينو ، وروبير داسا .

وحسب وصف ديفيد هيرست (البندقية وغصن الزيتون) فإن الجواسيس استقبلوا « استقبال الأبطال » فى إسرائيل .

وفى حفل زفاف مارسيل نينو ، حضرت رئيسة الوزراء جولدا مائير ، وحضر وزير الدفاع موشى ديان ، ورئيس الأركان حاييم بارليف .. وقال ديان للعروس : « لقد حققت حرب الأيام الستة نجاحا كافيا إذ أدت إلى إطلاق سراحك » .

وحتى يكون كلامهم جريمة عسكرية ، يعاقب عليها القانون بالحبس ، فقد أصبح الجواسيس ضباطا فى الجيش .. يخضعون للأوامر والتعليمات ، ولا يقدرون على الكلام بدون استئذان ... وهذا يعنى أن الفضيحة كانت لا تزال مؤثرة على الحياة السياسية فى إسرائيل ، حتى نهاية الستينات !

وبعد سنوات أخرى ... فى منتصف السبعينات .. أى بعد حوالى ٢٠ سنة ، أصبح للجواسيس الحق لأول مرة فى الكلام .. وظهرت مارسيل نينو ، وروبير داسا ، ويوسف زعفران ، على شاشة التليفزيون ، وهاجموا الحكومات الإسرائيلية التى لم تبذل جهدا كبيرا من أجل إطلاق سراحهم ! .

وقال روبير داسا :

« ربما .. لم تكن لديهم رغبة فى عودتنا .. لقد كان هناك قدر من الدسائس فى إسرائيل .. لقد كنا أداة فى يد المصريين وغيرهم ، والأمر المؤلم بعد كل ما عايناه هو أن هذا الوضع مازال مستمرا » .

وقالت مارسيل نينو :

« إن الحكومة لم تشأ إفساد علاقاتها مع الولايات المتحدة ، ولم تشأ أن تحرج نفسها بالاعتراف بأنها كانت وراء الأعمال التى قمنا بها » !

أى ... كان جزاؤهم ، جزاء سنمار !

□ ١٣ □

إجهاض السلام !

فى أواخر عام ١٩٥٤ ... كان إفرى إلعاد فى تل أبيب ، يدلى بشهادته أمام لجنة « أولشان — دورى » ، عندما قابل مصادفة ديفيد شلتيئل ، القائد السابق لقطاع القدس فى حرب — ١٩٤٨ ، وفوجىء به يقول :

« بسببك ... ياإفرى ، لن يوجد سلام فى المنطقة » !

والعبارة غامضة .. تثير الدهشة والاستغراب .. ويصعب فهمها من الوهلة الأولى ... فما علاقة جاسوس مثل إفرى إلعاد بمشكلة السلام فى الشرق الأوسط ؟ .. ما علاقة الجاسوس الذى أمر بحرق أماكن فى القاهرة والإسكندرية ، بحرق فرص سلام غير معروفة بين العرب وإسرائيل ؟

إن الهدف المعلن ، والمعروف من وراء عملية سوزانا — وهو حرق الجسور بين مصر والغرب — لم يتحقق ، كما ألمحنا من قبل .. فاتفاقية الجلاء بين مصر وبريطانيا ، وُقعت بالأحرف الأولى ، بعد أيام قليلة من كشف العملية .. وقبل أن تبدأ المحاكمة ، كان التوقيع النهائى (الرسمى) قد تم .. وأصبح الانسحاب البريطانى من قاعدة قناة السويس أمرا لا مفر منه .. أصبح مسألة وقت .. ورغم أن العلاقات المتينة ، والحميمة بين جمال عبد الناصر والولايات المتحدة الأمريكية ، قد انهارت فيما بعد ، فإن السبب كان صفقة الأسلحة الروسية (التشيكية) ، لا قنابل إسرائيل الخارقة .

لكن ...

هناك من يؤكد أن ما خفى كان أعظم !

والمعنى .. أن عملية سوزانا لها أهداف أخرى سرية .. مستورة .. غير معلنة .. تتجاوز تعطيل اتفاقية الجلاء ، وإفساد العلاقة بين القاهرة وواشنطن .. وأن هذه الأهداف قد تحققت !

مثلا ... هناك تشابه فى الأسلوب والهدف بين ما فعله جواسيس إسرائيل فى القاهرة والإسكندرية ، وما فعله جواسيسها فى بغداد .. أى إشعال الحرائق لإجبار اليهود على الرحيل إلى إسرائيل .. والحقيقة أن فضيحة سوزانا ، أو لافون ، قد خلقت اقتناعا عند المصريين ، بأنه لا فرق بين اليهود والصهاينة .. وأن اليهودى لا يتوب عن أسلوبه ، مهما عُومل باحترام .. فالأفعى يمكن أن تختبىء بين الأزهار .. ولا تتردد فى لدغ من يمنحها الدفء .. وقد تحول هذا الاقتناع إلى قرار رسمى ، فيما بعد .. بعد حملة إسرائيل (حملة قادش) على سيناء فى سنة ١٩٥٦ .. فأمرت الحكومة المصرية اليهود بمغادرة البلاد ... وكان أن رحل ٢٥ ألفا منهم فى فترة وجيزة .. ثم طُرد المزيد بعد ذلك .. على أن « عددا ضئيلا فقط منهم هو الذى توجه إلى إسرائيل » ، بشهادة ديفيد هيرست فى (كتاب البندقية وغصن الزيتون) .

أما أهم الأهداف المستترة التى تحققت ، فكانت تحطيم جسور التفاهم ، التى حاول موشى شاريت أن يمدها بينه وبين جمال عبد الناصر .. وقد كان تحطيم هذه الجسور يعنى ، تحطيم موشى شاريت نفسه ، والقضاء على تيار المعتدلين فى إسرائيل لمدة طويلة .. وبالتالى ، سيطرة أنصار التطرف والعدوان ، الذين دبروا مؤامرة السويس ، وأبقوا على حالة الحرب والتوتر أكثر من ٢٠ سنة بعد ذلك .

ولو كان موشى شاريت معتدلا ، فلا يعنى ذلك أنه كان ضد إسرائيل .. أبدا .. وإنما كان يعنى أنه يريد لإسرائيل بالتفاوض ما لا يمكن لها بالقتال .. ولا جدال فى أن طبيعته اللينة ، كانت السبب .. وظروفه التاريخية أيضا .. فقد أمضى طفولته فى قرية عرَبية ، وتعلم اللغة العربية من أهلها ، وعرف عنهم الكثير من الخصال الحسنة التى اعترف بها ، وأنكرها غيره .. مثل الكبرياء ، ورقة الإحساس ، وغفران الإساءة .. لذلك .. كان يرى أن اليهود أخذوا الأرض بالقوة ، وعليهم أن يكسبوا الباقى بالسلام .. الاعتراف ، والتجارة ، والمرور فى قناة السويس .

وحسب ما جاء فى يومياته ، فإن من المؤكد أن المؤسسة العسكرية الإسرائيلية « لم تكن تعتقد فى وجود تهديد عربى لأمن إسرائيل . بل على العكس من ذلك .. لقد عملت بكل الوسائل الممكنة على تفاقم أزمة الأنظمة العربية بعد حرب ١٩٤٨ ،

فى الوقت الذى كانت فيه الحكومات العربية غارقة فى التردد مما جعلها تتجنب أى مجابهة عسكرية مع إسرائيل .. فى المقابل وحرصا من هذه الأنظمة على استمرارها لجأت إلى إظهار نوع من ردود الفعل تجاه سياسات إسرائيل العدوانية » .

بمعنى آخر ... « كانت التهديدات العربية أسطورة اخترعتها إسرائيل لأسباب داخلية فى إسرائيل ، وفى البلاد العربية أيضا » !

لذلك ... سعت المؤسسة العسكرية الإسرائيلية إلى جر الدول العربية إلى مواجهة عسكرية ، كانت على ثقة من إحراز النصر فيها .. « وكان الغرض من تلك المواجهة تصحيح ميزان القوى فى المنطقة ليصبح كليا فى صالح إسرائيل ، ولجعل الدولة الصهيونية القوة الرئيسية فى الشرق الأوسط » .

كان صاحب هذه الاستراتيجية ، ومؤيدها ، والمدافع عنها إلى حد الانتحار ، ديفيد بن جوريون ، رئيس الوزراء ووزير الدفاع فى أول حكومة أُعلنت فى سنة ١٩٤٨ .

وكان موشى شاريت لا يوافق عليها .. ويرى أن الدبلوماسية تحقق لإسرائيل أكثر مما يحققه الإرهاب .. أى أن « النشل » و « خفة اليد » أفضل من السرقة والقتل مع سبق الإصرار والترصد .

وقد كان أسلوب بن جوريون يوافق طبيعته .. فهو إرهابى .. متطرف .. لم يتعلم .. يكره الفن والأدب .. تزعجه الموسيقى .. والوصف لصديقه الحميم ناحوم جولدمان ، الذى يضيف : أنه أيضا ديكتاتورى .. متسلط .. لم يسلم منه أى شخص حاول أن يعارضه .. ولا يتردد فى فضح أقرب الناس إليه والتشهير بهم إذا لزم الأمر .

وكان يعتقد أنه لو دُفن فى إسرائيل ، فإن ابنه عاموس قد لا يُدفن فيها .. لأنه عندما يموت قد لا تكون هناك دولة اسمها إسرائيل .

لذلك .. كان يرى أن إسرائيل تعنى القوة .. والضعف يعنى نهايتها .. وأن ما

أخذ من العرب بالقوة لا يمكن الحفاظ عليه إلا بمزيد من القوة .. وأن الحفاظ على الأرض بمزيد من الأرض .. والإبقاء على الدولة بدفع حدودها دائما إلى الأمام .. أى بالتوسع والاغتصاب .. وأن السلام أخطر من السلاح .. وتصرفات موشى شاريت أخطر من تصريحات جمال عبد الناصر .

ويعتقد موشى شاريت أن صراعه مع بن جوريون الذى نجم عن خلافهما فى الأسلوب لا فى الهدف ، يرجع ٢٥ سنة إلى الوراء قبل إعلان الدولة ، ومنذ « صعود الحركة الصهيونية » .. فقد كان بن جوريون يشك فيه ، ويعتقد أن ولاءه « كان مكرسا لحايم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية » الذى كان لا يصر على الصدام المسلح ، إلا إذا فرضته الظروف .

وقد اتهم بن جوريون — فى سنة ١٩٤٠ — موشى شاريت بالتعاون مع وايزمان بالتفاوض مع العرب ، وتوقيع اتفاقية مع بعض حكامهم ، تقوم فيها الولايات المتحدة بدور الوسيط .. و « كان هذا مجرد اتهام لا أساس له من الصحة بالنسبة لشاريت ، الذى كان يسعى فى الواقع لإحباط مثل هذه المفاوضات » .

وفى كتاب « التناقض اليهودى » ، يقول ناحوم جولدمان إن شاريت كان يبدو متورطا أيضا فى مفاوضات معه عام ٤٧ — ١٩٤٨ بهدف إيجاد حل سياسى لمسألة الوجود الصهيونى فى فلسطين ، وخلق دولة كونفدرالية فى الشرق الأوسط ، تتضمن كيانا صهيونيا .. وكان النقراشى باشا وزير الخارجية المصرى هو المفاوض المرشح عن الجانب العربى ، كما لعب وزير الخارجية الأمريكى جورج مارشال دور الوسيط !

وتضيف ليفيا روكاخ : أنه « كان من المنتظر أن تمنع تلك المفاوضات نشوب الحرب العربية الإسرائيلية الأولى ، على أن يتم تأجيل الموعد المحدد لإعلان دولة إسرائيل لبضعة أسابيع . لكن بن جوريون رفض التأجيل ، وعارض المفاوضات ، واتهم شاريت بأنه « ضد إنشاء الدولة » .. لكن شاريت أنكر هذه التهمة بكل قوة » !

على أن شاريت لم يتراجع عن اعتقاده فى ضرورة الاتصال بمصر والتفاوض معها بعد أن تولى وزارة الخارجية ... وهكذا سعى رجاله فى سفارات إسرائيل فى أوروبا إلى الاتصال بالدبلوماسيين المصريين ، لتوصيل رغبته إلى جمال عبد الناصر ، فى قبول التفاوض من أجل توقيع اتفاقية سلام بين مصر وإسرائيل .. لكن .. جمال عبد الناصر أمر بتجاهل هذه المحاولات .

فكان أن سعى شاريت إلى اللجوء إلى طرف ثالث ليقوم بالوساطة .. وكان من الطبيعى أن تكون الولايات المتحدة هذا الطرف .. الوسيط !

واستجابت الولايات المتحدة ، على الفور .. وراحت تضغط على جمال عبد الناصر « للقبول بالتفاوض من أجل التوصل إلى نوع من الاتفاق مع حكومة شاريت » .. وقد سعت الولايات المتحدة إلى هذه المحاولة بعد محاولة أخرى ، جرت لكى يلتقى جمال عبد الناصر وبن جوريون .. وكان على كيرميت روزفلت (مسئول الشرق الأوسط فى المخابرات المركزية) إقناع جمال عبد الناصر ، وكان على جيمس انجلتون (مسئول مكافحة التجسس فى المخابرات المركزية) إقناع بن جوريون .. لكن .. المحاولة فشلت بسبب تشدد الطرفين .

إن جمال عبد الناصر كان يضع انسحاب بريطانيا على قمة اهتماماته السياسية فى ذلك الوقت ... لذلك رفض المحاولة .. أما بن جوريون .. فقد رفض المحاولة ، لأنه كان يرى أن الزمن فى صالح إسرائيل حيث ستزداد الهوة الثقافية بينها وبين العرب ، ولأنه كان يرى أن الجيل العربى الذى قاسى الهزيمة فى سنة ١٩٤٨ ، لا يمكن — لأسباب نفسية — أن يقبل الصلح مع إسرائيل .. وكان — على حد قول ناحوم جولدمان — يزعم أن الجيل التالى ربما ينسى الهزيمة ومعها أيضا الذل والخزى ، فيقبل الصلح مع إسرائيل .

لكن ... مبررات بن جوريون لم تكن مقنعة للولايات المتحدة ، فسعت إلى الضغط على إسرائيل بتخفيض المعونات ، وميزانية الأمن المتبادل ، وحرمان تبرعات اليهود من الإعفاء الضريبى ... فأحس بن جوريون بأنه فى مأزق .. وأحس شاريت بأن فرصته أفضل الآن لإقناع العرب بالتفاوض .. وعندما ضاق حصار حزب العمل

(ماباى) على بن جوريون ، قرر أن ينسحب مؤقتا — كنوع من التكتيك السياسي — وذهب — فى أكتوبر ١٩٥٣ — إلى مستوطنة سدى بوكر فى النقب ، بعد أن أعلن أن اعتزاله كان بدافع « الحاجة إلى ممارسة النشاط الروحى ».. وقال : إنه فى الصحراء (مثل الأنبياء) يمكنه أن يتأمل ما فات ، ويفكر فيما آت .

وقد ترك بن جوريون رئاسة الحكومة إلى موشى شاريت .. لكنه .. ترك المؤسسة العسكرية فى يد رجال كانوا تابعين له ، مؤمنين بأفكاره .. ديان .. بيريز .. ولافون .. وحسب ما رواه ديان فى مذكراته .. لم يكن شاريت قويا إلى حد السيطرة على وزارة الدفاع .. لذلك .. كانت سيطرة بن جوريون واضحة عليها ، رغم أنه كان بعيدا .. بعيدا ، يرعى الأغنام ، ويزرع الطماطم .

فقد سعى وزير الدفاع بنحاس لافون لتنفيذ سياسة بن جوريون الإرهابية ، وراح يقوم بغارات الحدود الانتقامية ، ولم يكن يعترف بموشى شاريت كرئيس للوزراء ، وكان لا يرى فيه سوى وزارة الخارجية .. وكان يرفض أن يتدخل فى شئون الدفاع ، ولم يكن يحيطه علما بعمليات الجيش على الحدود .. وحينما كان ينقل إليه شيئا عما حدث ، كان كلامه غير دقيق .. وعلى حد قول ديان فى مذكراته .. كان شاريت يشكو من أنه لا يعلم بالعمليات العسكرية غالبا إلا حينما يقرأ عنها فى الصحف .

أى أن بن جوريون ترك شاريت ولافون يتصارعان ، ليستفيد من سقوط أحدهما .. أو كليهما معا .

ورغم ذلك ، حاول شاريت أن يمد أسلاكا رفيعة تحت الأرض للاتصال بجمال عبد الناصر ، طالبا منه التفاهم ، والتفاوض .

وقد بدأ « انفتاحه نحو السلام » ، من خلال النائبين العماليين البريطانيين ريتشارد كروسمان ، وموريس أورباخ ، وقد حمل الأخير أول مشروع سلام وضعه شاريت إلى جمال عبد الناصر ، وكان مكونا من سبعة بنود ، تنتهى برغبته فى توقيع اتفاقية سلام دائم مع العرب ، وإقامة حدود دائمة لإسرائيل .

وحتى يستند شاريت على الكنيست ، طلب منه تفويضا رسميا لمواصلة مساعيه المبذولة نحو السلام ، وبالفعل حصل على التفويض !

وفى يومياته يسجل شاريت :

« إن كرميت روزفلت الابن ، أحد رجال المخابرات المركزية الأمريكية كان يعمل بنشاط فى اتجاه إيجاد اتصالات مباشرة بيننا وبين مصر ، وإننى سوف أعين إيجال يادين ممثلا شخصيا لى فى تلك المفاوضات » .

ويسجل :

« التقيت بروجر بولدوين ، مبعوث المنظمة الأمريكية لحقوق الإنسان ، الذى كان يزور القاهرة . يقول بولدوين إن عبد الناصر حدثه عن إسرائيل حين التقى به ، قائلا إنه ليس واحدا من أولئك الداعين إلى إلقاء إسرائيل فى البحر ... » .

« وردت برقية من أبا إيبان يقول فيها إن الولايات المتحدة مستعدة لتوقيع اتفاقية أمنية معنا بشرط أن نؤكد التزامنا بعدم توسيع حدودنا عن طريق القوة » .

وحسب ما قاله ستيفن جرين فى كتابه « الانحياز » ، فإن لافون وديان كانا يعتبران محاولات شاريت للتفاوض من أجل السلام ، ليست أعمالا صبيانية فحسب ، وإنما أعمال طائشة وخطرة أيضا .. حيث « إنها ستجعل كل من الولايات المتحدة والأمم المتحدة ، تتدخل فى شئون إسرائيل ، وتمارس ضغطا عليها » .

وقد سعيا إلى تدمير هذه المحاولات باعتداءات الحدود ... ثم .. كان أن تصرف ديان وبيريز وجيفلى بمفردهم فى فضيحة سوزانا .. التى ذهب لافون ضحيتها (لأسباب سنعرفها فيما بعد) .. وأضعفت موقف شاريت ، وأعادت بن جوريون ــ محمولا على الأعناق ــ إلى وزارة الدفاع .. ثم ما لبث أن أصبح وزيرا للدفاع ، ورئيسا للوزراء بعد أول انتخابات عامة ، وكان أن عاد شاريت إلى ما كان عليه .. وزيرا للخارجية .

لم تكن عودة بن جوريون ، عودة شخص ، بقدر ما كانت عودة اتجاه يرفض

التفاوض ، ويؤمن بالإرهاب ، ويسعى إلى الصدام .

وفي يومياته ، قال شاريت : إن هذه العودة « بداية صفحة جديدة من المتاعب » !

لقد عاد بن جوريون إلى وزارة الدفاع فى ١٧ فبراير ١٩٥٥ ، بعد أيام قليلة من تنفيذ الأحكام على شبكة التجسس الإسرائيلية فى مصر .. وكان واضحا أنه فى شوق إلى الخراب والدماء بعد فترة اعتزال لم تزد على ٤ شهور فقط.. فسعى إلى الإغارة على غزة فى الشهر نفسه .. تلك الغارة الشهيرة التى أنهت أى احتمال للتفاهم بين مصر وإسرائيل .. وكانت بداية العد التنازلى للحرب .

وحسب يوميات شاريت ، جرت الأمور على النحو التالى :

١ ـــ « وصل بن جوريون يرافقه رئيس الأركان الذى كان يحمل عددا من الخرائط .. أدركت على الفور الموضوع الذى سيكون مدار بحثنا » .

« اقترح رئيس الأركان أن نقوم بضرب قاعدة عسكرية مصرية ، تقع على مدخل مدينة غزة .. كان تقديره للخسائر المتوقعة لدى العدو حوالى عشرة قتلى مع توقع حدوث بعض الإصابات فى صفوفنا .. أصر بن جوريون على إيضاح أن هدفنا من العملية ليس قتل الجنود ، بقدر ما هو تدمير المنشآت .. وفى حال فرار جنود العدو بفعل الهجوم المفاجىء ، قد يقل عدد الإصابات ولن تكون هناك حاجة لإراقة الدماء » .

شاريت ـــ ٢٧ فبراير ١٩٥٥

٢ ـــ « إن ماصدمنى فى الواقع هو ارتفاع عدد الضحايا المصريين إلى ٣٩ قتيلا و٣٠ جريحا ، من بينهم طفل فى السابعة من عمره » .

إن هذه العملية مرشحة لإحداث مضاعفات سياسية وعسكرية خطيرة ..

« إننا نفعل الشىء نفسه اضرب ، واهرب ، وحاول بعد ذلك أن تخدع العالم كله » !

« وجهت تعليماتى إلى السفارات للعمل على إدانة مصر وإظهارنا بمظهر الضحية لا المعتدى » !

« سيتولد الآن انطباع عام بأننا فى الوقت الذى نشكو فيه من عزلتنا ، ومن المخاطر التى يتعرض لها أمننا ، نلجأ إلى العدوان ، فنظهر فى صورة المتعطشين والمتشوقين لارتكاب المجازر . »

شاريت ـــ ١ مارس ١٩٥٥

٣ ـــ « حدث نقاش البارحة بين صلاح جوهر ، كبير ممثلى الجانب المصرى فى لجنة الهدنة المشتركة ، وجوزيف تكوا .. صرح المندوب المصرى لتكوا فور اجتماعهما الذى تم أعقاب عملية غزة أن جمال عبد الناصر أبلغه أن الفرصة كانت سانحة لدفع الأمور فى اتجاه إيجابى لولا الهجوم الذى وقع على غزة ، وبالطبع فإن الفرصة قد ضاعت الآن » .

شاريت ـــ ١٢ مارس ١٩٥٥

٤ ـــ « التقى موشى ديان بسفراء إسرائيل لدى واشنطن وباريس ولندن ... »

« والنتائج التى يمكن استخلاصها من كلام ديان إليهم ، هى فى غاية الوضوح : هذه الدولة ليس لديها أية التزامات تقلقها على المستوى الدولى ، كما أنها لا تلقى بالا للمشاكل الاقتصادية ، أما مسألة الأمن فهى غير موجودة أساسا .. عليها إذن أن تبنى حساباتها كما يحلو لها ، وبكل ضيق أفق .. عليها أن تعيش على حد السيف ، لأنها ترى أن هذا الحد القاطع هو الأداة الرئيسية ، إن لم تكن الوحيدة التى تحافظ بها على الروح المعنوية العالية لدى مواطنيها ، كما تحافظ بها على المستوى المطلوب من التوتر » .

« من الممكن ، بل من الواجب أن نختلق الأخطار من أجل الوصول إلى هذه الغاية .. وهكذا على إسرائيل أن تلجأ إلى أسلوب الاستفزاز ، ومن ثم الانتقام ! »

« قبل كل شيء علينا أن نأمل فى نشوب حرب عربية ـــ اسرائيلية ، كى نتخلص نهائيا من متاعبنا ، ونحتل المكانة التى نستحقها » .

« كانت هذه زلة لسان من ديان » .

« وقد اعترف ديفيد بن جوريون نفسه بأن العرب يستحقون أن ندفع إليهم ملايين الليرات لو أنهم — فقط — يبدأون الحرب الآن ! » .

شاريت — ٢٦ مايو ١٩٥٥

٥ — « لقد عبرت عن شكوكي بصدد الموضوع الذى تبالغ إسرائيل فى تضخيمه ، وهو قوة مصر العسكرية ، نظرا إلى أن كل طاقات الجيش المصرى قد استنفدت هذا العام فى صراعات داخلية » .

« لقد أبعد أكثر من ٥٠٠ من خيرة الضباط المصريين فى القوات المسلحة عن الجيش بعد استلام ناصر السلطة ، ونقلوا إلى مراكز إدارية وسياسية مختلفة » .

شاريت — ٣٠ مارس ١٩٥٥

٦ — « اليوم أعلن بن جوريون فى الاجتماع الوزارى أن عبد الناصر هو أخطر أعداء إسرائيل على الإطلاق ، وهو يخطط لتدميرها .. لست أدرى من أين جاء بن جوريون بتلك الثقة فيما أعلنه وبكل حزم ، كما لو كان مبنيا على حقائق وطيدة يعتمد عليها ! » .

شاريت — ٢٤ أبريل ١٩٥٥

وبينما كانت طبول الحرب تدق فى إسرائيل ، كانت الولايات المتحدة ترفض الموافقة على تسليح الجيش المصرى .. وكان أن سعت مصر إلى السوفييت ، وحصلت منهم على السلاح المناسب .. وأحس بن جوريون أن الوقت قد حان للإجهاز على ما تبقى من شاريت .. فأعلن فى خطاب عام انتقاده لسياسة شاريت « الهادفة إلى إرضاء الجميع باستثناء اليهود ... والتى ستؤدى فى نهاية المطاف إلى تدمير الدولة اليهودية » .. « وأعلن بن جوريون فى خطابه هذا أن مهمة وزير الخارجية ستقتصر منذ الآن فصاعدا على شرح وتوضيح السياسة الأمنية لوزارة الدفاع أمام العالم » .

وهكذا ... انضم شاريت إلى ضحايا عملية سوزانا .

احترق — هو ومبادراته السلمية — فى أتون بن جوريون ، الذى اتضح بما لايدع مجالا للشك أنه كان على علم بعملية سوزانا ، وهو فى سدى بوكر ، كما أشارت الوثائق الأمريكية التى حصل عليها ، ونشرها ستيفن جرين .

إن إحدى هذه الوثائق ، خاصة بوكالة المخابرات المركزية ، وتحمل رقم ١٩٧٩ — ٣٥٢ — أ ، ومحفوظة فى أرشيف الوكالة تحت رقم ١٧٧ — ٧٧ — إن . ل . ك ، وصادرة فى تاريخ ٨ فبراير ١٩٦١ ، وموقعة من مدير الوكالة آلن ولش دالاس .. (راجع الملحق) .

وفى هذه الوثيقة : « أن الصلة الوحيدة التى أقامتها إسرائيل بمصر تمت بفعل دبلوماسية شاريت الهادئة والبارعة (ثم فراغ فى الأصل بسبب عدم سماح المخابرات المركزية بنشر هذا الجزء) .. وقد كان شاريت يعطى هذا الاتصال ، الذى كان يأمل بواسطته أن يتم التفاوض فى شأن سلام دائم بين العرب واليهود ، أهمية كبرى .. وأصيب عبد الناصر بفقدان الثقة ، إذ كان يعتقد أن فريق لافون قد استُعمل لخداعه ، فأمر بإيقاف جميع الاتصالات بالإسرائيليين مما أوجد شعورا بالمرارة لدى الطرفين ...

« ونتيجة لما توصلت إليه لجنة إولشان — دورى من استنتاجات لم تنشر ، فقد طلب شاريت من لافون وجيفلى أن يستقيلا من منصبهما لأنهما حطما مفاوضاته السلمية » !

ويضيف جرين :

« وبعد محاكمات فريق لافون ، شن عبد الناصر عددا من الهجمات المسلحة داخل إسرائيل ، مما أدى إلى غارة الجيش الإسرائيلى على غزة فى ٢٨ فبراير ١٩٥٥ وهذه الإهانة للجيش المصرى أدت بدورها إلى أن يطلب عبد الناصر من الروس الأسلحة الهجومية التى أصر جيشه عليها والتى لم تكن إدارة ايزنهاور راغبة فى إعطائه إياها .. وكما يقول أحد المؤرخين : « بعد الغارة على غزة بدأ العد التنازلى .. نحو الحرب » .. ومضت ثمانية أشهر أخرى قبل أن يحل بن جوريون رسميا محل

شاريت رئيسا للوزراء .. لكن عملية لافون وضعت حدا فعليا لمفاوضات دبلوماسية ، استمرت فترة وجيزة للغاية ، وأخذت طابعا خفيا .

« وهكذا ...

« فقد نجحت المؤامرة ضد السلام » !

ولم يشهد الشرق الأوسط — فى عام لافون — معاهدة سلام ، ولا حتى تفاوض من أجل السلام .. « فليس المهم إذا وجود ذلك العدد الكبير من البشر من الذين كانوا — كما يبدو — يريدون السلام .. وليس المهم وجود وساطات متعددة بين الطرفين » .. ولكن . المهم .. أن تلك الفترة .. أصبحت « فى المقابل الفترة التى جعلت الحرب الكبرى قادمة — لا محال — إلى الشرق الأوسط » .. وهكذا .. جاءت حرب السويس — ١٩٥٦ !!

□ ١٤ □

سـلاح الاستقالـة !

كانت حماقة « سوزانا » الإسرائيلية ، مثل قنبلة انفجرت فى مستودع قنابل ... ما أن انفجرت حتى توالت الانفجارات .. وفى النهاية كانت الخسائر أكثر مما كان متوقعا .

ولعل السبب ، هو أن الحرائق التى انطفأت بعد ساعات فى مصر ظلت مشتعلة فى إسرائيل لسنوات .. حوالى ١٠ سنوات .

لقد ذهب موشى شاريت وجاء ديفيد بن جوريون .. ترك موشى شاريت رئاسة الوزارة ، ليصبح وزيرا للخارجية ، ثم ترك هذا المنصب لتتولاه جولدا مائير ، ودخل « المخزن » .. مكتفيا بموقع شرفى فى سكرتارية حزب ماباى .. وضُم موشى ديان إلى الحكومة ، وأصبح وزيرا للزراعة .. وذلك لكى يستكمل لياقته العسكرية .. فالأمن والزراعة ــ فى مفهوم بن جوريون ــ وجهان لعملة واحدة ، اسمها التوسع .

أما لافون ، فقد ترك وزارة الدفاع ، ليصبح سكرتيرا لاتحاد نقابات العمال (الهستدروت) .. ورغم أن المنصب له وزنه السياسى ، والجماهيرى ، والحزبى ، فى إسرائيل ، فإن لافون لم يتخلص من إحساس الإهانة الذى أصابه بعد أن أُجبر على الاستقالة من وزارة الدفاع .. وظل لمدة ٦ سنوات كاملة ، يشعر بأن مستقبله السياسى يتوقف على تبرئته من تهمة لم يرتكبها ، لطخت ــ بصورة واضحة ــ سمعته الشخصية .

ولا جدال ... أن لافون من أذكى وأقوى وأخطر زعماء إسرائيل .. كما أنه صهيونى متطرف .. من جيل « الحرس القديم » .. وعضو قيادى فى حزب ماباى الذى يتزعمه بن جوريون .. وعلى حد وصف جولدا مائير ، هو « شخصية ذكية

معقدة ، كان حمامة وديعة ، ثم تحول إلى صقر كاسر شرير عندما تسلم مهام وزارة الدفاع .. كذلك فإنه كان منافسا لبن جوريون فى معاداة العرب ، والرغبة فى الاغتصاب ، والإرهاب ووضع المنطقة على حافة الهاوية » .. وكل هذه المواصفات رشحته لأن يخلف بن جوريون ، ويسعى إلى أن يصبح رئيس الحكومة من بعده .

وحتى يستكمل لافون شروط الخلافة ، حاول أن يسحب بساط المؤسسة العسكرية من تحت بن جوريون ، منتهزا فرصة غيابه فى صحراء النقب ، لكنه لم يستطع لوجود « تلاميذ » بن جوريون المخلصين .. ديان وبيريز ، وجيفلى ، الذين صارحوه بأنهم لا يحبذون وجوده فى وزارة الدفاع ، ولا يثقون به ... وكان أن غضب لافون وقال : إنه لن يعيش فى ظل بن جوريون .. ويجب أن تُنفذ أوامره بحذافيرها .

.. وهكذا ... بدأ الصراع بين لافون وبن جوريون .

ولأن بن جوريون كان يعرف خطورة لافون ، وقدراته ، وعناده ، فإنه لم يتردد فى توريطه فى عملية « سوزانا » الفاشلة ، التى تمت بمعرفته ، وهو فى صحراء النقب .. فكان أن تخلص من مسئولية فشل العملية ، ومن منافسه القوى ، بضربة واحدة .

ولأن لافون كان مصرا على مواصلة مشواره السياسى ، فإنه لم ينس ما جرى له ، وظل لمدة ٦ سنوات يفتش عن أدلة جديدة ، تؤكد براءته .

فى يوم ٢٨ أغسطس ١٩٦٠ ، أراد بن جوريون أن يجهز على ما تبقى من مقاومة لافون ، فأصدر قرارا إلى رئيس الأركان بتعيين لجنة قضائية برئاسة حاييم كوهين ، قاضى قضاة إسرائيل للتحقيق فيما جرى فى صيف ١٩٥٤ ، وكان على ما يبدو متأكدا من أن اللجنة ستدين بشكل دامغ لافون هذه المرة ، على خلاف إدانة لجنة « أولشان ــ دورى » التى كانت إدانتها غير حاسمة .

فى ذلك الوقت كان لافون فى سويسرا ، يقضى إجازة طويلة استمرت ١٠ أسابيع ، عندما عرف بقرار بن جوريون .. قطع إجازته فى ٢١ سبتمبر ، وعاد

على الفور إلى إسرائيل ، مصمما على خوض معركته حتى النهاية ضد بن جوريون ، الذى يصر على تبرئة نفسه من نكبة الأمن التى وقعت وإلقاء التبعة عليه .

بعد ٥ أيام توجه لافون إلى رئاسة الوزراء ، وقابل بن جوريون ، واحتج لديه بشدة على تشكيل لجنة « كوهين » بدون استشارته ، بوصفه وزيرا للدفاع فى فترة الفضيحة ، وطالبه بإصدار بيان « علنى » يبرئه فيه من مسئولية « الفضيحة » .. لكن .. بن جوريون رفض .. فتحول الحوار بينهما إلى خلاف .. ثم لم يلبث الخلاف أن تحول إلى عداء واضح ومعلن .. وكان أن تبادلا الاتهامات .. وقذائف السب العلنى .

قال لافون :

ـ إن بن جوريون ديكتاتور .. متسلط .. ضيق الأفق .. يكره العدالة ويحتقرها .

وقال بن جوريون :

ـ إن لافون شخص كاذب ، عديم الأخلاق .

وفى وقت لاحق أضاف بن جوريون :

ـ إن لافون لا يتردد فى سبيل مصلحته الشخصية أن يهدم الدولة اليهودية !

فى أول أكتوبر ، نجح لافون ـ بعد مجهود كبير ـ فى الوقوف أمام لجنة « الشئون الخارجية والأمن » فى الكنيست ، ليدافع عن نفسه ، فكان مما قاله :

« إن القضية ليست قضية شخصية وإنما هى قضية عامة تتعلق بالأمن والسلامة .

ويكفينى فى هذا الصدد أن أكشف للجنة عن سر صغير ، ظلت تفاصيله غامضة طوال السنوات الماضية .. لقد قيل فى سنة ١٩٥٥ إن لافون استقال ، ولكن الحقيقة تغاير هذا تماما ، فلافون لم يستقل مختارا ، بل أجبر على الاستقالة تحت تهديد الجيش الذى احتل دار وزارة الدفاع وأجبرنى على كتابة استقالتى ، وكانت هذه الاستقالة خاتمة المؤامرة التى اشترك فى إعدادها وتنفيذها شيمون بيريز ، وموشى ديان » !

كان وجود لافون فى اللجنة ، بمثابة أول شعاع ضوء يتسلل إلى سرداب الفضيحة المظلم .. وعرف الإسرائيليون ــ بواسطة الصحافة التى شمت خبرا عما قاله وزير الدفاع السابق ــ لأول مرة أن ما جرى فى مصر ليس كما صُور لهم طوال هذه السنوات .. وخشى بن جوريون من أن تصبح المسألة فى متناول الرأى العام ، فمارس ضغوطا هائلة ، لتحويل القضية من لجنة الكنيست إلى لجنة وزارية خاصة ؛ مؤلفة من سبعة وزراء يمثلون جميع الأحزاب المؤتلفة ، والتى تشكل الحكومة معا .. وكانت الحكومة مكونة من ١٤ وزيرا يمثلون ٦ أحزاب .. وقد وافقت جميع الأحزاب على الاشتراك فى هذه اللجنة ما عدا حزب مابام .

وطلب بن جوريون من الجنرال حاييم لاسكوف رئيس الأركان أن يحقق فى الاتهامات الموجهة إلى عدد من ضباط المخابرات يُشار إليهم بأُصبع الاتهام .

وقال بن جوريون :

« لقد وجدت لافون متورطا وليس من واجبى أن أبرئه ، ولو وجد أى شخص آخر غيرى أنه ليس متورطا فإنه وحده يتحمل هذه المسئولية » !

واستنادا إلى ريتشارد ديكون ، « فإن بن جوريون كان فى وضع صعب جدا ، إذ كان يخشى أن يخرج لافون من قفص الاتهام ، ليدخل هو مكانه ، أو أحد رجاله على الأقل الذين يتحمل مسئوليتهم » .

فى أكتوبر ، قدمت لجنة كوهين تقريرها عن نتيجة تحقيقاتها الخاصة بالفضيحة ، وقد ضمنته أن العقيد بنيامين جيفلى رئيس المخابرات العسكرية ، وضابطا احتياطيا ، اشتركا فى إجبار « شخص ثالث » هو إبرام سايدنفرج (إفرى إلعاد ــ بول فرانك) على تغيير أقواله فى الشهادة التى أدلى بها أمام لجنة أولشان ــ دورى .. واكتفت لجنة كوهين بهذه الإشارة دون أن تذكر شيئا عما قيل من تزوير توقيع لافون على الأمر الصادر فى سنة ــ ١٩٥٤ ، والذى أدى إلى الفضيحة .

بعد أقل من ٢٤ ساعة ، أصدر موشى شاريت بيانا قال فيه :

« إنى مقتنع بأنه لو كانت الحقائق التى ألقى الضوء عليها الآن ... قد عُرفت فى حينها لكانت شاهدا له وزنه على أن الاتهامات التى وُجهت إلى بنحاس لافون فى ذلك الوقت وحملته المسئولية المباشرة لحادثة معينة ... اتهامات كاذبة » .

« وكان يمكن للأزمة أن تنتهى عند هذا الحد ، ولكن بن جوريون أصر على إشعال نارها من جديد ، فأعلن عدم رضاه عن تقرير لجنة كوهين ، وطالب بتشكيل لجنة وزارية تعيد التحقيق فى الفضيحة ، وكان هدفه الواضح من ذلك هو إدانة لافون شخصيا .. عدوه اللدود .. وزعيم المستدروت .. أكبر قوة فى إسرائيل »

موشى شاريت

ساد الصمت إسرائيل لمدة ٢٤ يوما .. لكنه صمت يشبه صمت ما قبل العاصفة .. فتحت السطح الساكن ، كانت تغلى البراكين .

فى ٣٠ أكتوبر ، أصدر بنحاس روز — وزير العدل قرارا بتشكيل اللجنة السباعية ، وبعد ٤٨ ساعة ، بدأت اللجنة تحقيقاتها التى استمرت ٧ أسابيع ، قضتها فى أبحاث واستجوابات شملت عددا من ضباط الجيش ، والمخابرات ، وعددا من كبار الموظفين فى باريس ، سافر إليهم النائب العام لاستجوابهم هناك .

وقبل نهاية العام ، قدمت اللجنة تقريرها النهائى الذى انتهت فيه إلى :

١ — أن بنحاس لافون لم يصدر الأمر الأصلى ، ونُفذت العملية دون علمه ، ودون إذن منه . ومن ثم فهو برىء مما نُسب إليه .. وغير مسئول بالكامل عن ذلك الخطأ الأمنى الكبير الذى وقع سنة ١٩٥٤ .

٢ — لم تستطع اللجنة أن تحدد صلات العمل الدقيقة فى وزارة الدفاع وقت تنفيذ العملية فى سنة ١٩٥٤ .

٣ — قبلت اللجنة تقرير المدعى العام الذى أكد أن بعض وثائق التحقيق التى قدمت فى سنة ١٩٥٤ ، كانت مزورة .

وبالحرف الواحد قال التقرير :

« وعلى ضوء ما تحت أيدينا من نتائج التحقيق ، تبين أن بنحاس لافون لم يصدر الأمر المباشر الخاص بفضيحة الأمن التى وقعت فى سنة ١٩٥٤ .. ولدينا الأدلة على

أن هناك وثائق معينة قد زورت » .

قبل لافون قرار اللجنة راضيا .. وأعلن أنه على استعداد لأن ينسى الحادث تماما .. لكن .. بن جوريون ـــ الذى قُدمت له نسخة من تقرير اللجنة ـــ لم يقبل القرار .. وثار وغضب ، وأرسل إلى اللجنة مذكرة يقول فيها : إن الإجراءات التى اتبعتها « غير صحيحة ، ومضللة » وإنها تؤدى إلى الإجحاف وتجزئة الحقيقة ، وتحطيم العدالة ، كما أن اللجنة لم تتعمق فى دراستها ، ولم يتضمن تقريرها « الحقائق كاملة » .

وعند عرض تقرير اللجنة على أعضاء الوزارة للتصويت عليه ، حصل على الموافقة ، رغم امتناع أربعة وزراء عن التصويت ، كان منهم بن جوريون وديان وقبل إعلان نتيجة التصويت ترك بن جوريون الاجتماع وخرج وهو يهدد بأنه سيقوم بإجازة !

وسلاح الإجازة هو سلاح يستخدمه بن جوريون فى تهديد الوزراء كلما عارضوا أى قرار يتخذه أو موقف يقفه .

وقال بن جوريون :

ـ إنه ليس ملزما بتقرير اللجنة .. فهى ليست محكمة .. ولا تتمتع بالسلطة اللازمة .. ولم يكن من حقها إصدار حكم فى نزاع دائر بين طرفين متخاصمين .. إذ لا يستطيع القيام بذلك سوى تحقيق قضائى شامل .. وعلى ذلك فإنه لن يقبل إلا بقرار لجنة قضائية .

لكن ... لافون رفض اقتراح بن جوريون .. وأصر على أن الرجل العجوز ... بدأ يخرف !

صباح أول يوم فى العام الجديد .. عام ١٩٦١ ، قدم موشى ديان إلى مجلس الوزراء ، ما وصفه بأنه أدلة تكذب لافون .. خاصة بإجراءات أمن أخرى .. اتُخذت فى سنة ١٩٥٤ .. إلا أن سكرتير عام مجلس الوزراء ، قال : إن الأدلة ستعتبر بمثابة تعديل لشهادة لافون أمام لجنة الشئون الخارجية والأمن فى الكنيست ، ولكنها لا تغير ولا تبدل شيئا من الذى انتهت إليه اللجنة السباعية .

وفى اليوم التالى ، وافق بن جوريون على الاجتماع مع وزراء حزب ماباى .. وحسب ما نشرته جولدا مائير فى مذكراتها (حياتى MY Life) فإن بن جوريون قال :

« إنه إذا لم يعط لافون الأمر ، فإن اللوم يقع بالتأكيد على المخابرات العسكرية » .. « وبما أنه لم يظهر برهان للمشكلة ، فتستطيع لجنة من المحكمة تقرير من هو المسئول » .. لأن « لجنة الوزراء لم تتصرف بشكل لائق ، وأنها طمست القضية وأنهت الأمر » .

ورفض بن جوريون طلب الوزراء بالتراجع عن عناده .. فتوترت الأعصاب من جديد ، وهددت جولدا مائير (التى عُرف عنها عداؤها لديان وبيريز ومناصرة لافون) بالاستقالة من الحكومة ، إذا استمر بن جوريون فى متابعة القضية .. وقيل إنها « كانت تشعر بأن الصراع يضر بالبلاد وبحزب ماباى ، وإن استمراره لن يفيد بشىء على الإطلاق » .

وانتهى الاجتماع بأسوأ مما بدأ .. فقد انقسمت الحكومة والحزب بين لافون وبن جوريون .. وحاول ليفى أشكول وزير المالية القيام بدور حمامة السلام .

فى ١٠ يناير أصدر بن جوريون ــ بوصفه وزيرا للدفاع ــ قرارا بفصل العقيد بنيامين جيفلى ، وبعد يومين حضر بن جوريون اجتماعا للجنة المركزية لحزب ماباى ، وقدم لها بيانا من ٥ آلاف كلمة ، هاجم فيه لافون هجوما عنيفا واتهمه بأنه « يشن حربا مقدسة » ضد حزب ماباى ، وأنه سلك سلوكا مشينا كوزير للدفاع ، ثم والمثير للدهشة ــ أنه حذر الأعضاء من المضى فى الحديث عن الفضيحة الأمنية أو معرفة المزيد من تفصيلاتها لأن ذلك « لن يؤدى إلى أية نتيجة إيجابية ، فإذا رأى الأعضاء غير ذلك ، وإذا كانوا يريدون أن يستقيل فليقولوا ذلك بصراحة » .

وانتهى الاجتماع بقرار اتخذته اللجنة المركزية « ببحث البيانات التى أدلى بها بنحاس لافون أمام لجنة الشئون الخارجية والأمن بالكنيست فيما يختص بالفرقة التى أثارتها

القضية فى الحزب » ، كما اتخذت قرارا بتشكيل لجنة لهذا الغرض ، وذلك بأغلبية ١٢٩ صوتا ضد ٨٥ صوتا .

لم يمر وقت طويل حتى تضاعفت الأزمة ، ففى يوم ١٤ يناير هدد بنحاس روز ، وزير العدل بالاستقالة بسبب الاتهامات التى وجهها بن جوريون للجنة الوزارية التى حققت القضية .

وحتى لا تتعقد الأمور أكثر ، قررت اللجنة المركزية لحزب ماباى أن يمتنع أعضاؤها عن نشر أى شيء أو إصدار أى تصريح ، أو إجراء أى نقاش علنى يتعلق بالقضية .

ومن جانبه أرسل بن جوريون خطابا شخصيا إلى بنحاس روز ، سحب فيه اتهامه للجنة الوزارية بأنها « متحيزة » .. وإن احتفظ برأيه فى أن ما ذكرته كان « نصف الحقيقة ، وليس الحقيقة كلها » .

لكن بنحاس روز رفض خطاب بن جوريون ، ورفض حضور اجتماع طارىء عقده مجلس الوزراء يوم ١٧ يناير .. وفى هذا الاجتماع هدد بن جوريون من جديد باستخدام سلاحه التقليدى .. التهديد بالاستقالة .. وأعلن أنه قرر القيام بإجازة طويلة سيقضيها فى طبرية .

وبالفعل اختفى الإرهابى العجوز حوالى أسبوعين .

وفى ٣١ يناير ١٩٦١ .. أى بعد ٦ سنوات بالضبط على إعدام موسى مرزوق ، وصمويل عازار ، قدم بن جوريون استقالته إلى رئيس الدولة إسحق بن زفاى .. الذى قبلها .

وكان بن جوريون قد عاد من طبرية ، وعقد اجتماعا طارئا للحكومة ، وفى هذا الاجتماع ، وصف ثلاثة من الوزراء تصرفه بالنسبة لمسألة لافون بأنه تصرف « معيب » .. فانفض الاجتماع بعد ١٠ دقائق ، توجه بعده بن جوريون إلى مقر رئيس الدولة ، وقدم استقالته ، التى جاء فيها :

« إنه لا يستطيع تحمل مسئولية القرار الذى أصدرته وزارته بالموافقة على تقرير اللجنة الوزارية السباعية بتبرئة لافون » .

وأضاف :

« أنه عارض إقامة اللجنة السباعية منذ بدايتها » .

« وأن هذه اللجنة طهرت أحد اثنين دون إجراء قضائى ودون الاستماع إلى الجهات المعنية » .

أتاحت الاستقالة حرية أكبر للصحافة الإسرائيلية فى تناول الفضيحة الأمنية ، بعد أن ضُرب حولها نطاق محكم من السرية .. وبجانب خبر استقالة بن جوريون ، أخذت الصحف الإسرائيلية تتحدث عن :

« أخطر حادث أمنى تتعرض له إسرائيل » .

« جريمة التزوير الكبرى » .

« نقطة التحول فى إسرائيل » .

ولأول مرة ، أكدت هذه الصحف أن التزوير تم بمعرفة اثنين من معاونى بن جوريون هما شيمون بيريز وموشى ديان .

« وفُهم أن العملية رُتبت بعلم من بن جوريون رغم أنه كان بعيدا معتزلا فى صحراء النقب » .

وتحدث لافون إلى الإسرائيليين قائلا :

ـ إن الخطة انتهت بالفشل لأن السلطات المصرية كشفتها وألقت القبض على الجواسيس الذين قاموا بها ، وأصدرت أحكاما بالسجن على عدد كبير منهم !

وأضاف :

ـ أن عملية الأمن الثانية التى قامت بها إسرائيل ، بعد فشل العملية الأولى ، كانت الإغارة على غزة ، وقد جلبت هذه العملية أيضا كارثة أخرى على إسرائيل ،

فبسببها استطاعت مصر الحصول على أسلحة قوية من الاتحاد السوفييتى .

تعليقا على الاستقالة قالت صحيفة الديلى ميرور البريطانية :

« إن سقوط بن جوريون يعد كارثة شديدة لإسرائيل ، وهو صاحب الفضل فى قيامها وتزايد سكانها .. إن بن جوريون استقال قبل ذلك ولكنها كانت مناورة سياسية ، قفز بعدها إلى الحكم .. ولكن إسرائيل الآن ــ والأعداء يحيطون بها ــ ليست فى مركز يسمح لها (بترف) الاضطراب السياسى » .

واتهمت صحيفة الجارديان (البرّيطانبة أيضا) بن جوريون « بأنه كان السبب فى انقسام حزب ماباى وتمزيق إسرائيل عن طريق السياسة الديكتاتورية الملتوية التى اتبعها فى معالجة قضية لافون » .

وقالت : « إن بن جوريون لم يسمح بمناقشة قضية لافون كما يجب ، إذ فرض رقابة صارمة على كل تفاصيلها التى كانت توصف بفضيحة أمنية ، واتخذ من كلمة الأمن ذريعة لتكميم أفواه الشعب ومنع المناقشات حولها » .

« ومع ذلك فقد عُرف أغلب تفاصيل هذه القصة فى الخارج ولم يبق سوى الناخب الإسرائيلى العادى الذى لا يعلم عن تلك القضية شيئا » .

وأبدت الصحيفة عجبها من قول « بن جوريون منذ بضعة أشهر : إنه يحذر الإسرائيليين من تسرب (خلق لافون) إلى الحياة القومية .. مع أنه لو كان لفضيحة لافون صفات خلقية مميزة لها ، فإنه مما يدعو إلى السخرية أن يكون ذلك راجعا إلى بن جوريون نفسه » .

أما صحيفة « يوركاشير بوست » فقد كانت أكثر ذكاء عندما أكدت أن « الاستقالة جاءت نتيجة لصدام بين عقلية المسنين ، وعقلية الشباب .. أو بعبارة أخرى بين الذين يتمسكون بالتقاليد وهؤلاء يتزعمهم لافون ويساندهم الهستدروت وبين الشباب الذين يسوسهم بن جوريون » .

ففى تقرير لوكالة المخابرات المركزية عن الاستقالة (راجع الملاحق) : أنه

بالإضافة إلى شعور العداء الشخصى بين الخصمين (لافون وبن جوريون) هناك أيضا « صراع عقائدى تزايدت حدته بسبب التغير الحادث فى طبيعة إسرائيل السياسية والاقتصادية . فقد أثر نفوذ يهود أمريكا وهباتهم السخية ــ منذ نشأة الدولة ــ وكذلك قروض الحكومة الأمريكية الكبيرة ، على تفكير زعماء الحكومة تأثيرا عميقا ، وحتى تحل الاستثمارات المستقرة محل التبرعات الخيرية قدم بن جوريون وكثير من قيادات حزب ماباى تنازلات لليهود الغربيين ، وخاصة يهود أمريكا ، وذلك على حساب مبادئهم الأساسية .. ومن خلال خلق بيئة مقبولة ومناسبة سياسيا واقتصاديا ، كان (بن جوريون) يأمل بأن يقنع يهود أمريكا بالهجرة إلى إسرائيل ، وهو مبدأ أساسى فى العقيدة الصهيونية ، ومبدأ حيوى بالنسبة لأمن الدولة » .

« وقد أثارت هذه التغيرات حفيظة العقائديين ، وخصوصا لافون ، الذين أسفوا لانحسار روح الريادة لدى الإسرائيليين ، وتحسروا على إفساد المبادىء الاشتراكية » .

« وفى تصريح صحفى أخير قال لافون :

« إن السؤال هو ... هل فى استطاعة الأكبر سنا أن يدربوا جيلا من الرجال والنساء على المهارات الفنية ، ويكون فى الوقت نفسه أمينا على القيم الروحية التى شكلت جيلنا الحالى ، وجعلت من إسرائيل ما هى عليه الآن ؟

« وأضاف لافون :

« .. إنه صراع .. نضال .. خطوة ، خطوة ضد القوة المسيطرة لكن يجب أن يستمر النضال مهما بلغت قوة هذه المصالح المسيطرة » .

لقد غازل بن جوريون يهود أمريكا على حساب الكثير مما كان يقوله ، ولا جدال أن هجوم لافون عليه كان فى الصميم .. حتى إنه ــ حسبما ذكر أحد المقربين منه ــ اعتبر لافون أكثر خصومه عنادا .. وقال : إن لافون قد آذاه أكثر من أى أذى آخر لحق به من قبل لأنه شوه سمعته التاريخية !

واستنادا إلى تقرير المخابرات المركزية ، أن هجوم لافون على بن جوريون بسبب

اليهود الغربيين ، جعل بن جوريون يخرج عن وعيه ، ويندد علنا بيهود الشتات ، وذلك خلال المؤتمر الصهيونى العالمى الخامس والعشرين فى القدس ، بسبب عدم هجرتهم إلى إسرائيل ، وقد استشهد بالتوراة ، وأكد أن اليهود الذين يعيشون خارج إسرائيل ليس لهم رب ، وأثار ذلك احتجاجات واسعة بين يهود أمريكا ، وهز أركان المنظمات الصهيونية العالمية .

وهكذا ...

وصلت فضيحة لافون إلى الذروة ، وعبرت المحيط ، حتى وصلت إلى الولايات المتحدة !

كانت استقالة بن جوريون كالعادة مناورة سياسية ... ورغم أن هناك مرشحين ، أعلن أنهم سيخلفونه (أشكول . شاريت . ديان) فإن الوحيد الذى كان قادرا على إعادة تشكيل حكومة ائتلافية جديدة كان بن جوريون نفسه .

لكن ... كان لا بد من ضحية تقدم إليه ، حتى ينقذ بن جوريون حزب ماباى من الانتحار .. ولم تكن هناك ضحية ترضى بن جوريون فى هذه الظروف سوى بنحاس لافون .. وهكذا قررت اللجنة المركزية للحزب — فى اجتماع عاجل عقدته يوم ٤ فبراير ١٩٦١ — طرد لافون من منصب سكرتير الهستدروت .

اتخذ القرار بأغلبية ١٥٩ صوتا ضد ٩٦ صوتا وامتناع ٥ أعضاء عن التصويت .

وكانت سكرتارية الحزب قد اتخذت قرارا مشابها بأغلبية ٢٨ صوتا ضد ١١ صوتا وامتناع ٤ عن التصويت ، يقضى بإعلان عدم الثقة فى لافون ، ذلك « لأن الظروف السائدة الآن فى الدولة ، وفى الحزب تجعل لافون فى موقف لا يسمح له بالاستمرار فى العمل كسكرتير عام للهستدروت باسم الحزب » .

وقد أرسل القرار إلى اللجنة المركزية فأقرته بعد أن ناقشه ٤ أعضاء فقط ، اثنان يؤيدان القرار وهما ليفى أشكول وموشى شاريت ، واثنان يعارضان القرار وهما البروفيسور ناثان ، وبنحاس روز وزير العدل السابق .

عقد الاجتماع فى « المسرح الكبير » بتل أبيب ، وسط مظاهرات ضخمة تهتف ضد أى إجراء يُتخذ ضد لافون ، وحاول المتظاهرون اقتحام المسرح ، ولكن البوليس تدخل فى الحال مستخدما العصى الغليظة فى تفريق المتظاهرين ، وقُبض على عدد كبير منهم .

قال أنصار لافون :

« إن القرار اتُخذ بإيعاز من بن جوريون الذى صرح علنا بأن إقصاء لافون عن منصبه يعد بالنسبة له تجديدا للثقة به شخصيا ، ويمهد الطريق لعودته إلى تأليف حكومة ائتلافية جديدة برياسته » .

كان من الصعب على بن جوريون تشكيل الحكومة الجديدة ، فقد رفض بنحاس سابير ، وجولدا مائير ، وبنحاس روز دخولها ، وقالوا : إنهم لن يشتركوا مع ذلك « الرجل العجوز » فى أية وزارة مقبلة !

وأعلن ممثلو حزبى حيروت ومابام معارضتهم الصريحة لدعوة بن جوريون لتأليف وزارة جديدة ، وقالوا : « إن بن جوريون لا يصلح أخلاقيا لرياسة الحكومة الجديدة ، أو حتى لمجرد الاشتراك فيها » .. وطالبوا بحل الكنيست وإجراء انتخابات جديدة ، واقترحوا تأليف حكومة مؤقتة مهمتها إجراء الانتخابات فى أقرب وقت .

ولكن ...

رغم ذلك .. ورغم الانقسامات التى جرت فى الهستدروت وحزب ماباى ، فإن بن جوريون نجح فى تشكيل الحكومة .

على أن العالم الذى اهتم بخبر استقالة بن جوريون ، لم يهتم بخبر عودته إلى الحكم ... وذلك لأن خبرا أهم شغل الناس فى أربعة أنحاء الدنيا ... هو دخول قطعة الملبن ، الشهيرة بمارلين مونرو مستشفى الأمراض العقلية !

▫ ١٥ ▫

نهايــة بن جوريــون !

لا جدال ...

أن قضية لافون ، سارعت ، أيضا ، بتفجير ما سُمى ـــ بعد ذلك ـــ بحرب المخابرات بين مصر وإسرائيل !

لقد فرضت إسرائيل نفسها ـــ بسبب هذه القضية ـــ على أجهزة الأمن المصرية، التى كانت تضعها ـــ فى ذلك الوقت ـــ فى ترتيب متأخر بعد الشيوعية ، والنشاط الدينى المتطرف ، ومواجهة قوات الاحتلال البريطانى فى منطقة القناة .

إن أجهزة اللاسلكى الدقيقة ، والشفرة المعقدة ، والميكروفيلم ، والمينى كاسيت ، التى ضُبطت مع الجواسيس اليهود ، فرضت على الأمن المصرى أن يغير نظرته إلى الأمور ، ويعيد تنظيم نفسه ، ويستعد ـــ بالخبرات والمعدات ـــ إلى العدو الحقيقى ، الذى أطلق الرصاصة الأولى فى حرب شرسة ، استمرت سنوات طويلة .

لقد جاءت القضية على غفلة .. فأصيب الأمن المصرى بصدمة .. وأدرك أن أسلوب « المخبرين » لا يصلح فى هذا النوع من الجرائم التى تمس قلب الدولة وسمعتها .. فكان أن أيقن أن التطور عملية إجبارية لا مفر منها .

فى ٢ أغسطس ١٩٥٢ .. بعد أيام قليلة من نجاح الثورة ، كان رئيس الوزراء على ماهر قد أصدر مرسوما بإلغاء البوليس السياسى ، واستبداله إدارة المباحث العامة به .. وحدث ذلك بعد أن قُبض على قيادات البوليس السياسى السابقة (مثل أحمد طلعت وإبراهيم إمام) بأمر مباشر من اللواء محمد نجيب .

كان مخططا أن تكون إدارة المباحث العامة على غرار المباحث الفيدرالية الأمريكية .. وأغلب الظن أن الأمريكيين قدموا لهذه الإدارة بعضا من خبراتهم فى

هذا المجال .. فى أول الأمر .. عندما كانت الظروف السياسية تسمح بذلك .

وقد تحددت مهمة المباحث العامة ، فى « مكافحة » ما يُسمى بالنشاط « الهدام » .. وكان ذلك يعنى وضع الأجانب المقيمين فى مصر تحت الملاحظة ، بما فيهم اليهود .. خوفا من الأنشطة الشيوعية ، والصهيونية .. وقد كانت هذه ـــ بالتحديد ـــ مسئولية الصاغ ممدوح سالم فى الإسكندرية .. ولا شك أن هذا العمل كان روتينيا ، ذلك أنه لا أحد كان يتوقع أن يصل الأمر إلى حد التجسس وإشعال الحرائق .

بعد عملية سوزانا ، كان لا بد من الإسراع فى بناء حوائط « الصد » المناسبة ، حتى لا يتكرر ما حدث .. وأُنشئت المخابرات العامة فى سنة ١٩٥٥ ، تحت إشراف زكريا محيى الدين ، وعُين على صبرى نائبا له .. وكان كمال رفعت مساعده .

وخلال العام الأول للمخابرات العامة ، كان النجاح من نصيبها .. فقد أقنعت ضابطا فى الجيش الإسرائيلى بالعمل معها من داخل أرض العدو .. وكان هذا الضابط يُدعى الكسندر يوليه (اسمه المستعار البير جوزيف جوتيميه) .. ثم .. جندت عميلا آخر داخل إسرائيل هو اليسيبادس كوكاس .. وهو من أصل يونانى ، كانت لديه خبرة عريضة بإسرائيل .

ويضيف ياكوف كاروز :

« وكان هناك عشرات من الجواسيس الآخرين ، لعبوا أدواراخطيرة ضد إسرائيل ولصالح المصريين ، لعل بعضهم لم يُكشف حتى الآن » .

وياكوف كاروز هو مؤلف كتاب « المخابرات العربية ـــ The Arab Secret Servies » الذى نُشر فى لندن عام ١٩٧٨ ، فى ٤٤٠ صفحة من القطع الصغير ، عن دار نشر « كورجى » .. وهو كاتب إسرائيلى ، متخصص فى شئون المخابرات .

وفى هذا الكتاب ، ما يؤكد من جديد أن بول فرانك كان عميلا مزدوجا ، نجح المصريون فى استقطابه ، فكشف لهم شبكة التجسس الإسرائيلية ، وقبض الثمن

فى أوروبا .. حوالى ٤٠ ألف مارك ألمانى .

وفيه أيضا ... أن عملية سوزانا أدت إلى غارة غزة ؛ التى أدت إلى صفقة الأسلحة الروسية .. وكل هذه كانت مقدمات لحرب السويس ــ ١٩٥٦ .

فى سنة ١٩٥٦ .. بالتحديد بعد حرب السويس مباشرة أصبح صلاح نصر مديرا للمخابرات العامة ، ورغم كل التحفظات ــ التى سجلت فيما بعد عنه ــ فإنه يعد « الأب الروحى » لهذا الجهاز الحساس .

وقد قال فيما بعد (عبد الله إمام ــ صلاح نصر يتذكر ١٩٨٤) إن الهدف كان منذ البداية واضحا أمامه .. وهو « أننا نواجه عدوا شرسا ، هو إسرائيل » .. ولذا « كان همى الأول أن أقوم ببناء جهاز مخابرات يقوم على أسس علمية ، ويستطيع أن يواجه هذه المخابرات الإسرائيلية بقدرتها الرهيبة » .. « وكان هذا يتطلب تكاليف باهظة فى المال والخبرة ، والرجال ، والمعدات ، فى وقت لم يكن كل ذلك متوفرا » .

وهكذا ...

بدأت حرب المخابرات الشرسة بين مصر وإسرائيل ، والتى كان شعارها : « عش لتأكل أو تُؤكل » !

أى لا مفر ... لا مفر من الاختيار .. إما دور الأسد أو مكان الأرنب !

وهو شعار ، بعض الظن أنه يذهب عن بالنا .. أحيانا !

واستنادا إلى ياكوف كاروز ، فإنه فى منتصف عام ١٩٦٠ ، نجحت المخابرات المصرية فى كشف العديد من قضايا التجسس الإسرائيلية ، وكان عددها ٦ شبكات ، وعدد المشتركين فيها ١٦ شخصا ، من بينهم عدد من الأجانب .

« واستثمرت مصر هذه القضايا بصورة دعائية جيدة ضد إسرائيل ، فأعلن سعد عفرة (مدير هيئة الاستعلامات فى ذلك الوقت) فى مؤتمر صحفى : أن إسرائيل بدأت حرباً جاسوسية ضدنا .. إن تلك الحرب استمرت ٥٠ سنوات ، حتى الآن ، وقد كنا نحارب بهدوء وصبر .. حتى لاتدرك إسرائيل الخطر ، وتغير خططها ..

ولقد نجحنا فى وضع يدنا على عدد كبير من شبكات التجسس التى تعمل فى مدن مختلفة مثل روما وجنيف وميونخ و أمستردام .. ولكن إسرائيل لم تعلم ، ولم تشعر ، ولم تتحقق من ربط كل هذه الأطراف ببعضها البعض .. كنا نخدع المخابرات الإسرائيلية طوال هذه المدة ، وكنا نمدهم بمعلومات خاطئة كانوا يشكروننا عليها .. لقد شكرت المخابرات الإسرائيلية إدارة مخابراتنا دون أن تعلم ماذا تفعل ، فقد كان لدينا الانطباع بأنهم كانوا عملاء لنا » .

فى ذلك الوقت انفجرت من جديد فضيحة لافون .

وأصبح مؤكدا أن الفضيحة قلبت كل موازين الأمن هناك أيضا .

فلا أحد خرج من الفضيحة بسمعة حسنة .. فقد طُرد رئيس المخابرات العسكرية بنيامين جيفلى ، وضابط آخر كبير فى هذا الجهاز هو موتكى بن تسور .. وأُجبر عدد كبير من كبار ضباط الجيش على الاستقالة ... وانتهى فعليا مستقبل موشى شاريت ، وبنحاس لافون .. وأصبح بن جوريون فى عيون الأجيال الإسرائيلية الشابة ، عجوزا ، متسلطا ، ضيق الأفق ، وديكتاتورا ، متآمرا ، لا يستحق صفة « النبوة » التى خلعها عليه يهود العالم بعد سنة ١٩٤٨ .

واكتشفت لجنة « كوهين » أن تسلسل الاتصال بين مستويات المخابرات العامة غير محدد ، وغير متقن ، واكتشفت أن كل جهاز من أجهزة المخابرات الإسرائيلية ، يعمل بمفرده .. فى واد مختلف .. وأن بين هذه الأجهزة صراعا يزيد أحيانا على الصراع بينها وبين جهاز معاد .

لكن ...

ريتشارد ديكون يقول :

ـ إن من بين أنقاض قضية لافون « التعيسة » ، انبثق نمط إصلاحات واضح فى أجهزة المخابرات الإسرائيلية ككل .. فقد كان جليا أن العلاقات مزعزعة جدا بين وزارة الدفاع من ناحية ، وبين قوى المخابرات الخارجية من جهة أخرى .. وكانت

الأوامر متضاربة .. وتصدر أحيانا عن طريق الإشارات والتلميحات .. كذلك كانت هناك رغبة عارمة ، مدمرة ، وخطيرة فى مزج السياسة بالتخريب .

ويضيف :

ـ ولو أن « مغامرة » سنة ١٩٥٤ ، نجحت ، ولم تحم حولها أية شكوك ، فربما سار كل شيء سيرا حسنا رغم أن من المشكوك فيه ، تغير السياسة الأمريكية ، تغيرا ملحوظا ، بسبب وضع القنابل الحارقة فى المنشآت الأمريكية .

« ولهذا السبب وحده لم تكن خطة التخريب سوى عمل مجنون ، لا يستحق المخاطرة ، ولكن لأن الخطة كُشفت ، فقد أُوقفت مغامرات أخرى ، كانت ستقود إلى اضطراب أكثرخطورة » .

بعد الفضيحة ، انتقلت العمليات السرية الخارجية من المخابرات العسكرية إلى الموساد .. وأصبح إيسر هاريل أكثر سيطرة على المخابرات الإسرائيلية .. وحتى يتأكد له ذلك ، كان عليه أن يرفع قامته القصيرة على جثة المخابرات الإسرائيلية ، ويطالب برأس بول فرانك .. أو إفرى إلعاد .

وقد عرف أنه شُطب من ملفات المخابرات العسكرية ، ويقيم فى ألمانيا ، ولا أحد يتابع نشاطه هناك ... وكان أن نجح فى إحضاره إلى إسرائيل ، وقدمه إلى المحاكمة ، كما عرفنا ، ليس فقط من أجل استرداد جزء من كرامة المخابرات الإسرائيلية ، فقط وإنما من أجل أن يكسب المزيد من النفوذ والسيطرة أيضا .

لقد ظل إيسر هاريل يفتش وراء الفضيحة ليكسب منها.. ونجح فى ذلك فعلا .. فقد بقيت الفضيحة بالنسبة له « مادة سياسية متفجرة يمكن أن يستخدمها فى أى وقت » ، على حد تعبير دكتور إيريش فولات .

كما أن إيسر هاريل أصبح شديد الحذر عند أى محاولة يقوم بها الموساد لزرع عميل له فى مصر .. وهذا ما جعله يرفض أن يعود إيلى كوهين إلى مصر للتجسس عليها ، خوفا من أن يكوْن مسجلا لدى أجهزة الأمن المصرية ، بعد فضيحة سوزانا ، وفضل

أن يدفع به إلى سوريا ، فى انتظارعميل آخر ، يمكن أن يجد طريقه إلى مصر .. وكان هذا العميل هو وولف جانج لوتز ، أو جاسوس « الشمبانيا » كما أُطلق عليه .

وحسب قانون أمن الدولة فى إسرائيل ، فإن عمليات الموساد ، كانت تتم بموافقة رئيس الوزراء .. ولأن بن جوريون كان رئيس الوزراء طوال تلك الفترة ، فقد كان متحرقا لتعويض ما جرى لشبكة التجسس فى مصر ، بجواسيس آخرين ، أشد خبرة ، وأكثر احترافا .. وذلك طبقا لأسلوبه العدوانى الشهير : « الهجوم خير وسيلة للدفاع » .. وكان يضيف : « ومصر .. خير مكان لشن الهجوم » .. ولم يكن السبب هو أن مصر أكبر دولة عربية معادية لإسرائيل فقط ، وإنما لوجود جمال عبد الناصر على رأسها أيضا .. وفى تلك الفترة كان جمال عبد الناصر قد نجح فى مد جسور السلاح بين مصر والاتحاد السوفييتى ، كما أنه استطاع أن يوظف عددا كبيرا من الخبراء الألمان فى الصناعات الحربية ... وقد أزعج ذلك بن جوريون كثيرا .. فلم يتردد فى منح الموساد موافقته على أى عملية ضد مصر يقترحها إيسر هاريل .

على أن هذا الأسلوب لم يتغير بعد أن ترك هاريل الموساد ، وترك بن جوريون رئاسة الحكومة .

وقد ترك بن جوريون رئاسة الحكومة ووزارة الدفاع ، بعد أن قدم استقالته للمرة الثالثة ، وانسحب نهائيا من العمل السياسى فى ١٦ يونيو ١٩٦٣ .. بعد ٩ سنوات تماما على إعطاء الأمر إلى شبكة سوزانا بإشعال الحرائق .. وعاد إلى مزرعته فى صحراء النقب ، كنتيجة متأخرة من نتائج هذه الفضيحة .

لقد انتصر بن جوريون فى فبراير ١٩٦١ ، عندما نجح فى طرد لافون من منصب السكرتير العام للهستدروت .. وعاد ليشكل حكومة جديدة ... لكن .. هذا النجاح لم يكن حقيقة .. فقد وجد لافون داخل الهستدروت ، وداخل حزب ماباى من يؤيده ، ويسانده ، بقوة ضد بن جوريون .. وقد أصبح هؤلاء قوة معارضة لا يستهان بها .. أطلقت على نفسها جماعة « من ها يسود » .. وهذا يعنى أن كل أجهزة السلطة فى إسرائيل قد انقسمت على نفسها ، وأن الانقسام أخذ يتسع يوما بعد

آخر ... ولم يكن ليوقف هذا الانقسام ، أو يضع له نهاية ، سوى أن يختفى بن جوريون ... وقد كان !

كان اعتزال بن جوريون هذه المرة أمرا لا مفر منه ... ورغم أنه انسحب — كعادته — ليعود أكثر قوة .. فإن ذلك كان أمرا مستبعدا ، ومستحيلا فى هذه الظروف .. فقد رحب معظم زعماء ماباى والهستدروت بهذا الانسحاب .. وأحسوا بأن حجرا ثقيلا كان على قلوبهم .. وانزاح .. وكان أن رحبوا بتولى ليفى أشكول رئاسة الحكومة بدلا منه .

وقد تولى ليفى أشكول رئاسة الحكومة بترشيح من بن جوريون نفسه ، كما فعل مع موشى شاريت فى أكتوبر ١٩٥٣ .. فأشكول هو الآخر شخص ضعيف ، خاصة إذا ما قورن بلافون أو مائير ، أو حتى شاريت .. وكان أشكول يعترف بضعفه أمام بن جوريون ، وكان يقول عنه : « إن بن جوريون كرئيس للوزراء يساوى ثلاث فرق عسكرية لإسرائيل » .

لكن ...

رغم ذلك ، فإن سلسلة « الصدمات الكهربائية التى أصابت الصهيونية فى العصب » ، بعد تطورات فضيحة لافون المذهلة ، « أضعفت بصورة خطرة ثقة أعضاء الحكومة وزعماء حزب ماباى بقيادة بن جوريون » .. ومن ثم كان الترحيب بأشكول عنصرا مشجعا له ، أضاف إليه الكثير من القوة التى كانت بعيدة عنه .

وهذه القوة التى لم تكن فى حسبان أشكول ، جعلته يتمرد على بن جوريون ، ويبتعد عن أصابعه التى كانت تحركه من بعيد .. حيث صحراء النقب .. ففى يوم ٤ مايو ١٩٦٤ ، تجرأ أشكول ، ورد اعتبار لافون ، وأعاده إلى الحياة السياسية ، ليقوم من جديد بدور فعال فى الحزب ، وفى اتحاد نقابات العمال .

وأجمع المراقبون على أن هذا القرار بمثابة تحد سافر من أشكول لبن جوريون ، وأضافوا أن أسبابا كثيرة دفعت أشكول إلى ذلك ، من بينها :

١ ــ أنه بعد أن قضى نحو عام فى رئاسة الوزراء يريد أن يُوجد طابعا جديدا للحكم فى إسرائيل ، فى محاولة للقضاء على وسائل الإرهاب والتزوير ...والاطمئنان إلى أن الحكومة التى يرأسها هى حكومة فعلية وليست مجرد « واجهة » .. ويبدو هذا الاتجاه واضحا فى خطابه الذى أرسله إلى لافون ، وسائر زعماء جماعة « من ها يسود » حيث قال فيه : « أرجو أن تؤدى عودتكم لعضوية حزب ماباى إلى تطهيره » .

٢ ــ أنه رغب فى الاستعانة بضحايا وخصوم بن جوريون ، فى تعزيز مركزه أمام أنصار بن جوريون داخل الوزارة ، لاسيما وأن وزراءه هم تقريبا وزراء بن جوريون السابقون ، وقد حاول استمالة جماعة « من هايسود » بالوسائل كافة إلى درجة أنه زعم أنه لم يكن راضيا منذ البداية على فصل لافون من الهستدروت ومن الحزب ، فقد قال فى خطابه إليها : « لطالما أعربت فى مناسبات كثيرة عن رأيى فى أنه ليس لهذا القرار (يقصد قرار الفصل) أى مغزى ، والفرصة سانحة أمامكم الآن للعودة إلى ماباى والعمل كأعضاء ذوى حقوق واسعة النطاق » .. « وكونوا على يقين من أننى وزملائى سوف نقدر عودتكم كل التقدير وأناشدكم أن تساهموا فى ماباى بصورة حرة » .

٣ ــ أنه كان على وشك القيام برحلة إلى الولايات المتحدة فى شهر يونيو ١٩٦٤ ، بهدف الحصول على ضمانات استمرار المعونة العسكرية ، والمساعدات الاقتصادية ، والتعاون العلمى ، فأراد قبل الرحلة أن يتخلص من آثار فضيحة لافون التى انطوت على تخريب لبعض المؤسسات الأمريكية فى مصر ، وأظهرت حقيقة نوايا إسرائيل العدوانية تجاه واشنطن .

وهكذا ...

انفجرت فضيحة لافون من جديد بعد ١٠ سنوات من وقوعها .

وقد كان هذا الانفجار فرصة ذهبية لأن تتناولها الصحافة الإسرائيلية بحرية لم تكن متاحة لها من قبل .. فكان أن أجمعت على أن الفضيحة تمت بأمر من بن جوريون

شخصيا أثناء عزلته المصطنعة بفندق « جاكالاى كينيريت » على شاطىء بحيرة طبرية ، حيث استقبل ذات ليلة فى تلك الفترة اثنين من العسكريين الذين يديرون دفة الحكم فى الخفاء هما موشى ديان وشيمون بيريز ، وقد عرضا عليه خطة التخريب ، فوافق عليها ، وأصر على أن لا يطلع عليها أحد من القائمين فى الحكم « الصورى » ، ولا حتى وزير الدفاع ، الذى كان يتحتم أن يعتمدها ، ويوقع عليها .. لذلك فقد لجأ واضعو الخطة إلى تزوير توقيع لافون ... وكان ما كان .ا.

لم يسكت بن جوريون على تصرف أشكول ، واعتبر الخطاب الذى أرسله رئيس الوزراء إلى لافون وزعماء جماعة « من ها يسود » طعنة موجهة له شخصيا ... لذلك فقد أوعز إلى عدد من أعضاء حزب ماباى ، وإلى بعض الوزراء فى الحكومة بأن يعارضوا أشكول وأن يسقطوه إذا لم يتراجع .

ولم يكتف بن جوريون بذلك وإنما أرسل إلى سكرتير حزب ماباى خطابا ، قال فيه : « إن معالجة مسألة لافون هى من اختصاص أى عضو من أعضاء الحزب مهما كان مركزه » .. أى أنه أراد نقل المعركة من مستوى القمة إلى مستوى القاعدة .

فشلت اللجنة التنفيذية للحزب فى حل النزاع بين أنصار أشكول ومؤيدى بن جوريون .. وبعد سلسلة من الاجتماعات السرية ، لحق الفشل باللجنة المركزية ، وبسكرتارية الحزب ، ووصل الخلاف إلى الشارع ، وأصبح حديثه .. ذلك أن حزب ماباى هو أكبر أحزاب إسرائيل .

على أنه مع مرور الأيام ، أصبحت الصحافة الإسرائيلية فى صف أشكول ، وكُتبت له الغلبة على بن جوريون .

وقالت صحيفة الجيروزليم بوست فى ١٣ مايو ١٩٦٤ :

لقد اتخذ أشكول بنفسه إجراء تبرئة لافون ، وقصد من ذلك ــ قبل سفره إلى واشنطن ــ أن يرى الحزب من الذى يمسك بزمام الأمور .

« وقد لوحظ أن بن جوريون ــ الذى يحمر وجهه خجلا كلما ذُكر أمامه اسم

لافون — قد لزم الصمت وهو في عزلته

ولكن الخبراء يقولون إنه سيتخذ خطوة ما يظهر بها استياءه .. وهذه الخطوة قد تكون التخلى عن مقعده فى الكنيست ، كما قد تكون ترك الحزب نهائيا .

وليس هناك من يعتقد أنه سيعمل على العودة إلى رئاسة الوزراء .. ولكن الحقيقة أنه ليس بوسع أحد أن يعرف الطريقة التى يمكن أن يتصرف بها شخص مثل بن جوريون » .

وفيما بعد ...

تحققت معظم هذه التوقعات .

فبن جوريون لم يعد إلى رئاسة الوزارة ولا إلى الحياة العامة بعد ذلك .

وقد ترك الحزب ، فعلا هو ومجموعة من أنصاره على رأسهم موشى ديان ، وكونوا حزبا مستقلا ، منشقا عن ماباى ، هو حزب رافى .

ومهما كانت نتيجة ماحدث ، فقد دفع بن جوريون ثمن الفضيحة . وإن كان ذلك قد تم متأخرا ، ١٠ سنوات .

□ ١٦ □

لم يبق إلا بيريز !

صيف — ١٩٧٩ .

كل شيء ساخن فى مصر ..

الطقس .. البنات على الشواطيء .. الهجوم على اليسار .. الصراع بين الحكومة وقوى المعارضة الوطنية .. الأسلحة البيضاء والجنازير الحديدية فى مدن الصعيد .. ترحيب رئيس وزراء إسرائيل مناحم بيجن بالرئيس أنور السادات فى حيفا ، الذى تناولا فيه « العيش والملح » .. مباحثات اللجنة العسكرية ، المصرية ، الإسرائيلية المشتركة حول ترتيبات الانسحاب من سيناء .. تحقيقات المدعى العام الاشتراكى مع بعض الكتاب والصحفيين بتهمة العيب فى ذات رئيس الجمهورية .. ترشيح أنور السادات لجائزة نوبل ، واقتراح جولدا مائير بأن يكون الترشيح لنيل جائزة الأوسكار .

الحر .. العرق .. الرطوبة .. التوتر العام المكتوم ، أسباب جعلت الأعصاب ملتهبة ، تكاد تنفلت ، أو تحترق .. ومع نزول قصة إحسان عبد القدوس الجديدة « لا تتركنى هنا وحدى » ، وفيلم جديد لبروس لى .. ملك الكاراتيه .. وعودة الغوريلا العملاقة « كينج كونج » ، والسماح بتعاطى شريط كاسيت « معجزة » لمطرب « السح الدح امبو » ، ارتفعت رائحة الشياط .. ونشرت الصحف إعلانا عن حبوب « جيفلون » لتقوية الأعصاب ... لعل وعسى .

٢٥ سنة كاملة ، مرت على عملية « سبوزانا » التى اشتهرت باسم فضيحة « لافون » .. أصبح الزمن غير الزمن .. تغير الكثير . الحاكم .. الحلم .. الراية .. النشيد .. العدو .. الصديق .. عنوان الصحيفة .. أسباب الغضب .. قائمة الممنوع

تأشيرة الدخول .. والصراع الدموى الشرس الذى « كان » بين العرب وإسرائيل .

فى ذلك الصيف .. عاد روبير نسيم داسا إلى مصر سائحا .. بعد أن تركها جاسوسا .. لقد تم تسليمه إلى إسرائيل ، بواسطة الصليب الأحمر ، وتحت علم الأمم المتحدة ، هو ومن تبقى فى السجن من أفراد الشبكة .. فيكتور ليفى .. فيليب ناتانسون .. ومارسيل نينو .. وضُم إليهم فولف جانج لوتز الذى كان قد قُبض عليه .. كان ذلك فى سنة ١٩٦٨ .. مقابل الأسرى المصريين فى حرب يونيو ١٩٦٧ .. وقد أرسلوا إلى إسرائيل بالطائرة عن طريق جنيف .

وفى طريقه إلى إسرائيل لم يصدق روبير داسا أنه أصبح حرا .. ومن المؤكد أنه لم يخطر على باله أن يرجع إلى مصر .. ولا أن ينزل حتى ترانزيت فى مطار القاهرة .. ولو كانت هذه الفكرة قد جالت برأسه لوصف نفسه بالجنون ، ولطالب بدخوله مصحة للأمراض النفسية بمجرد نزوله إسرائيل .

على أطراف تل أبيب .. فى ضاحية تُسمى « بتاح تكفاه » عاش روبير داسا بعد أن ترك الجيش الذى جُند فيه عدة سنوات .. وحسب وصف د . ايريش فولات .. البيت صغير .. له جراج ، وحديقة .. وعلى الجدران ، عُلقت لوحات سيريالية ، عبثية ، لا جدال فى أنها ستُوصف بالواقعية إذا ما قُورنت بمشاهد الحياة من حولها .. وفى البيت زوجة ، وأولاد ، وحجرة مكتب ، يحرر فيها نشرة الأخبار باللغة العربية ، والتى يقدمها التليفزيون الإسرائيلى .. وعلى منضدة أمام المكتب يوجد ألبوم صور ، يحتفظ فيه روبير داسا بصوره وذكرياته القديمة فى مصر ، التى وُلد ، وعاش ، وتربى ، وتعلم ، فيها ، ولم يتردد فى خيانتها أيضا .

فى الألبوم صورة مع والديه فى الإسكندرية .. صورة مع زملائه فى المدرسة .. صورة مع الحاخام اليهودى الذى حفظ التوراة على يديه .. وصورة فى السجن أثناء تدريبه على كرة السلة .. وصور أخرى لذكريات سعيدة ، عاشها فى بلد ، لم يتردد فى أن يشعل فيه النيران .. وكأن الأيام التى عاشها هنا كانت حراما فى حرام .

فى رحلته الأولى للقدس ، كان روبير داسا قريبا من أنور السادات مع عدسات

التليفزيون .. وقد أتاح له ذلك أن يطلب منه السماح له بزيارة أقاربه فى الإسكندرية .. كان مترددا وهو يطلب .. وكان لا يصدق أن الموافقة يمكن أن تكون فورية .. فهو يعرف أنه جاسوس .. ومخرب .. وأنه ليس من السهل ـــ مهما تغيرت الظروف ـــ أن يزور البلد الذى حاول إحراقه .. لكنه فوجىء بأن السادات لم يتردد فى الموافقة .. ثم .. لم يلبث أن زالت المفاجأة عندما تذكر حقيقة كانت غائبة عنه .. هى أن رئيس أكبردولة عربية هو نفسه فى إسرائيل .

نزل الجاسوس الذى أشعل النار فى الإسكندرية ... إلى الإسكندرية .. تجول فى المنشية ، والإبراهيمية ، وبولكى ، ورأس التين .. تناول السمك المشوى فى أبى قير .. شرب الشاى بالنعناع الأخضر فى مقهى بمحطة الرمل .. وعندما تبعه شرطى سرى كان لحمايته ، لا للقبض عليه .. وبعد أن عاد إلى بيته فى إسرائيل كان يحمل عددا من الصور الفوتوغرافية الملونة التى سمحت له بإضافة أكثر من ألبوم جديد .

أصبح الزمن غير الزمن .

دب الشيب فى شعر مارسيل نينو .. ازدادت شراهتها للأكل .. أصيبت بالترهل .. وبسبب إدمان الكحول والسجائر ، كثرت المشاحنات بينها وبين زوجها ، الذى كان ـــ على ما يبدو ـــ يعتقد أن زواجه منها سيحقق له الشهرة .. وربما بعض الراحة المادية .

ولا نعرف ما إذا كانت قد جاءت إلى القاهرة ، أم أنها اكتفت بالاتصال التليفونى مع من تبقى من معارفها القدامى ؟!

كذلك ... فإننا قد فشلنا فى العثور على أى مادة مكتوبة بأية لغة عن ما جرى لفيليب ناتانسون ، وفيكتور ليفى .. وكل ما توافر لدينا من معلومات أكد أنهما منعا مثل باقى أبطال الفضيحة من التحدث إلى الصحافة ، إلا بعد سنة ١٩٦٤ .. حيث استخدمهم ليفى أشكول فى حملته ضد بن جوريون .. فسمح لهم بالظهور على شاشة التليفزيون .. ونشر مذكراتهم فى الصحف .. وقد استند الكاتب

الإسرائيلى افيزيز جولان إلى كثير مما قالوه ، فى كتابه « عملية سوزانا » الذى نشر باللغة الإنجليزية فى نيويورك عن دار « هاربر ورو » .

أصبح الزمن غير الزمن .

عرفنا أن حكومة موشى شاريت اعتبرت إعدام موسى ليتو مرزوق وصمويل باخور عازار ، ميتة شهداء ، وأطلقت اسميهما على أكثر من شارع فى بئر سبع ، ودامات جان .

لكننا ..

لم نعرف أن الإسرائيليين ، طالبوا بنقل رفاتهما من مقابر اليهود فى القاهرة والإسكندرية ، بعد أن أصبح ذلك ممكنا .

وهكذا .. سلم جنود مصريون صندوقين لم يعرفوا ما بهما إلى الجانب الإسرائيلى الذى حملهما إلى إسرائيل ، حيث أُعيد دفنهما ، فى احتفال عسكرى ، لا يحدث إلا لكبار الشخصيات ، وقادة الجيش ، والأحزاب .

أصبح الزمن غير الزمن .

قضى إفرى إلعاد مدة العقوبة فى السجن ، ثم ترك إسرائيل إلى الولايات المتحدة ، حيث هاجر إليها نهائيا ، وحيث وجد أن رصيده فى حسابه السرى فى سويسرا ، يسمح له بشراء مزرعة ، وبيت ريفى ، للتقاعد .. وفى هذا البيت ، أعاد صياغة ما جرى ، ودافع عن نفسه ، فى كتاب « انحطاط الشرف » الذى نشره فى الولايات المتحدة سنة ١٩٧٦ ، بمشاركة جيمس كرتيش ، وحقق له إيرادا لا بأس به ، واعتبرته وكالة المخابرات المركزية « مصدرا رئيسيا » من مصادر المعلومات الموثوق بها عن إسرائيل ، وجاء ذلك — استنادا إلى ستيفن جرين — فى نشرة الوكالة عن « هيئات المخابرات والأمن الأجنبية » ..

وتقاعد إبرام ذار (أو جون دارلنج) مؤسس الشبكة ، بعد أن قدمت لجنة « كوهين » تقريرها .. وبعد فترة من الإقامة فى إحدى الكيبوتزات ، عمل فى التجارة

الخارجية ، مثل رئيسه العقيد بنيامين جيفلى .

أصبح الزمن غير الزمن .

لم تستطع كل اللجان التى برأت بنحاس لافون أن تنزع اسمه من الفضيحة التى لا تزال تعرف به وتنسب إليه إلى الآن .. فقد نسى الناس اسم الفضيحة الأصلى .. « سوزانا » .. واحتفظوا بنسبها إلى لافون .. ولا نعتقد أن ذلك سيتغير أبدا .. وستظل هذه الفضيحة تعرف باسم فضيحة لافون .. وفى أفضل الأحوال ستسمى بقضية لافون .

ورغم أن ليفى أشكول قد رد اعتباره السياسى ، فإن لافون لم يعرف كيف يستثمر ذلك .. فقد هدته المعارك داخل حزب ماباى ، واتحاد نقابات العمال (الهستدروت) ، ومن ثم فضل أن يتقاعد ، ويعتزل الحياة العامة ... وفى ٢٤ يناير ١٩٧٦ ، توفى .

أما أشكول ، فقد بقى رئيسا للوزراء ، رغم مناورات أتباع بن جوريون .. وقد نجح فى تجاوز هذه المناورات ، حتى أغلق جمال عبد الناصر خليج العقبة ، فى مايو ١٩٦٧ .. ففى ذلك الوقت ، نجح المتطرفون فى الكنيست ، فى تشكيل حكومة حرب ، انضم إليها الليكود ، وحزب رافى ، عينت موشى ديان وزيرا للدفاع ... وبهذا فرض أنصار بن جوريون أنفسهم على أشكول الذى ظل رئيسا للوزراء ــ بسلطات أقل ــ حتى فبراير ١٩٦٩ ... حيث مات نتيجة ذبحة صدرية .. وفى ٧ مارس من العام نفسه أُختيرت جولدا مائير لكى تخلفه .

وقبل ذلك بحوالى ٥ سنوات ، كان قد اختفى بطل آخر من أبطال الفضيحة ، هو موشى شاريت .. فقد مات فى سنة ١٩٦٥ ، بعد ١٠ سنوات قضاها على الهامش ، فى ظل بن جوريون ، حيث يصر كل من تناول الفضيحة على أنه لم يعد له تأثير ولا وجود حقيقى ، منذ سنة ١٩٥٥ ، عندما طلب من بن جوريون أن يعود ويتولى وزارة الدفاع .

وبعد حرب يونيو ١٩٦٧ ، تألق نجم موشى ديان السياسى والعسكرى ، لكنه

بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، هوى .. على أنه رغم ذلك أصبح وزيرا للخارجية ، وشارك فى التحضير لزيارة السادات إلى القدس ، بمفاوضات سرية ، أجريت فى المغرب ، مع حسن التهامى .. وقد عاش موشى ديان إلى ما بعد توقيع اتفاقية الصلح بين مصر وإسرائيل .. ثم .. مات بالسرطان .

وبقى بن جوريون على قيد الحياة حتى ٨٥ سنة .. وقد انفصل عن حزب ماباى ، وكون مع بيريز وديان حزب رافى .. أو « قائمة العمال الإسرائيليين » .. ولم ينس ما تبقى من حياته كل من عارضه فى قضية لافون .. حتى إن حزب رافى امتنع عن التصويت عند ترشيح جولدا مائير رئيسة للوزراء .. وقد برر لها ذلك قائلا : إننى لا أشك فى أنك قادرة على منصب رئيس الوزراء .. « ولكننى لا أنسى أنك مددت يدك لشىء غير أخلاقى » .

وقد ظل بن جوريون فى مستعمرة سدى بوكر فى النقب ، يرعى الأغنام ، ويزرع الطماطم ، ويحاول تحريك الأمور من بعيد ، حتى رحل عن الدنيا .

أصبح الزمن غير الزمن .

لم يبق من أبطال الفضيحة — على سطح الحياة السياسية فى إسرائيل — سوى شيمون بيريز .. وشيمون بيريز (أو شيمون بيرسكى) ، ولد فى بولندا سنة ١٩٢٣ ، فى قرية بشنيفا التى لم تكن تضم سوى ١٧٠ عائلة يهودية .. كان جده إسكافيا ، وابوه تاجر أخشاب .. هاجر إلى فلسطين برفقة والديه فى سنة ١٩٣٤ مع إحدى قوافل الهاجاناه .. فى تلك الفترة قابل بن جوريون وارتبط به ارتباطا كبيرا ، حتى إنه لا يزال يوصف « بأنه تلميذ بن جوريون المخلص » .. وفى آخر كتبه « ومن هؤلاء الرجال » اعتبر بن جوريون واحدا من أهم سبعة رجال أثروا فى حياته) .

فى سنة ١٩٥٠ ، ترأس بعثة وزارة الدفاع الإسرائيلية إلى واشنطن ، حيث أشرف على صفقات السلاح المهربة إلى إسرائيل ، فى الوقت الذى كان فيه موشى ديان فى واشنطن أيضا يشرف على طبع أول أوراق نقد إسرائيلية ، طرحت فى أسواق فلسطين المحتلة .

وقد منحته صفقات السلاح الأمريكية الأولى لقب « مهندس تسليح وتنظيم الجيش الإسرائيلى » رغم أنه لا يحمل أى رتبة عسكرية ، ودعم هذا اللقب ، نجاحه فى عقد صفقات سلاح أخرى مع فرنسا ، وإقناعه الفرنسيين بالمساهمة فى بناء أول مفاعل نووى فى ديمونة .. وفى الفترة من ١٩٥٩ حتى ١٩٦٥ أصبح نائب وزير الدفاع .. وبعد سقوط ديان أصبح وزير الدفاع فى الفترة من ١٩٧٤ حتى ١٩٧٧ .

وفى ١٩٧٧ ، وصل الليكود إلى الحكم ، وأصبح بيريز زعيم المعارضة فى الكنيست ، وفى انتخابات ١٩٨٢ ، شكل حكومة ائتلافية مع إسحاق شامير ، وأصبح رئيسا للوزراء ، وبهذه الصفة زار مصر زيارة رسمية فى سبتمبر ١٩٨٦ .

وبيريز ينتمى إلى ما يعرف فى إسرائيل بجيل الاستمرار ، وهو جيل تربى على يد ما يُسمى بجيل الرواد ، وهذا الجيل هو الذى يحكم إسرائيل اليوم ، وهو يعتقد أن كل التطورات التى عاشها العالم خلال ربع القرن الماضى ، لم تؤثر على قيمة أفكار مؤسسى الدولة الصهيونية ولا على خططهم التوسعية .

والذين عايشوا بيريز يصفونه بعبارات جارحة ، ومنهم إسحاق رابين ، الذى يقول عنه فى كتاب « سنوات الخدمة » .. إنه متآمر ، لا يكل ، ولا يتعب من المؤامرات .. ويقول آخرون عنه إنه من ذلك الطراز من البشر الذى يمكن أن يقوم بأبشع التصرفات وهو يبتسم .

أو كما يقول المصريون : « يقتل القتيل ويمشى فى جنازته » !

إن بيريز هو الوحيد الذى لا يزال باقيا من أبطال الفضيحة ... فهل نستطيع أن نقول إن الفضيحة لم تمت حتى الآن ... بعد أن مر عليها إلى الآن ٣٥ سنة ؟!

فعلا ....

لقد تغير الكثير .

وأصبح الزمن غير الزمن !

بعد أن قرأت

بين سطور هذا الكتاب قضايا أخرى غير التى على سطوره . فبين السطور ما يشير إلى أن الديموقراطية فى إسرائيل مسألة تحتاج إلى مراجعة بعيداً عن الانبهار الذى خطف عيوننا من شدة الدعاية المكثفة خاصة بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ .

فطوال عشر سنوات تقريباً كانت عملية سوزانا من المحرَّمات فى إسرائيل .. وعندما تكون قضية سياسية وأمنية على هذه الدرجة من الخطورة بعيدة عن الرأى العام فلا بد من إعادة النظر فيما يسمى بواحة الديموقراطية فى الشرق الأوسط .

وبين السطور ما يشير إلى أن أسطورة المخابرات الإسرائيلية التى وصلت إلى الذروة فى عقولنا ونفوسنا وحلوقنا مسألة فيها الكثير من الصناعة والمبالغة التى تفرض علينا أن نحرر أنفسنا منها ولو استلزم الأمر أن نذهب بشجاعة إلى الطبيب النفسانى .

وبين السطور ما يشير إلى أن الخلافات بين قادة العدو الصهيونى خلافات فى الأسلوب لا فى الهدف ، فى الطريقة لا فى النتائج ، لذلك فالانتباه هنا واجب قومى لا يجوز التفريط فيه .

وبين السطور ما يشير إلى أن الأزمة العنصرية فى إسرائيل « بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين » هى قنبلة موقوتة جاهزة للانفجار عندما نعرف كيف ننزع فتيلها .

وبين السطور ما يشير إلى أن الفساد داخل الكيان الصهيونى يمكن أن يصل إلى قمة المؤسسة العسكرية القابضة على كل شيء ، وأن هذا الفساد يحول الكثير من المبادىء والأهداف إلى بضاعة تباع وتشترى .

إن هذه الملاحظات التى أشير إليها « من باب وضع الرتوش الأخيرة للصورة »

قصدت منها الوصول إلى حقيقة مهمة هى أن الظاهرة الإسرائيلية فى عالمنا العربى يمكن الوصول إليها من أى طريق وأن كل الطرق فى النهاية تؤدى إلى فهمها ولعل فى تلك الحقيقة ما يجعل التخلص منها أمراً أسهل مما نتصور .

وبعيداً عن سطور هذا الكتاب لا بد أن نشير إلى أن القضية التى عُرفت باسم قضية لافون لم يصدر عنها كتاب عربى — يفضح كل أبعادها — من قبل .. وأن الفكرة السائدة عنها « أنها كانت لضرب العلاقات بين عبد الناصر والغرب » هى فكرة لا تخلو من السذاجة مهما بدت مقنعة ، وإذا كان المجهود الذى يقف وراء إعادة النظر الآن فى هذه الفكرة هو مجهود المؤلف الفردى فإننا فى حاجة إلى مجهود جماعى لتحقيق قضايا أخرى تعيد النظر فى أفكار أخرى أغلب الظن أنها لا تخلو من السذاجة أيضاً .

إن المعرفة قوه
والقوة حركة
والحركة قرار
والقرار يمكن أن يعيد صياغة الواقع والمستقبل والتاريخ كذلك .

نص بيان وزير الداخلية زكريا محيى الدين حول شبكة الجاسوسية الإسرائيلية

إن العالم يجب أن يعلم كيف تعمل الصهيونية ، وكيف تبث سمومها وألاعيبها فى البلاد العربية ، وإلى أى مدى تضمر إسرائيل من نيات ، وكيف تدبر مؤامرات لإحداث القلاقل وعدم الاستقرار فى هذه البلاد وبذلك يمكن التأثير على علاقاتها الخارجية وأوضاعها الاقتصادية فتبقى دائما فى المؤخرة وهو حلم إسرائيل الدائم لكى تحقق أطماعها .

فقد ثبت أن المخابرات الإسرائيلية قد كونت فى مصر شبكة للجاسوسية والتخريب معتمدة فى ذلك على بعض اليهود الصهيونيين من ذوى الميول اليسارية[1]

وكانت أغراض المنظمة تتلخص فى الآتى :

أولا : مساعدة أى مندوب يوفد من إسرائيل على المعيشة خوفا من النزول فى مكان عام ، ولفضح أمره ، ومساعدته على الاختفاء من أعين الرقباء .

ثانيا : الاتصال بإسرائيل فى حالات الطوارىء والحرب التى ينجم عنها فرض رقابة قوية على البريد والمكاتبات الخاصة وذلك بواسطة أجهزة لاسلكية .

ثالثا : الحصول على معلومات عسكرية وسياسية واقتصادية عن البلاد .

رابعا : القيام باضطرابات فى الأوقات المناسبة لبلبلة الأفكار وإقامة حالة ذعر فى البلاد وإفساد الجو السياسى بالنسبة لمصر فى الأوساط الدولية ، والتعاون فى هذا السبيل مع كل الجمعيات والمنظمات التى تعمل ضد الحكم الحالى فى مصر[2]

وعندما لاح فى الأفق احتمال الوصول إلى اتفاق بين مصر وبريطانيا تخرج بمقتضاه بريطانيا من قناة السويس ، صدرت الأوامر للمنظمة للقيام بأعمال تخريبية الغرض منها إظهار عدم الاستقرار فى البلاد ، وتسوىء العلاقات بين مصر من جهة وبريطانيا وأمريكا من جهة أخرى ، بأمل إفساد الاتفاقية .

لهذا فقد قاموا بوضع قنابل محرقة فى

صندوقين من صناديق البريد يوم ٢ يوليو[٣] ثم فى مكتبة السفارة الأمريكية بالقاهرة ، وفى مكتب الاستعلامات الأمريكى فى الإسكندرية ، فى وقت واحد ، مساء ١٤ يوليو الماضى . وفى بعض دور السينما بالقاهرة والإسكندرية فى يوم ٢٣ يوليو الماضى أيضا

وفى هذا اليوم بالذات ، ٢٣ يوليو ، أمكن أن نمسك بالخيط الأول فى هذه القضية ، إذ اشتعلت القنبلة الحارقة التى كان يحملها فيليب ناتانسون فى جيبه ، وهو يهودى لا جنسية له[٤] أمام سينما ريو بالإسكندرية وأحدثت به إصابات جسيمة ، وقبض عليه

وصدرت الأوامر إلى جميع رجال الأمن لمراقبة الحالة ، واليقظة التامة لكل صغيرة وكبيرة وبدأ التحقيق فى هذه القضية ، وقام ضباط المباحث بمجهود جبار حتى تمكنوا من الوصول إلى الشبكة كاملة ، وتعاون معهم فى هذا رجال المخابرات السرية

وقد تبين من التحقيق فى هذه القضية أنه قد تم تدريب أفراد المنظمة فى ظروف وأوقات مختلفة بإسرائيل على أيدى رجال المخابرات الإسرائيلية حيث دربوهم على استعمال الأسلحة واللاسلكى وأعمال الشفرة والتصوير والطوبوغرافيا ، كما حصلوا أيضا على بعض التدريبات فى منظمة يسارية أثناء إقامتهم بفرنسا[٥]

وقد تبين فى التحقيق أن بعض اليهود المصريين الذين حاولت المنظمة ضمهم إليها للقيام بأعمال التجسس كانوا يتهربون ، ويحاولون الابتعاد عن هذه الأعمال لعدم رغبتهم فى الإساءة إلى مصر .

وقد تمكنت المنظمة من إرغام بعضهم على العمل عن طريق التهديد باتهامهم بالتجسس ، وفضح أمرهم وقد صرح رئيس المنظمة إلى أحد المشتركين عندما رفض الأخير الاستمرار فى أعمال التجسس أنه لايوجد بالعالم كله يهود لا يريدون مساعدة إسرائيل إلا يهود مصر[٦]

ولقد دلت أقوال المتهمين فى هذه القضية على أن المصريين فى إسرائيل[٧] مضطهدون ويعاملون معاملة أقل مما تعامل به الطبقات[٨] الأخرى ، ولا توكل إليهم أعمال لها صبغة رسمية

ومن المؤكد أن كثيرا من الإشاعات المغرضة التي يرددها راديو إسرائيل ، والتى

يقصد بها إيجاد حالة من القلق وعدم الاستقرار فى البلاد العربية ، كانت تُطبخ على أساس المعلومات التى ترسلها هذه المنظمة إلى إسرائيل .

وإنى أسجل هنا تقديرى إلى ضباط المباحث والمخابرات الذين لم يغمض لهم جفن ولم يعرفوا طعم النوم حتى تمت معرفة أفراد المنظمة وسُلموا إلى أيدى النيابة العامة[٩] .

وزيـــر الداخليـــة
زكريا محيى الدين
٥ أكتوبر ١٩٥٤

ملاحظات للمؤلف :

(١) لم يثبت التحقيق ولا المحاكمة أن لأفراد الشبكة أية ميول يسارية ، وكل ما حدث هو أن فيكتور ليفى حاول إيهام المحقق أنه يسارى ، حتى يبعد الشبهة عن عمله كجاسوس إسرائيل ، ثم إن المحقق ، أثبت (كما نشرت صحيفة الأهرام فى عدد ٧ أكتوبر ١٩٥٤) أن تنظيم خلايا الشبكة يختلف عن تنظيم الخلايا اليسارية .

(٢) إشارة خفية إلى الإخوان المسلمين والتنظيمات الشيوعية .. وقد ثبت تماما أن الاتهام غير صحيح .

(٣) أخطأ الصاغ ممدوح سالم ، عندما قال إن عملية البوستة وقعت يوم ٧ يوليو ، وذلك أمام المحكمة .. جلسة يوم ١٢ ديسمبر ١٩٥٤ .

(٤) الصحيح أن ناتانسون كان مصرى الجنسية ، من أصل نمساوى ، وكان الغرض من هذه العبارة عدم إثارة شعور العداء ضد اليهود المصريين .

(٥) لم يشر أحد من المتهمين فى اعترافاته إلى ذلك ، وكل ما قيل هو أن باريس كانت مجرد محطة فى الطريق إلى إسرائيل .

(٦) هناك بالفعل من تهرب من مواصلة التعاون مع المنظمة ، لكن ليس حبا فى مصر ، وإنما خوفا من العقاب .

(٧) يقصد اليهود المصريين الذين هاجروا إلى إسرائيل .

(٨) الصحيح جنسيات أخرى .

(٩) الصحيح النيابة العسكرية .

ملخص قرار الاتهام فى القضية
الصادرفى ١١ أكتوبر ١٩٥٤

تتهم نيابة أمن الدولة كلا من :

١ ـ إبرام دار المسمى باسم جون دارلنج ـ ضابط بالجيش الإسرائيلى (هارب)

٢ ـ موسى ليتو مرزوق ـ طبيب بالمستشفى الإسرائيلى .

٣ ـ صمويل باخور عازار ـ مدرس .

٤ ـ فيكتور مويز ليفى ـ بلاسيه .

٥ ـ فيكتورين نينو الشهيرة بمارسيل ـ موظفة بشركة الفابريقات الإنجليزية .

٦ ـ ماكس بنيت ـ بشركة أنجلو إجييشيان .

٧ ـ بول فرانك (هارب) .

٨ ـ فيليب هرمان ناتانسون ـ مساعد سمسار بمكتب إيلى كوريل .

٩ ـ روبير نسيم داسا ـ كاتب تجارى .

١٠ ـ إيلى جاكوب نعيم ـ موظف بشركة شوارتس .

١١ ـ يوسف زعفران ـ مهندس معمارى .

١٢ ـ ماير صمويل هيوحاس ـ قومسيونجى .

١٣ ـ سيزار يوسف كوهين ـ موظف ببنك زلخا .

بأنهم فى خلال السنوات ١٩٥١ ـ ١٩٥٤ بدائرة محافظتى القاهرة والإسكندرية .

أولا : المتهم الأول حرَّض على اتفاق جنائى وتداخل فى إدارة حركته ، وكان الغرض من هذا الاتفاق ارتكاب الجنايات واتخاذها وسيلة للوصول إلى الغرض المقصود منه وذلك بأن ألف منه ومن باقى المتهمين جماعة ذات شعبتين إحداهما بالقاهرة والأخرى بالإسكندرية تأتمر بأمر دولة أجنبية معادية هى دولة إسرائيل التى يعمل هو ضابطاً بجيشها .

المتهمون من الثانى ـ إلى السابع ، تداخلوا فى إدارة حركة الاتفاق الجنائى ، وتولى المتهم الثانى إدارة فرع الجماعة بالقاهرة ، وتولى المتهم الثالث إدارة فرعها

بالإسكندرية إلى أن أسندت رياسته إلى المتهم الرابع ، وتولى المتهم الخامس أعمال سكرتارية الجماعة وشئونها المالية ، وقام المتهم السادس والسابع بالإشراف على أعمالها نيابة عن المتهم الأول وبتكليف منه بعد مغادرته الأراضى المصرية . واشترك المتهمون من الثامن — إلى الثالث عشر فى الاتفاق الجنائى .

ثانيا : تخابروا مع دولة أجنبية معادية ، وأثاروا الفتن ، وأعدوا مصنعا لصنع المواد المفرقعة .

قائمة الشهود :

١٧ شاهدا فى مقدمتهم البكباشى محمد سمير درويش ، مفتش المباحث العامة بالإسكندرية سابقا و٣ ضباط بإدارة المباحث الجنائية وبعض ضباط فرقة مطافىء الإسكندرية ، والبكباشى صلاح ليب ، مفتش المفرقعات بالمنطقة الشمالية بالإسكندرية .

ملاحظات النيابة :

١ — اعترف فيليب ناتانسون بأن شخصا حضر إلى مصر خلال عام ١٩٥١ ، تبين أنه المتهم إبرام دار وكان يتسمى باسم مستعار هو جون دارلنج ، وكون جماعة من الشباب الإسرائيلى تهدف إلى خدمة إسرائيل فى مصر . وقرر أنه اشترك مع المتهمين فيكتور مويز ليفى وروبير نسيم داسا وصمويل باخور عازار فى هذه الجماعة التى أوفدته هو والمتهم روبير داسا إلى إسرائيل لدراسة العمل الذى يناط به أداؤه لحساب إسرائيل ، فتلقى دروسا فى التصوير والكيمياء ، ثم عاد إلى مصر عن طريق فرنسا .

وأعد فى مسكنه غرفتين ، إحداهما لصناعة القنابل الحارقة وهى الغرفة الملحقة بحديقة مسكنه ، والأخرى للتصوير والتكبير الفوتوغرافى ، كما قرر أنه أعد لحساب الجماعة بعض هذه القنابل ، وأنه هو الذى وضع القنابل فى بريد الإسكندرية مع فيكتور ليفى فى ٧ / ٧ وفى مركز الاستعلامات الأمريكى بالقاهرة فى ١٤ / ٧ ، وأن المتهمين روبير نسيم داسا وصمويل عازاز ارتكبا حوادث وضع القنابل فى دار المركز الأمريكى بالإسكندرية فى ١٤ / ٧ ومكتب أمانات القاهرة للسكك الحديدية ودارى سينما راديو وريفولى يوم ٢٣ /٧ .

٢ — المتهم فيكتور ليفى انضم إلى الجماعة ، وسافر إلى إسرائيل ، ومكث

هناك ٦ شهور ، ودرس فيها اللاسلكى والطبوغرافيا ، والتقى هناك بموسى ليتو الذى كان يدرس اللاسلكى .

وعند عودته إلى مصر استأجر شقة فى شارع المستشفى بالإسكندرية باسم صمويل عازار ، جهزها بأجهزة التراسل وكان الجهاز فى فجوة كتاب .

وقد تلقى الجهاز من موسى ليتو ، الذى تلقاه مع آخرين من مركز المنظمة فى الخارج ، كذلك اعترف بارتكابه مع ناتانسون وروبير داسا وصمويل عازار حوادث وضع القنابل .

وقال بأن ما ضبط عند ناتانسون من مواد حارقة وأدوات تصوير قد أحضر لحساب التنظيم وأن الأشرطة الفوتوغرافية التى عُثر عليها تضمنت شرحا لطريقة استعمال الأجهزة اللاسلكية المضبوطة فضلا عن رموز شفرية تتألف منها لغة التخاطب بهذه الأجهزة .

وقرر أن الأشرطة الخاصة بالتركيبات الكيمائية أحضرها ناتانسون عند عودته من إسرائيل ، أما أشرطة الشفرة فقد أرسلت من الخارج بواسطة لصقها على بطاقة مصورة (كارت بوستال) وهى مكتوبة بطريقة سرية ، غير مرئية .

٣ ــ اعترف صمويل عازار بأنه تولى إدارة فرع الإسكندرية أول الأمر ، واتخذ شقة بحى الأزاريطة لاجتماعات التنظيم ، وتلقى من بنيت ٢٠٠٠ جنيه للتنظيم ، وسلم مايو ميوحاس ٥٠٠ جنيه للغرض نفسه .. ثم انتقلت إدارة المنظمة إلى فيكتور ليفى بعد عودته من إسرائيل ، واتخذ شقة فى شارع المستشفى الأميرى وضع فيها جهازين وأشار إلى أن الإريال المتصل بالجهازين ، نصبت فى الشقة فى وضع فنى ، يجعل دائرة التراسل تمتد شرقا إلى إسرائيل ، وغربا إلى ليبيا .. وإثر علمه بالقبض على ناتانسون ، وفيكتور ليفى ، وروبير داسا ، سلم بول فرانك الذى كان يتسمى باسم مستعار هو روبير ، والذى قدم إلى مصر حديثا قبيل ارتكاب حوادث المفرقعات ، للإشراف على التنظيم ، وتفقد نشاطه ، فسلمه الجهازين

٤ ــ اعترف روبير داسا بأنه شارك فى وضع قنبلتين فى صالة المطالعة بالمركز الأمريكى بالإسكندرية ، اشتعلت الأولى يوم ١٤ / ٧ / ١٩٥٤ ، أما الثانية فلم تشتعل بسبب خطأ فى نسب تركيبها كيميائيا ، وقد أرشد إلى المكان الذى عُثر فيه على القنبلة

سالفة الذكر يوم ٥ / ٨ / ١٩٥٤ ، واعترف بأنه تسلم وزميله ناتانسون مبلغ ٦٠٠ جنيه من موسى ليتو ، لتغطية نفقات سفرهما إلى إسرائيل للتدريب على أعمال المنظمة .

٥ — قررت والدة ناتانسون ، وتُدعى مارجريت ناتانسون أن ابنها كان يتخذ غرفة فى حديقة المسكن يجتمع فيها مع صديقه فيكتور ليفى ، وروبير داسا ، وكانوا يقومون بسحق ودق مساحيق فى تلك الغرفة بمقولة أنهم يعدون طلاء . كما قرر والد المتهم ، هرمان ناتانسون ما يفيد تردد فيكتور ليفى على ابنه ، واجتماعهما فى غرفة الحديقة .

٦ — اعترف موسى ليتو بأن إبرام دار ، حضر إلى مصر فى أواخر عام ١٩٥١ ، وكان اسمه جون دارلنج ، وقابله وأفهمه أنه قد اختاره لعمل سرى دقيق ، يجريه لصالح إسرائيل ، ثم عين له نوع العمل مع المتهمين إيلى جاكوب نعيم ، وفيكتورين نينو الشهيرة بمارسيل . وبعدها غادر إبرام دار مصر ، ثم كتب إليه يستدعيه للقائه فى فرنسا ، ففعل ، وهناك أعد إبرام دار أوراقه للسفر إلى إسرائيل ، وفى إسرائيل مكث ٦ أشهر ، ولما عاد إلى مصر ، تلقى أمرا بترحيل فيليب ناتانسون ، وروبير داسا إلى إسرائيل ، فأعطاهما ٦٠٠ جنيه للنفقات ، وكان قد تسلم المبلغ من مارسيل ، وتسلم منها أيضا جهازين لاسلكيين ليحتفظ بأحدهما ويبعث بالآخر إلى الإسكندرية .

٧ — وقرر ماير يوسف زعفران أنه انضم بعد تشكيل المنظمة ، وبحث مع موسى ليتو طريقة ترويج الدعاية فى مصر لإسرائيل بتوزيع المنشورات والمطبوعات ، وأن موسى ليتو أعد ٥ مساكن فى القاهرة تنفيذا لرغبة إبرام دار الذى تبين أنه ضابط فى الجيش الإسرائيلى .

وكان ماير زعفران يتقاضى ٣٠ جنيها مكافأة شهرية وأن جاكوب نعيم كان يتقاضى ٥ جنيهات على النحو الوارد بقوائم حسابات التنظيم ، التى ضبطت لديه فى مسكنه .

٨ — التقت مارسيل بدلهر فى مصر ، وقبلت الانضمام إلى التنظيم ، وكانت حلقة الاتصال بين التنظيم فى مصر ومقره فى الخارج ، وبين فرعى التنظيم فى العاصمة والإسكندرية ، وقد تلقت ما يزيد على ألف جنيه لحساب المنظمة ، وكانت توزع هذه

المبالغ مناصفة بين فرعي القاهرة والإسكندرية .

وذكرت مارسيل أن ماكس بنيت قدم إلى مصر مبعوثا من إبرام دار ، وأنه يشغل وظيفة ميجور فى الجيش الإسرائيلى ، وقد سلمها جهازين لاسلكيين للإرسال ، كان قد أدخلهما مصر بتكليف من إبرام دار .

وقالت إن التنظيم كان يستهدف إعداد خريطة مفصلة للمناطق العسكرية فى مصر ، فنهض موسى ليتو وماير زعفران للقيام بالمهمة وكانا يقومان باستكشاف المناطق الحربية والقناطر ....إلخ .

٩ ــ اعترف ماكس بنيت بأنه يعمل لحساب إسرائيل والوكالة اليهودية بإيطاليا وإيران ، وقال إنه أراد أن يغادر إسرائيل فسمحت له السلطات ، بشرط تعهده بإجراء ما يكلف به ، وأضاف أنه سافر إلى ألمانيا ، وفى مدينة بولون اتصل به المتهم إبرام دار واستنجزه وعده فى إسرائيل ، وطلب منه السفر إلى مصر للاتصال بأفراد المنظمة على أن تلتزم إسرائيل بمنحه رتبة ميجور فى الجيش ، وفى مصر اتصل بمارسيل التى أرشدته إلى أفراد التنظيم .

وأضاف أنه سلم مبلغا من المال إلى صمويل عازار بتكليف من مارسيل ، وقال إنه غادر مصر إلى ألمانيا بعد ٦ شهور ، وعند عودته ، أدخل ٣ أجهزة اتصال ، تسلمها من إبرام دار فى فرنسا ليسلم اثنين منها إلى مارسيل ، واحتفظ بالثالث ، وكان يخفيه فى وعاء للزيت ، وضعه فى سيارته الخاصة .

١٠ ــ كان على ماير يوسف زعفران الترويج والدعاية وعرض عليه السفر إلى إسرائيل للتدريب على الدعاية لكنه رفض ، واعترف بأنه كان يجمع الأنباء المشوهة عن مصر لإذاعتها فى الخارج .

١١ ــ اعترف ماير صمويل بأنه استلم مبلغ ٥٠٠ جنيه تحت الحساب وأن ماكس بنيت تحدث إليه لإنشاء مصنع لحساب المنظمة ، يُستخدم وقت الحرب .

١٢ ــ تبين من التحريات أن السيارة التى استعملها بول فرانك المُسمى ر بير قد بيعت إلى سعد حسن حسنين ــ تاجر سيارات ، وقرر أنه اشتراها فى ٢ / ٨ / ١٩٥٤ .. من شخص يدعى بول فرانك أرشد إلى شخصه فى صوره .

١٣ ــ ضبط فى بيت ماكس بنيت تقرير عن حالة مصر السياسية والاقتصادية ، وآخر

عن مركز الحكومة القائمة من وجهة نظر الداخلية والخارجية ، وثالث عن نظرة مقارنة بين مصر وإسرائيل .

١٤ ــ تقرير خبير المفرقعات أن الأغلفة تحمل اسم مارون إيساك بالإسكندرية ، حُشيت بمواد تبين أنها كلورات البوتاسيوم وأكسيد الحديد وزنك معدنى وكبريت ومسحوق معدن الألمونيوم ، وتبين أن السائل الذى وضع فى الأنابيب المطاطية المتصلة بالأغلفة هو حامض كبريتيك مركز ، وخلص التقرير إلى أن هذه المواد تكون قنابل حارقة ، صنعت محليا ، بقصد إحداث حرائق .

١٥ ــ تبين من تقرير الأستاذ محمد زكى الدالى رئيس شعبة الهندسة الكهربائية ــ بجامعة الإسكندرية أن حدوث حريق بمكتب الاستعلامات الأمريكى بالإسكندرية من التماس بين الأسلاك الكهربائية أمر بعيد الحدوث .

١٦ ــ فى تقرير خبير المفرقعات أن القنبلة التى اشتعلت فى دار سينما راديو قنبلة حارقة ، أما قنبلة سينما ريفولى ففيها برمنجانات البوتاسيوم ، وملح النوشادر ، ومادة الكبريت ، والماغنسيوم المعدنى ، وحامض الكبريتيك المركز ..

لذلك .. وطبقا لمواد الإحالة ، التى استندت إليها النيابة ، نطالب بإعدام كافة المتهمين ، بعد إحالتهم إلى المحكمة العسكرية العليا .

مصطفى الهلباوى	حافظ سابق
رئيس نيابة أمن الدولة	النائب العام

مذكرة معلومات من السفارة العراقية بشأن الكولونيل ـ الجاسوس ماكس بنيت

سعادة وزير الخارجية

الدكتور محمود فوزى

تهدى السفارة العراقية بمصر أسمى تحياتها إلى وزارة الخارجية المصرية ، وتتشرف بأن تبدى أن السلطات العراقية المختصة ، كانت قد ألقت القبض ، سنة ١٩٥١ ، على عصابة صهيونية ، تعمل لصالح إسرائيل[1] وقد تبين من نتيجة التحقيقات أن رئيس هذه العصابة هو ماكس بنيت الذى كان يقيم وقتها فى طهران ، ولم تستطع السلطات العراقية ، القبض عليه ، ولكن تحقق لها من المعلومات التى جمعتها أنه من أصل روسى ، وبريطانى ألتبعية[2] وهو رئيس الجمعية الصهيونية السرية فى طهران ، حيث يقيم فيها ، وهو يشتغل بالظاهر كوكيل لشركة كاشان للسجاد ، إلا أنه يقوم سريا بإدارة حركة التجسس لمصلحة إسرائيل فى إيران ، إذ إنه يتلقى الأوامر والتعليمات من تل أبيب مباشرة ، وهو العضو الفعال فى الوكالة اليهودية فى طهران ، والمسئول المباشر عن الأعمال الآتية :

١ ـ جواز مرور اللاجئين أو المهاجرين اليهود .

٢ ـ تسفير من يجب تسفيره وإبقاء من يجب إبقاؤه فى إيران لغايات تتعلق بأعمال الصهيونية على اختلاف طبيعتها .

٣ ـ اتخاذ التدابير اللازمة لتهريب الرجال والأموال اليهودية من إيران وإليها .

٤ ـ مراجعة وزارتى الداخلية والخارجية فى طهران ، وكذلك دوائر الجوازات هناك للحصول على جوازات مرور إيرانية لمن يريد تسفيرهم إلى إسرائيل .

٥ ـ تعيين أوقات طيران الطائرات اليهودية الواردة إلى طهران من تل أبيب .

كما أن المعلومات قد دلت على أن هذا اليهودى هو المسيطر على الوكالة اليهودية فى طهران ، وكان دائم التنقل بين مملكة وأخرى بطرق خفية ، فقد سافر إلى سوريا ولبنان ومصر ، وجاء إلى العراق سنة ١٩٤٨ ، متنكرا بزى قسيس مسيحى ، وكان رافقه شخص آخر من أصل روسى ، كما كان يتردد كثيرا بين إيران وتركيا لإيصال ما لديه من معلومات إلى إسرائيل بواسطة السفارة الإسرائيلية فى أنقرة .

وفى شهر تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٥١ ، سافر من إيران إلى تركيا لمهمة

صهيونية بسيارة ماركة بويك ، يقودها يهودى اسمه يهودا وكانا متنكرين ومعهما شخص ثالث ، وقد صدرت الأوامر فى حينه إلى البلاد العراقية لإلقاء القبض عليهم فى الأراضى العراقية ..

وقد دلت المعلومات على أنه قد سهل وصول الجاسوس الصهيونى ، المسجون حاليا فى العراق ، المدعو إسماعيل صلحون ، واسمه الحقيقى يهودا ميرفش تاجر ، الذى كان يرسل جميع تقاريره إلى جنيف ، بعنوان صندوق بريد رقم ١٦٠٢ ، و٥٣ طهران .

ومن التحقيقات السرية التى أُجريت بخصوص قضايا المنظمات الصهيونية فى العراق نعرف أن المشار إليه هو رئيس مكتب أعمال شبكة التجسس الصهيونى فى طهران ، وهو الذى يدير أعمال شبكة التجسس المذكورة فى العراق ، من مقره بطهران .

وبما أن المحاكم العراقية قد حكمت على أعضاء هذه العصابة بأحكام مختلفة تتراوح بين الإعدام والأشغال الشاقة المؤبدة والمؤقتة ، وبما أن من المحتمل جدا أن يكون ماكس بنيت كان مطلوبا من السلطات العراقية على ذمة القضية لمحاكمته ، لذلك يسر السفارة أن تتفضل الوزارة المحترمة بعرض هذه المعلومات على السلطات المصرية المختصة[٣] التى تقوم بتحقيق قضية الجاسوسية المطروحة على المحاكم المصرية للتأكد أنه هو الشخص الذى كان يرأس العصابة الصهيونية فى العراق .

التوقيع

القائم بالأعمال

الملاحظات :

(١) المقصود منظمة تجسس تعمل لصالح إسرائيل .

(٢) هناك مصادر أخرى تؤكد أنه من أصل ألمانى .

(٣) حولت وزارة الخارجية الخطاب إلى وزارة الداخلية ، التى حولته بدورها إلى المباحث العامة ، ثم أرسلته المباحث العامة إلى ممثل الادعاء فى القضية ، الذى قرأ ما جاء فيه فى جلسة الأول من يناير ١٩٥٥ .

نص برقية إيجال آلون إلى رئيس منظمة « الحركة » اليهودية فى العراق

« أخى رمضان ...

« لقد شعرت بالرضا التام عندما علمت أنك نجحت فى تكوين جماعة ، وأننا تمكنا من أن ننقل على الأقل بعض الأسلحة المخصصة لك .

« ومن المحزن أن نفكر فى أن اليهود قد يتعرضون مرة أخرى إلى المذابح ، وتُغتصب بناتنا ، ويتلطخ شرف أمتنا مرة أخرى ...

« وإذا ما نشبت اضطرابات أخرى فسيكون بمقدورك التوسع فى اختيار المدافعين والزملاء اليهود الجدد الذين لم يتم حتى الآن تنظيمهم كأعضاء فى المنظمة السرية .

« ولكن ...

« عليك بالحذر من التسرع فى تنفيذ ذلك ، لأن ذلك يعرض للخطر أمن وحداتك التى تعتبر فى الحقيقة الدفاع الوحيد ضد أية مذبحة منظمة ، رهيبة » .

إيجال آلون

قائد الكوماندوز

رسالة من السفير الأمريكي فى القاهرة بشأن شبكة التجسس اليهودية !

من القاهرة ــ السفارة ــ بواسطة الهواء ــ ٣ أغسطس ١٩٥٤ .

رسالة محدودة الانتشار تحمل رقم ١٩٤ (رقمها فى الأرشيف ١٥٥٤ ــ ٧ / ٧٤١ ــ ٥١١)

إلى وزارة الخارجية ــ واشنطن .

الموضوع : حرائق المكتبة فى القاهرة والإسكندرية ــ مصر .

كما جاء فى التقارير السابقة ، اكتُشفت ٣ قنابل حارقة فى المكتبة الأمريكية بالقاهرة صباح ١٥ يوليو ١٩٥٤ .. سُلمت إلى قوات البوليس المصرى الذى سارع على الفور بالتحقيق فى الأمر .. وفى يوم الثلاثاء ٢٧ يوليو ، نشرت صحف القاهرة البيان التالى :

« فى ٣ يوليو الجارى ، اندلعت النيران فى صندوقين للبريد فى مبنى البريد الرئيسى بالإسكندرية وعُثر على طرد اسطوانى يمتلىء بالمواد الحارقة فى صندوق آخر للبريد ، بالقرب منهما .

« وليلة ١٤ يوليو ، اندلعت النيران فى المكتبة الأمريكية بالإسكندرية ، وفى الوقت نفسه ، شاهد ضابطا شرطة ألسنة اللهب تندلع من مكتبة السفارة الأمريكية بالقاهرة .

« وفور إخماد النيران ، أجرى التحقيق ، وعُثر على ثلاثة صناديق من الزجاج تحتوى على مواد قابلة للاشتعال ، من المواد نفسها التى استُخدمت فى الاعتداء على مكتب البريد .

« وأجرت المباحث العامة تحقيقات موسعة لمعرفة مرتكبى هذه الاعتداءات ، وشدد البوليس الحراسة على هذه المبانى .

« وفى ليلة ٢٣ يوليو كان رجل بوليس فى خدمته عند سينما ريو بالإسكندرية ، عندما اعتقل داخل السينما شخصا أحرقت النيران ملابسه .. وفتش ضابط الرجل فوجد فى أحد جيوب بنطلونه علبة زجاجية تحتوى على بقايا مواد قابلة للاشتعال ، من النوع نفسه الذى وجد فى أماكن الحرائق السابقة .

« والرجل إسرائيلى ، بلا جنسية اسمه فيليب هرمان ناتانسون ، وعندما فُتش منزله ، وجدت فى إحدى الغرف كميات كبيرة من مواد كيماوية تستخدم فى صنع المواد الحارقة .

« فى الليلة ذاتها عثر البوليس فى سينما راديو ، وسينما ريفولى فى القاهرة ، على علب زجاجية تمتلىء بالمادة نفسها ، سريعة الاشتعال ، التى ضُبطت فى الإسكندرية ، ولم تكن المادة التى فى هذه العلب قد اشتعلت بعد .

« وكشفت التحقيقات أن المتهم له شريكان إسرائيليان هما فيكتور ليفى وروبرت نسيم داسا وهما من سكان الإسكندرية ، واعتُقل الأول ، وبدأت النيابة تحقيقات جديدة ، واعترف المعتقلان بأنهما ارتكبا كل الجرائم السابقة ، وطاردت الشرطة المتهم الثالث ، حتى قبضت عليه فى الإسكندرية عند عودته من القاهرة عقب ارتكابه عدة جرائم هناك .

« وكل المتهمين معروفون بنشاطهم ...ات فى إدارة

فى يوم الإثنين ٢ أغسطس ، طلب اللواء عبد العزيز صفوت مدير أمن القاهرة ، من ضابط الأمن الإقليمى د . إنجى سميث — الثالث أن يحضر إلى مكتبه لبحث الاعتقالات التى قامت بها الشرطة المصرية فى هذه القضية ، وقال له الجنرال صفوت إنه لا بد لنا أن نعرف القصة التالية ، لأن إعداد تقرير مفصل يمكن أن يستغرق بعض الوقت . والقصة التى رواها اللواء صفوت عن الاعتقالات هى كالتالى :

« فى ليلة ٢٣ يوليو اعتقل رجل بوليس شخصا ، هو فيليب هرمان ناتانسون فى سينما ريو بالإسكندرية . ناتانسون لفت انتباه الضابط الذى اعتقله لأن ثيابه اشتعلت عند مدخل السينما .. ناتانسون نقل إلى المستشفى وبتفتيشه وُجد معه قنبلتان حارقتان من النوع الذى استُخدم فى حرائق وكالة المعلومات الأمريكية U.S.I.S. ووجد مثلها عندما اقتحمت الشرطة منزله ».

واعتُقل ليفى ، ووُجدت كميات كبيرة من المواد الكيماوية الحارقة فى غرفته .

« قال كل من ناتانسون وليفى إن لهما شريكا ثالثا ، هو روبرت نسيم داسا .. وصباح ٢٤ يوليو اشتعلت النيران فى حقيبة كانت فى مخزن محطة سكك حديد القاهرة .

وجرى تفتيش دقيق لدور السينما فى كل القاهرة ، لأن ناتانسون وليفى قالا إن داسا سيقوم بإحراق سينما راديو ، وسينما مترو ، فى مساء ٢٣ يوليو ، وعثر ضابط على قنبلة حارقة فى سينما راديو ، نقلها إلى شباك التذاكر ، وقد اشتعلت القنبلة هناك ، وعُثر على قنبلة أخرى فى سينما ريفولى ، ولكن أبطل مفعولها ، قبل أن تشتعل ، وقبض على داسا فى وقت لاحق من ذلك اليوم ، عندما وصل إلى الإسكندرية قادما بسيارة أتوبيس من القاهرة . واعترف الثلاثة بوضعهم القنابل الحارقة ، وقالوا إن أربعة قنابل حارقة وُضعت فى وكالة المعلومات الأمريكية فى القاهرة ، وواحدة فى وكالة المعلومات الأمريكية فى الإسكندرية .

وقال اللواء صفوت إن ما نشرته الصحف من أن هؤلاء من الصهيونيين المعروفين غير صحيح ، فالثلاثة من الرعايا المصريين ، وليس لداسا وليفى أى سجل فى الشرطة ، إلا أن ناتانسون مسجل كشيوعى سابق . وسأل مستر سميث الجنرال عن بيانات الصحف ، فكان رده الوحيد « كلها غير صحيحة » .

من المفترض أن ليفى كيميائى ويعمل لحساب شركة كيميائية فى الإسكندرية واستنادا لما قاله الجنرال إن ناتانسون وليفى تعلما صنع القنابل الحارقة فى باريس بفرنسا منذ سبعة أشهر تقريبا ، وقالا إنهما استخلصا التركيبة من أحد الكتب ، وعثر البوليس على التركيبة عندما اقتحم غرفة ليفى ، وبعد ذلك أصبح الجنرال صفوت قلقا من حديثه إزاء بعض المعلومات التى أدلى بها ، وطلب أن تبقى سرا دفينا لأنه من الواضح أنه أحس بأن معلوماته مخالفة للبيانات الرسمية .

ووعد الجنرال صفوت بتزويد مركز الأمن الإقليمى فى هذه السفارة بتقرير مفصل عندما ينتهى التحقيق فى الإسكندرية .

جيفرسون كافرى

المصدر : Green: Taking Sides: America's Secret Relations With a Militant Israel .

وثيقة من المخابرات الأمريكية بشأن فضيحة لافون ،وتأثيراتها السياسية على العرب وإسرائيل

وكالة المخابرات المركزية
واشنطن — دى . سى — ٢٥
مكتب المدير
٨ فبراير ١٩٦١

مذكرة إلى البريجدير — جنرال تشستر . فى . كليفتون — المساعد العسكرى للرئيس .

مرفق طيه مذكرة بشأن الأزمة الراهنة للحكومة فى إسرائيل ، وموقف بن جوريون من قضية لافون ، التى شعرت بأنها تهم الرئيس .

أكون شاكرا إذا أعدتم هذا التقرير بعد أن يكون قد حقق غرضه .

آلان . و . دالاس
المدير

مرفق — ٧ فبراير ١٩٦١

الموضوع — استقالة رئيس الحكومة — بن جوريون .

١ — إن استقالة بن جوريون هى قمة ما وصلت إليه الخلافات القديمة داخل الحزب ، وهى ذات طابع شخصى وعقائدى ، وصلت إلى منتهاها خلال شهرى ديسمبر — ١٩٦٠ ويناير ١٩٦١ .. إن التوترات الناجمة عن قضية لافون التى وصفتها الصحافة الإسرائيلية الخاضعة للرقابة بأنها حادث أمنى خطير ، يضر بالمصالح الحيوية لإسرائيل ، قد ازدادت حدة عندما وصل النزاع إلى أشده بسبب ما كشفته الصحافة البريطانية والأمريكية بصورة غير متوقعة ، عن وجود مفاعل نووى ثان ، كبير ، يجرى تشييده بالقرب من بئر سبع ، وانتقاد بن جوريون إلى يهود(*) الشتات الغربيين بسبب عدم رغبتهم فى الهجرة إلى إسرائيل .. إلا أن الموضوع الأساسى يتعلق بسياسة الحكومة فى عدد من الميادين ، وزعامة إسرائيل فى المستقبل بعد رحيل رئيس الوزراء الحالى (٧٤ سنة) أو اعتزاله ، والطبيعية الأيديولوجية لدولة إسرائيل .

(*) هامش فى الوثيقة : « اليهود يرحلون خارج إسرائيل » .

٢ ــ يجمع الكثير من الإسرائيليين المطلعين ، على أن أقوى وأذكى زعماء إسرائيل وأكثرهم خبرة ، بعد بن جوريون هو بنحاس لافون ، الذى كان وزيرا سابقا للدفاع فى حكومة موشى شاريت سنة ١٩٥٤ ، وهو يشغل حاليا منصب الأمين العام للهستدروت ، وهى منظمة اتحاد العمال القوية جدا فى إسرائيل .. ويتطلع لافون ، وهو صهيونى قديم ، ومن مؤسسى الدولة ، وعضو بارز فى حزب ماباى الذى يتزعمه بن جوريون ، إلى منصب رئيس الوزراء خلفا لبن جوريون ، وبصفته الناطق باسم الهستدروت التى تأسست قبل ٢٦ سنة من إنشاء الدولة ، فإنه كثيرا ما كان يعارض سياسات الحكومة الاقتصادية والعمالية . لكن أصول ما يسمى قضية لافون ترجع إلى سنة ١٩٥٤ .

٣ ــ خلال ١٣ شهرا من أواخر ١٩٥٣ حتى ١٩٥٤ ــ حين انعزل بن جوريون فى منعزله الصحراوى فى سدى بوكر ــ شغل لافون منصب وزير الدفاع فى وزارة رأسها موشى شاريت : وتحت رعاية دبلوماسية شاريت الهادئة والبارعة ، تم أول اتصال من نوعه ، وهو الاتصال الوحيد الذى أجرته إسرائيل مع مصر فى تاريخها .

(مساحة بيضاء فى الوثيقة)

وقد علق شاريت أهمية كبرى على قناة الاتصال ، إذ كان يأمل بواسطتها بأن يفاوض من أجل سلام دائم بين العرب واليهود . ووعد شاريت بأن يستخدم إمكانية الصهيونية العالمية كلها لمساعدة عبد الناصر على تحقيق طموحاته فى أن يصبح الزعيم الأوحد لعالم عربى موحد فى مقابل السلام ، واستمع ناصر باهتمام .. وكانت سياسة الحكومة الإسرائيلية فى ذلك الوقت هى عدم القيام بأى عمل يزعزع الوضع القائم ، أو استعداء العرب بأى شكل من الأشكال .

٤ ــ على الرغم من الإصرار على هذه السياسة فقد قام البريجادير جنرال بنيامين جيفلى ــ وهو ضابط محترف ، ومتمكن وله مستقبل لامع فى جيش الدفاع الإسرائيلى ، ورئيس قسم (جى ــ ٢) ــ المخابرات العسكرية ــ قام فى منتصف سنة ١٩٥٤ وهو يخدم تحت قيادة لافون بإرسال شبكة تجسس إلى مصر ، تستهدف بعض أغراض المخابرات المعروفة وعددا من مهام العمل السياسى ، قيل إن إحداها هو تفجير مكتبتى وكالة المعلومات الأمريكية فى القاهرة

والإسكندرية فى ١٤ يوليو ١٩٥٤ ، بهدف الإضرار بالعلاقات الأمريكية المصرية(**) وكشفت أجهزة الأمن المصرية أمر الشبكة ، واعتقلت ١٣ يهوديا ، قدموا إلى المحاكمة ، ورغم الجهود التى بذلتها الولايات المتحدة — بطلب من الحكومة الإسرائيلية — لتخفيف الأحكام الصادرة ، فقد أعدم اثنان منهم ، وانتحر أحدهم فى السجن ، وحكم على عدد منهم بالسجن لفترات طويلة ، وهرب البعض الآخر .

وبعد أن تحرر ناصر من الوهم ، وبعد أن أصبح يعتقد أن الاتصالات بينه وبين شاريت كانت تهدف إلى خداعه ، أمر بإيقاف الاتصالات كلها ، مما خلف شعورا بالأسى فى كلا المعسكرين .

وبعد اكتشاف الشبكة الإسرائيلية شن المصريون سلسلة من الغارات المسلحة على طول الحدود المصرية — الإسرائيلية أدت فيما بعد إلى الغارة الانتقامية الإسرائيلية العنيفة على غزة فى ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ، وعندما حاول السيد روبرت ب . اندرسون (وزير الخزانة فيما بعد) التوسط فى ديسمبر ١٩٥٥ ، أعاد الرئيس ناصر إلى الذهن هذه الحوادث قائلا إن « ثقته فى الإسرائيليين قد تزعزعت بصورة خطيرة » .

(مساحة بيضاء فى الوثيقة)

ونتيجة لما توصل إليه التحقيق ، الذى لم تعلن نتائجه أبدا ، طلب شاريت من لافون وجيفلى الاستقالة من منصبيهما ، على الرغم من أن تهمة سوء التصرف لم توجه إلى أى منهما ، وذلك لأنهما خربا مفاوضاته السلمية ، وفى فبراير ١٩٥٥ ، عاد بن جوريون من عزلته ، وشغل منصب لافون ، الذى عين فيما بعد أمينا عاما للهستدروت فى سنة ١٩٥٦ ، أما جيفلى فقد واصل عمله العسكرى فولى قيادة القطاع الشمالى فى جيش الدفاع الإسرائيلى وأصبح بعد ذلك ملحقا عسكريا فى لندن . وفى نوفمبر ١٩٥٥ ، خلف بن جوريون شاريت فى رئاسة الوزراء ، وعين شاريت وزيرا للخارجية .

٦ — كان لافون مصرا على تبرئة نفسه من المسئولية بكاملها ، بعد أن أدرك أن فرصته فى العودة إلى الميدان السياسى ستبقى بعيدة

(**) هامش فى الوثيقة : جاء فى الكتاب الأبيض الصادر عن وزارة الإرشاد المصرية بعنوان « قضية الجاسوسية الصهيونية فى مصر » إن هذه الشبكة حاولت تدمير مكتبتى وكالة المعلومات الأمريكية .

المنال ما دامت سمعته مشوهة بسبب هذا الفشل . إلا أن لافون لم يستطع أن يملك دليل براءته حتى عام ١٩٦٠ ، حين اكتشف خلال زيارته لأوروبا

(مساحة بيضاء فى الوثيقة)

أن الجنرال جيفلى قد ارتكب جريمة الحنث باليمين ، فعاد لافون إلى إسرائيل وطلب إعادة فتح ملف القضية ، وتم ذلك بواسطة لجنة وزارية مكونة من سبعة أعضاء فى الحكومة ، كانت مقبولة من كافة أطراف الائتلاف باستثناء حزب المابام ، وبعد أن استمعت اللجنة إلى شهادات مفادها أن الأمر الصادر كان مزورا ، وأن الجنرال جيفلى حنث بيمينه ، أعلنت تبرئة لافون بالكامل من كافة المسئولية فى ذلك الخطأ الأمنى الذى وقع سنة ١٩٥٤ .

ونال القرار رضا لافون الذى أعلن أنه على استعداد لأن ينسى الحادث إلا أن القرار أثار غضب بن جوريون ، فأبلغ اللجنة بأن الإجراءات التى اتبعتها « غير صحيحة ومضللة » وأنها « تؤدى إلى الإجحاف وتجزئة الحقيقة وتحطيم العدالة » ، وطالب بن جوريون بتحقيق قضائى (عارضه لافون) وهدد بالاستقالة . وندد بن جوريون علنا بلافون ، وقال إنه كاذب وشخص عديم الأخلاق ، وذلك بعد أن استند إلى أدلة جديدة غير حقيقية كشفها الجنرال ديان ، وهنا تمزقت الوزارة واللجنة المركزية للماباى ، وهددت جولدا مائير وزير الخارجية ــ التى عرف عنها عداؤها لديان وبيريز ومناصرة لافون ــ بالاستقالة من الحكومة إذا استمر بن جوريون فى متابعة القضية وقيل إنها كانت تشعر بأن الصراع يضر البلاد وبحزب ماباى ، وأن استمراره لن يفيد بشىء على الإطلاق .

٧ ــ بن جوريون تركيبة فريدة من رجل الدولة ، والسياسى القوى الإرادة الذى يحب بقوة ويكره بقوة وقد حاول أكثر من مرة ليس فقط تدمير خصومه السياسيين ، وإنما ذكراهم أيضا . وقد وجد فى لافون خصما عنيدا على ما يبدو ، وحسبما ذكر أحد المقربين منه ، فإن لافون قد آذاه أكثر من أى أذى آخر لحق به من قبل ، لأنه شوه سمعته التاريخية ... وبعد أن تابع هجومه حتى النهاية ، لم يترك لنفسه خيارا آخر سوى الاستقالة .

٨ ــ بالإضافة إلى شعور العداء الشخصى بين الخصمين ، هناك أيضا صراع أيديولوجى تزايدت حدته بسبب التغير الحادث فى طبيعة إسرائيل السياسية والاقتصادية . فقد أثر نفوذ يهود أمريكا وهباتهم السخية ــ منذ نشأة الدولة ــ وكذلك قروض الحكومة الأمريكية الكبيرة ، على تفكير زعماء الحكومة تأثيرا عميقا . وحتى تحل الاستثمارات المستقرة محل التبرعات الخيرية قدم بن جوريون وكثير من قيادات حزب الماباى تنازلات لليهود الغربيين ، وخاصة يهود أمريكا ، وذلك على حساب مبادئهم الأساسية ، ومن خلال خلق بيئة مقبولة ومناسبة سياسيا واقتصاديا كان يأمل بأن يقنع يهود أمريكا بالهجرة إلى إسرائيل ، وهو مبدأ أساسى فى العقيدة الصهيونية ، ومبدأ حيوى بالنسبة إلى أمن الدولة .

وقد أثارت هذه التغيرات حفيظة العقائديين ، وخصوصا لافون ، الذين أسفوا لانحسار روح الريادة لدى الإسرائيليين ، وتحسروا على إفساد المبادىء الاشتراكية . وفى تصريح صحفى أخير قال لافون : « إن السؤال هو .. هل فى استطاعة الأكبر سنا أن يدربوا جيلا من الرجال والنساء على المهارات الفنية ، ويكون فى الوقت نفسه أمينا على القيم الروحية التى شكلت جيلنا الحالى ، وجعلت من إسرائيل ما هى عليه الآن ؟ .. إنه صراع .. خطوة .. خطوة ضد القوى المسيطرة ، لكن يجب أن يستمر النضال مهما بلغت قوة هذه المصالح المسيطرة »

٩ ــ تسيطر على بن جوريون فكرة أمن الدولة والنجاح النهائى للحركة الصهيونية ، وهو على استعداد لأن يبذل ما فى وسعه لكى يصل إلى هذين الهدفين . وربما أمكننا أن نقول إنه عقائدى واقعى لأنه يؤمن بأن الهجرة المتزايدة من يهود الشتات هى وحدها القادرة على إعادة بناء الصهيونية وضمان أمن الدولة . لكن .. فى الوقت نفسه على كل مهاجر أن يجد لنفسه عملا يتماشى مع تطور الدولة ، لذلك فقد اهتم بالعلوم والتكنولوجيا وهما مجالان يتطلبان الحد الأدنى من الموارد الطبيعية وقسما كبيرا من الإمكانيات الذهنية المتوفرة بين اليهود .

من هذه الزاوية ، وبسبب إدراك بن جوريون أن على سكان إسرائيل أن ينتظروا عدة سنوات حتى يبلغوا العدد المناسب للاسترخاء ، عمد ــ دون علم مجلس

الوزراء — إلى إصدار الأوامر فى وقت ما من سنة ١٩٥٦ بالبدء فى بناء مفاعل ثان ينتج البلوتونيوم ويسمح — إذا لزم الأمر — بإنتاج القنبلة الذرية . وقد كشف السر لدائرة محدودة من المقربين إليه ، وحوفظ على السرية تماما عن العالم الخارجى على الأقل حتى أواسط الستينات ، وعندما قامت الصحافة البريطانية والأمريكية بكشف المشروع صُدمت الحكومة والشعب فى إسرائيل نتيجة رد الفعل الأمريكى العنيف . وفى الوقت نفسه ، وعندما بلغت قضية لافون الذروة ، ندد بن جوريون علنا بيهود الشتات ، وذلك خلال المؤتمر الصهيونى العالمى الخامس والعشرين فى القدس ، بسبب عدم هجرتهم إلى إسرائيل ، واستشهد بالتوراة ، وأكد أن اليهود الذين يعيشون خارج إسرائيل ليس لهم رب ، وأثار ذلك احتجاجات واسعة بين يهود أمريكا وهز أركان المنظمات الصهيونية الأمريكية .

١٠ — على الرغم من فقدان الأدلة ، فإن هذه السلسلة من الصدمات الكهربائية التى أصابت الصهيونية فى العصب قد أضعفت بصورة خطرة ثقة أعضاء الحكومة وزعماء حزب ماباى بقيادة بن جوريون فى المستقبل .

وقد اعترفوا علانية بالولاء له ، وحثوه على عدم الاستقالة ، لكن آراءهم الخاصة أثرت — فى الغالب — على قراره النهائى .

وخليفة بن جوريون الأكثر احتمالا حتى الآن هو ليفى أشكول وزير المالية ، الذى أثبت مهارته داخل وخارج إسرائيل ، وخاصة خلال قضية لافون .

وهناك احتمال آخر هو أن يعود شاريت من جديد إلى الحكم ، لكن هذا لا يمنع أن بن جوريون الشخص الوحيد القادر على تأليف حكومة ائتلافية جديدة وقد فعل ذلك مرارا من قبل .

المصدر :

Taking Sides: America's Secret Relation With a Militant Israel by Stephen Green.

عمليـة سـوزانـا فى مذكرات موشى ديان : « قصة حياتى » .

« وفى النصف الأخير من شهر يوليو سنة ١٩٥٤ ، وبينما أنا فى زيارة لقواعد الجيش بالولايات المتحدة لمدة ثلاثة أسابيـع ونصف ، قامت الوحدة (وحدة العمليات الخاصة) بعملية غرفت فيما بعد باسم « فضيحة لافون » ، إذ قامت مجموعة من الوحدة بتنفيذ عدة عمليات تخريب ضيقة النطاق فى القاهرة والإسكندرية ، وكانت النتيجة اعتقال ومحاكمة أحد عشر شخصا من أعضائها ، حكم على بعضهم بالسجن لمدد طويلة ، وكانت ذروة المأساة ، انتحار أحد أعضائها ، وتنفيذ حكم الإعدام فى اثنين آخرين فى أول يناير (الصحيح آخر يناير) ١٩٥٥ .

« أصيب الرأى العام الإسرائيـلى بالذعر ، وتساءل : من الذى أمر بتنفيذ هذه العمليات ؟

« ضابط الجيش الكبير المسئول عن الوحدة (لم يذكر اسم العقيد بنيامين جيفلى) أم وزير الدفاع ؟ .. أما الضابط فإنه أصر على أنه تلقى الأمر من الوزير شفويا فى اجتماع لم يحضره غيرهما ، بينما ادعى « لافون » أن الضابط قد تصرف من تلقاء نفسه وعين رئيس الوزراء لجنة تحقيق من اثنين أحدهما رئيس سابق للمحكمة العليا ، وثانيهما أول رئيس لأركان الحرب ، وانتهت اللجنة إلى أنها عاجزة عن أن تحدد بما لا يدع مجالا للشك من الذى أمر فى الحقيقة بأن تعاود الوحدة نشاطها (الصحيح من الذى أمر بتنفيذ عمليات الحرق) فترك هذا ظلالا من الشك حول كل من « لافون » والضابط فقرر زملاء « لافون » فى الحكومة وفى زعامة « الماباى » وهو الحزب الحاكم ، أن « لافون » يجب أن يخرج من الوزارة ، فقدم استقالته فى ٢ فبراير ١٩٥٥ ، ووافقت الحكومة على قبولها فى ٣٠ فبراير .

« وفى ذلك اليوم عاد « بن جوريون » مرة أخرى وزيرا للدفاع ، وكانوا قد أقنعوه بأن يخفف من وقع الأزمة بتركه للكيبوتز الذى يعيش فيه فى « النقب » وأن يعود إلى الحكومة ويخدم تحت رياسة « شاريت » إلى أن تحين الانتخابات البرلمانية فى فترة لاحقة من تلك السنة . وفى نوفمبر عاد ثانيا رئيسا للوزراء ووزيرا للدفاع . ومن المصادفات أن الضابط الكبير فى « الفضيحة » نقل من منصبه كذلك » .

ديان

جـ ــ ٣ ــ ف ــ ١٢

« وقد تخلى بن جوريون عن منصبه قبل انتهاء فترة رئاسته ، واستقال من منصبى

رئيس الوزراء ووزير الدفاع يوم ١٦ مايو ١٩٦٣ ، وخلفه ليفى أشكول فى المنصبين بعد ذلك بثمانية أعوام .

« وكانت الأحداث التى أدت إلى هذا التغيير قد بدأت قبل ذلك بثلاثة أعوام ، وترجع إلى حادث الأمن المؤسف المعروف باسم فضيحة لافون التى وقعت عام ١٩٥٤ . ذلك أن بنحاس لافون الذى شغل منصب وزير الدفاع فى عام ١٩٥٤ ، أثناء فترة اعتزال بن جوريون المؤقتة فى سدى بوكر ، كان قد أنكر أنه أصدر الأمر بالقيام بعملية الأمن التى أخفقت . وادعى أن ضابطا كبيرا قد تصرف من تلقاء نفسه ، وأصر الضابط على أن لافون هو الذى أصدر الأمر . وفشل التحقيق الخاص الذى أمر بإجرائه موشى شاريت رئيس الوزراء فى ذلك الوقت فى التوصل إلى الحقيقة . وقدم لافون استقالته من منصبه أثناء الأزمة السياسية التى أعقبت ذلك .

« ونظرا لأن التحقيق السرى الذى أجرته وزارة الدفاع قد أسفر عن نتيجة مختلفة تماما ، ولكنها تتضمن إشارة إلى حادث ١٩٥٤ المؤسف فقد لجأ لافون فى سبتمبر ١٩٦٠ إلى بن جوريون الذى تولى رئاسة الوزراء مرة أخرى طالبا منه رد اعتباره . ورد بن جوريون بأن القضاء وحده هو الذى يستطيع أن يفعل ذلك .

« ولم يقتنع لافون بذلك ، بل قام بمجهود كبير حتى نجح فى عرض المسألة على لجنة من الكنيست . وقد تسرب جدول أعمال اللجنة إلى الصحافة ، وكان يتضمن التهم التى وجهها لافون إلى مؤسسة الدفاع .

« ولذا ، كتب الضابط الكبير إلى رئيس الأركان طالبا إجراء تحقيق قضائى يثبت فيه بصفة قاطعة من الذى أصدر الأمر ، هو أم وزيره لافون . وأحال رئيس الأركان هذا الطلب إلى بن جوريون الذى عرض الاقتراح على مجلس الوزراء . وكان على المجلس أن يقرر فقط ما إذا كان من الضرورى تشكيل لجنة قضائية . ولكن أغلب الوزراء قرروا تشكيل لجنة وزارية تتكون من سبعة أعضاء لبحث الموضوع ، وتقدم إلى مجلس الوزراء توصياتها بشأن الخطوات الواجب اتخاذها . وقدمت اللجنة قرارها إلى المجلس بالفعل فى ديسمبر من عام ١٩٦٠ وفيه برأت لافون وألقت المسئولية على الضابط الكبير . وأقر المجلس تقرير اللجنة فى عملية تصويت امتنع فيها أربعة عن التصويت وكنت أنا واحدا من هؤلاء الممتنعين .

« ولم يشترك بن جوريون نفسه فى التصويت ، إذ كان يعتقد بأنه قد حدث إجهاض للعدالة فقد طلب من مجلس الوزراء القيام ببحث مسألة إجرائية — هل تشكل لجنة قضائية أم لا ، ولكنه بدلا من ذلك قام بتكوين لجنة وزارية أجرت تحقيقا واسع النطاق . ولم تكن هذه اللجنة محكمة تتمتع بالسلطة اللازمة ، ولم تجر تحقيقها بوصفها محكمة . ولم يكن من حقها إصدار حكم فى نزاع دائر بين طرفين متخاصمين . إذ لا يستطيع القيام بذلك سوى تحقيق قضائى شامل .

« وعلى ذلك أعلن بن جوريون أمام مجلس الوزراء أنه ليس له شأن باللجنة أو باكتشافاتها أو بتصديق الحكومة ، ونفض يديه من الأمر كله .

« وغادر مكتبه فى اليوم نفسه ، وعاد بعد عدة أسابيع ليقدم استقالته .

« وبعد ١٣ سنة ، وفى اليوم الذى توفى فيه بن جوريون روى لى حاييم إسرائيلى ، الذى كان يعمل مديرا لمكتبى ، والذى عمل فى مكتب وزير الدفاع أثناء تولى بن جوريون لهذا المنصب ، القصة التالية عن تلك الفترة العاصفة .

« فى ديسمبر من عام ١٩٦٠ ، دُعيت اللجنة المركزية لحزب ماباى لعقد اجتماع طارىء ، وتُليت رسالة من بن جوريون إلى الأعضاء المجتمعين ، تقول إن بن جوريون قد قرر أن يقدم استقالته إلى الرئيس وذلك بعد قرار لجنة السبعة بشأن فضيحة لافون . وقد صدم الأعضاء المجتمعون ، وجرت مناقشة تم بعدها تقديم مشروع قرار يقضى بأن حزب ماباى لن يقوم بتشكيل الحكومة إذا ما أصر بن جوريون على الاستقالة . وقد كنت حاضرا واشتركت فى هذه المناقشة ، وعارضت بشدة مشروع هذا القرار . وقلت إن ٩٩ ٪ من تمسكى بالمبادىء التى يمجدها بن جوريون لا ترجع إلى ولائى لشخص بن جوريون ولكن لارتباط بن جوريون بالدولة والدولة تأتى فى المقام الأول ، وقبل أى شىء آخر ، حتى قبل بن جوريون .

« وإذا ما نشأ موقف يدعو بن جوريون لأن يقدم الاستقالة ، ووجدت أن مصلحة الدولة تتطلب أن يقوم حزب ماباى بتأليف الحكومة حتى بدون بن جوريون ، ولو أعطيت حق الاشتراك فى هذه الحكومة فسوف أفعل ذلك .

« ومضى حاييم إسرائيلى يقول لى : إنه بعد أربعة أعوام كان بن جوريون يكتب سردا لأحداث تلك الفترة ، وطلب أن يطلع على محضر وقائع اجتماعات اللجنة المركزية . وقد أحضر يوسف الموجى وهو عضو مخضرم فى حزب ماباى كان يشغل فى ذلك الوقت منصب السكرتير العام للحزب ، نسخة من محضر الوقائع وأعطاها إلى أحد مساعدى بن جوريون ، وبعد عدة ساعات اتصل الموجى بإسرائيلى تليفونيا وهو فى حالة من الذعر وطلب منه الاحتفاظ بالسجل وألا يتيح لبن جوريون الاطلاع عليه . وكان الموجى قد فرغ لتوه من تصفحه ، ولمح الإشارة إلى إمكانية تأليف وزارة بدون بن جوريون ، وقال : إن هذا الاقتراح من جانب موشى ديان سوف يؤلم بن جوريون ومن الأفضل ألا يراه . ولكن إسرائيلى أخبره أنه قد فات الأوان فقد وصل السجل بالفعل إلى بن جوريون .

« وبعد ذلك بقليل دلف بن جوريون إلى غرفة إسرائيلى وهو يبتسم ويحمل السجل فى يده ، وقال لإسرائيلى : (لقد استمتعت بكلمات شخص واحد فقط هو موشى ديان) . فهى كلمات تنم عن فهم . وديان هو الشخص الوحيد الذى تفوه بكلمات معقولة ، إنه شخص حكيم . كيف يقول الآخرون إننا لا نشكل حكومة بدون بن جوريون ؟ إن بن جوريون ليس سوى لحم ودم وليس المهم هو الإنسان ــ فهو يختفى من المسرح ــ لكن المهم هو طريقه لأنه هو الذى يستمر .

« ولقد تأثرت كثيرا بذلك ، فإن كلمات المديح من جانب بن جوريون كانت دائما تعنى الكثير بالنسبة لى .

« وأجريت الانتخابات العامة فى أغسطس من عام ١٩٦١ ، وتولى بن جوريون رئاسة الوزراء مرة أخرى ولكن العلاقات ظلت متوترة بينه وبين رفاقه فى حزب الماباى الذين عارضوه بشأن تقرير لجنة السبعة ، وازدادت العلاقات توترا عندما واصل بن جوريون جهوده من أجل تغيير ما كان يشعر بأنه إجهاض للعدالة ، وبعد ذلك بعامين ترك منصبه ، ولم يعد إليه ثانية » .

.. وفى مذكرات جولدا مائير

« وفى عام ١٩٦٠ ، عندما انفجرت « فضيحة لافون » من جديد ، أصبح شاريت من أهم منتقدى سياسة بن جوريون ، ورفض أن تموت تلك القضية ميتة طبيعية .

« إن قضية لافون الحقيقية تعود إلى حماقة أمنية ، ومهمة تجسس فى مصر عام ١٩٥٤ .

« حدث ذلك عندما كان شاريت رئيسا للوزراء ووزيرا للخارجية ، وكان قد خلف بن جوريون فى وزارة الدفاع بنحاس لافون ، عضو ماباى النشط والقادر ، وهو شخصية ذكية ، معقدة ، كان دائما كحمامة وديعة ، لكنه تحول إلى صقر كاسر ، شرير عندما تسلم مهام وزارة الدفاع .

« لقد أكد الجميع أنه لا يصلح للوزارة ، لأنه يحتاج إلى الخبرة العسكرية وإلى الحجة فى الحكم . لقد حاولت مع كثيرين منع وصوله إلى الحكم ، خلفا لبن جوريون ولكن بدون جدوى .

« كالعادة لم يغير بن جوريون رأيه ، فقد ذهب إلى سدى بوكر بينما تسلم لافون وزارة الدفاع ، لكنه لم يستطع التعامل مع شباب بن جوريون ، المكرسين أنفسهم للنظام ، ومنهم موشى ديان ، الذى كان رئيسا للأركان ، وشيمون بيريز الأمين العام لوزارة الدفاع ، فهؤلاء لا يحبذون لافون ولا يثقون به ، وقد صارحوه بذلك ، وكان جوابه أنه لن يعيش فى ظل بن جوريون ، وأنه لا يريد تنفيذ أوامره ، بحذافيرها . وهكذا حيكت بذور الشر .

« وعندما بدأت الفضيحة الأمنية ، عينت لجنة لدراسة الأسباب والمسببات وهنا لا أريد الخوض فى التفاصيل . إذ يكفى أن لافون رفض الاعتراف بما نسب إليه من تهم ، واتهم رئيس المخابرات بافتعال تلك الحادثة من وراء ظهره .

« لم تستطع اللجنة استنتاج أى شىء ، ولكنها لم تبرىء ساحة لافون من مسئولية ما حدث ، ومهما يكن ، كان الجميع غير خائفين من تلك الحادثة السرية ، ومن عرفها قال إن القضية لم تعد سرية ، وإن لم يُسدل الستار عن فصولها . وعلى كل حال فقد حدث خطأ فادح بالرغم من معرفة مسببه ، لذلك لم يجد لافون مفرا من الاستقالة ، واستدعى بن جوريون ليتسلم منصبه من

جديد فى وزارة الدفاع .

« بعد ست سنوات عادت شرارة الفضيحة ، واشتعلت مرة ثانية ، وقد تحولت هذه المرة إلى فضيحة سياسية حادة ، وأثرت بشكل محزن على موقف الماباى ، وحطمت بل وخيبت آمال الجماهير لعدة أشهر ، وقادت بشكل مباشر إلى خصامى مع بن جوريون وإلى استقالته للمرة الثانية كرئيس للوزراء .

لقد صرح لافون أن خطأً ما حدث فى طريقة استجواب البعض عند سؤالهم عن الأمر ، وربما زُورت الوثائق ، واتُهم بن جوريون بإساءة استعمال اسمه أمام الناس . ولكنه أنكر ذلك وأصر على عرض القضية أمام لجنة قضائية .

« وفى الحال ، شُكلت لجنة لتستوضح الأمر ، وخاصة من المسئولين الذين اتهمهم لافون بأنهم يتآمرون ضده ، وقبل انتهاء اللجنة من مهمتها ، رفعت تقريرا للكنيست توضح فيه تفاصيل المسألة ، وبالتدريج وصلت القصة للصحافة .

« أما بقية معركة لافون وبن جوريون فقد جرت على ساحة مكشوفة للرأى العام ،أ وقد أخذ ليفى أشكول على عاتقه التهدئة ، لكن بن جوريون كان عنيدا وطالب بمحكمة تقدم التفاصيل ، واستمر فى المطالبة ، بينما حاولت مع ليفى أشكول وبنحاس سابير حل القضية والنزاع على مستوى الوزارة ، وبالفعل شكلت لجنة من سبعة وزراء لتحرى الأمر ، وقد شكرنا بن جوريون جميعا لأنه لم يعارض هذا الإجراء .

لكن بن جوريون الذى كان يأمل فى مساندة اللجنة (والتى أصدرت ما يشير إلى عدم الاستمرار فى إثارة الموضوع بعد ذلك) جن جنونه وقال : « إنه إذا لم يعط لافون الأمر فإن اللوم يقع بالتأكيد على المخابرات العسكرية » .

« وبما أنه لم يظهر برهان للمشكلة ، فيمكن للجنة قضائية أن تقرر من هو المسئول » ؛ وقال بعد ذلك : « إن لجنة الوزراء لم تتصرف بشكل لائق ، وأنها طمست القضية وأنهت الأمر » .

« فى عام ١٩٦٣ ، عاد بن جوريون واستقال ، وتسلم منصبه ليفى أشكول كرئيس للوزراء حسب اقتراح بن جوريون نفسه والذى انصرف لمتابعة تحرياته عن القضية فى المحكمة ، رغم معارضة أشكول ، الذى أصبح هدفا لغضبه . وفى النهاية شعر بن جوريون أننا جميعا ضده فاعتكف عنا كما أننى لم أعد أره لفترة طويلة » .

جولدا مائير

الفصل العاشر ـــ حياتى

لقد شهد العام الأخير من الكنسيت الثانى حدثا أثار اضطرابا فى البلاد ، وترك أثرا سيئا فيما بعد . وبلغة الرقابة كان « قألا سيئا على الأمن » أو « المسألة نحس » . وبلغة الصحف كانت تسمى « قضية لافون » ومنها كان الاسم ، فانها تشير إلى أمر صدر أو تم تنفيذه فى يوليو سنة ١٩٥٤ ــ نفذه الشخص الذى أطلق عليه رجال الرقابة اسم « الضابط القديم » ، ونتيجة لذلك فقد عدد كبير من الأشخاص حياتهم .

وزعم الضابط الكبير المجهول اليهودية أنه تلقى الأمر من وزير الدفاع وكان هو بنحاس لافون فى ذلك الوقت ، وبعد عدة أيام من الحادث المؤسف أبلغنى كتابة أن هؤلاء الذين يمسهم الموضوع قد اعتقلوا وسوف يقدمون للمحاكمة .

ولم يرد لافون على الإطلاق على هذه المعلومات .

وكان رئيس الأركان عندئذ موشى ديان ، غير موجود فى البلاد ، وعند عودته طلب تقريرا من الضابط الكبير . وبعد أن تسلمه فى أول نوفمبر ١٩٥٤ ، أعلن ديان فى اجتماع لهيئة الأركان أن العملية المشار إليها قد نفذت بناء على أوامر من وزير الدفاع ، وأن ضابطا كان مضطرا لطاعة الوزير دون تردد .

ولم يشترك وزير الدفاع فى اجتماعات هيئة الأركان ، بل اشترك فيها سكرتيره إفرايم إيفرون الذى كان حاضرا ، ومما لا شك فيه أنه أبلغ الوزير بما قاله ديان . وفى منتصف ديسمبر ، زار لافون ، ديان والضابط الكبير وأبلغهما أن الحكومة أو لجنة الأمن والشئون الخارجية أو كليهما سوف تستدعيهما فى جلسة لبحث قضية الأمن . واقترح أن يشهدا أن الأمر قد صدر للتخطيط للعملية لا لتنفيذها . وعندما لم يجب الرجلان ، فهم لافون أنهما لا يوافقان على اقتراحه .

وحدث « حادث الأمن المؤسف » فى النصف الثانى من يوليو ١٩٥٤ ، وقبل ذلك بأيام قليلة ، أى فى يوم الثلاثاء ١٣ يوليو سنة ١٩٥٤ ، أن كان شموئيل ديان (والد موشى ديان) وكاديش كوز ، وموردخاى نامير قد جاءوا لمقابلتى فى سدى بوكر ولديهم فكرة إعادتى إلى الحكومة ، وكان صاحب الفكرة فى هذه الزيارة شموئيل

ديان الذى تشاور مع عدد من أعضاء ماباى الآخرين . ولم يكن كوز قد اشترك فى المشاورات ، ولكن الأعضاء أرادوا ضمه كممثل عن الكيبوتزات على أن يمثل ديان الموشافيم ، وأن يمثل نامير المدن ، وفى سدى بوكر قام نامير بالجانب الأكبر من الحديث وقال : « إن الجمهور ليس لديه إحساس بالأمن » ، و « ليست هناك سلطة . ومع أن المخاوف فى وقت استقالتك أثبتت أنها زائفة إلا أنها ازدادت سوءاً الآن . لقد جئنا نطلب منك العودة » .

وكان ردى هو أننى لا أريد العودة فى ذلك الوقت بالذات لأننى — مع أننى مواطن خاص — إلا أننى كنت مشغولا بمسألتين مهمتين فى تعبئة الأعضاء الشباب فى الموشافيم (القرى) للاستيطان هم وعائلاتهم فى الموشافيم الجديد للهجرة (وكتب براهام هاباس فيما بعد كتابا عن هذا المشروع باسم « حركة بدون اسم » ونشر الكتاب على يد دافار فى سنة ١٩٦٤) ، والثانية هى خلق « استيطان إقليمى » فى جنوب البلاد — فى منطقة عُرفت فيما بعد باسم منطقة « لاهيش » .

وقرب نهاية الشهر أى فى ١٨ يوليو ، وبينما كنت أعالج فى مستشفى تل هاشومير ، جاء لزيارتى جولد مائير ، وزالمان اران ، وليفى أشكول ، وتحدثوا عن العلاقات الصعبة داخل وزارة الدفاع ، وطلبت منهم أن يتحدثوا بصراحة عن بنحاس لافون ، وعاد موشى ديان إلى موطنه فى سدى بوكر فى ٢٤ أغسطس وجاء لمقابلتى ، وأبلغنى عن الأمر المدهش الذى أصدره لافون بينما كان هو (ديان) فى الخارج ، وفشلت العملية (كما قال) وكان المفروض أن يعرف أنها سوف تفشل .

وزارنى نامير فى الصباح ، فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٥٤ ، وفى الأسابيع الأخيرة زعم — وكان الإحساس بالأمن القومى قد ضعف — بأن الموقف فى البلاد ، وفى حزب ماباى قد تدهور . لقد كان هناك افتقار إلى السلطة والنظام فى الحكومة وفى الهستدروت ، وفى ماباى .

وفى ٢٧ من يناير سنة ١٩٥٥ ، قال شاؤل أفيجور — أثناء زيارته لى — إن رئيس الوزراء شاريت قد أبلغه أنه عين لجنة خاصة لجنة (أولشان — دورى) للتحقيق فى من أصدر الأمر . فإما الوزير ، أو الضابط الكبير ، قد تجاوز سلطاته وقام بالعملية تحت

مسئوليته . ولم تجد اللجنة دليلا قضائيا ، ولكن انطباعها الدامغ هو أن الأمر صدر من لافون . وقال الفيجور إن الجيش فقد ثقته فى لافون وأنه من المعروف أنه لا يحب الجيش ولذلك فقد حثنى على العودة إلى وزارة الدفاع .

وفى الأيام الأولى من فبراير سنة ١٩٥٥ ، تسلمت من لافون نسخة من خطاب سبق أن أرسله إلى رئيس الوزراء شاريت يطلب فيه منه استقالته . وكان يشكو بأن قرارات لجنة أولشان ـــ دورى قد عرضت على افيجور بالرغم من اعتراض لافون ، وأنه كان قريبا أثناء المداولات ، وأن أعضاء الحكومة كانوا يتجنبونه كما لو كان مصابا بمرض معد ، وأحس بأنه بمعزل عن المجموعة وعن المسئولية الجماعية وأنه لهذا السبب يقدم استقالته .

ودلت نسخة الخطاب أن نسخا أخرى قد أرسلت إلى جولدا مائير وأران ، وأشكول . .

وبعد تسلم هذه النسخة بأسبوعين ، أى فى ١٧ فبراير ١٩٥٥ ، زارتنى جولدا مائير ، ونامير ، لقد حضرا نيابة عن مجلس الوزراء لكى يطلبا منى العودة إلى وزارة الدفاع .

ولقد انزعجت للغاية من تقريرهما عن خطورة الأزمة فى الوزارة والافتقار إلى الثقة داخل الجيش وكنت أعلم فى موقفى هذا أن الجيش هو أهم هيئة فى البلاد . ومع أننى كنت قد قررت البقاء فى سدى بوكر لعام آخر على الأقل إلا أننى أحسست فى هذا الوقت بأن من واجبى أن ألبى رغبات رئيس الوزراء فالأمن والجيش يجيئان قبل كل شىء .

وفى صباح اليوم التالى ، فى ١٨ فبراير ، دهشت عندما قالت زوجتى بولا إنها سمعت عن تعيينى وزيرا للدفاع ، فى أخبار الساعة الحادية عشرة فى إذاعة الليلة السابقة ، وفى يوم الاثنين ٢١ فبراير ، ذهبت إلى القدس وكنت حاضرا فى الكنيست ، عندما أعلن رئيس الوزراء عن استقالة لافون وعن اشتراك بن جوريون فى الوزارة كوزير دفاع . ولم يجر حوار ولكن عددا من الأعضاء (مارى نيابة عن مابام ، وبن أحارون نيابة عن أعضاء كيبوتز هامينهاد الذين سبق لهم مغادرة مابام ، وشمويل ميكونس عن الشيوعيين ، وشايم لاندو عن حيروت) ، أعلنوا اعتراضهم على اشتراكى فى الوزارة ، وبعد اقتراع بنسبة ٧٤ : ٢٣

مع امتناع واحد عن التصويت (أنا شخصيا) تمت الموافقة على تعيينى وزيرا ، ووقعت على الفور على إقرار الولاء .

وبعودته إلى وزارة الدفاع ، قرأ بن جوريون[1] قرارات لجنة اولشان ــ دورى والتى جاء فى جانب منها « نأسف لأننا لم نستطع الرد على السؤال الذى طرحه رئيس الوزراء . وكل ما نستطيع قوله هو أننا لم نقتنع اقتناعا كاملا بأنه (الضابط الكبير) لم يتلق أوامر من وزير الدفاع وفى الوقت نفسه ، لسنا واثقين مما إذا كان وزير الدفاع قد أصدر بالفعل الأوامر التى نسبت إليه » .

وكان بن جوريون يعرف اولشان ودورى شخصيا ، وكان يقدرهما تقديرا كبيرا ، وكان الرجلان عضوين فى الهاجاناه لعدة سنوات ، وكان اولشان قاضيا فى المحكمة العليا ، وكان دورى رئيس هيئة أركان الجيش ، ولما عجزا عن إثبات الحقيقة ، قرر بن جوريون عدم معالجة المسألة على الإطلاق ، لدرجة أنه لم يقرأ قراءة وافية تقرير اللجنة بأكمله . وأحس بأنه من الضرورى أن يترك موقف لافون وقد أحاطت به الشكوك ، وأن يستمر فى معاملته كزميل لأنه كان يتحلى بمواهب اعتبرها بن جوريون مهمة . أما فيما يتعلق بالضابط الكبير فقد أحس وزير الدفاع أنه من الضرورى أن يكون حازما ، لأنه كان يخدم فى وحدة تتطلب قدرا من الثقة[2] لأنها ترعى أسرار الدولة . ونظرا للشكوك التى أحاطت بموقفه فقد قرر نقل الرجل إلى منصب مختلف . وتحدث بن جوريون عن ذلك مع موشى ديان الذي وافق على ذلك ، وكذلك الحال بالنسبة لرئيس الوزراء . وتجنب وزير الدفاع الجديد توجيه سؤال إلى لافون أو إلى شاريت أو إلى أى عضو آخر فى الحكومة عما يراه فى القضية ، ولم يذكر له أحد منهم أى شىء كان من الممكن أن يعرفوه عنها .

وفى نهاية العام ، وجد بن جوريون خطابات فى وزارة الدفاع موجهة من شاريت إلى لافون ، بدت مدهشة إلى حد ما .

ففى خطاب مؤرخ بتاريخ ١٤ أغسطس ١٩٥٣ (عندما كان شاريت يعمل نائبا لرئيس الوزراء ، ولافون نائبا لوزير الدفاع وكان بن جوريون فى إجازة) .

« بين رئيس الوزراء ووزير الدفاع (بن جوريون) وبينى كان هناك تقليد بأن نخطر

مقدما عن أى عمل انتقامى خطير يتخذ ضد أى دولة من الدول المجاورة ، أو عن أى خطوة تستخدم فيها القوة ضد السكان العرب فى الدولة . وهذا التقليد لم يتبع فيما يتعلق بفرض حظر التجول ، والبحث فى تيرا ، أو العمليات التى نفذت فى الثانى عشر من هذا الشهر ، ولذلك يجب أن أطلب منك من الآن فصاعداً أن تخطرنى بوقت كاف مقدما عن أى عملية خطيرة من الأنواع التى أشرت إليها ، والتى أصدرت أوامر بها أو التى وافقت عليها » .

وفى الخطاب الثانى فى ١٩ أغسطس كتب شاريت إلى لافون يقول :

« إن رفضك الاشتراك فى مشاورات الزملاء أمر مدهش للغاية ، ويخلق مشكلة خطيرة جدا . وإذا كانت النية هى التوصل إلى استقالتى بصفتى نائب رئيس الوزراء فليس هناك أبسط من هذا ، فهل هذا هو ما تريده ؟ » .

وكتب شاريت خطابا مؤرخا فى ٢٥ مايو ١٩٥٤ عندما كان شاريت رئيسا للوزراء وليس قائما بعمل رئيس الوزراء ، وعندما كان لافون وزيرا للدفاع وليس قائما بعمل وزير الدفاع :

« إن المسائل التى تتعلق بجوانب الأمن لا تبلغ لى كما يجب ، وتحدث أمور لا أعرف عنها شيئا . إننى أسمع إعلانات فى الإذاعة وأقرأ فى الصحف فيما بعد عنها دون أن يكون لى علم بخلفياتها . والإجراء الصحيح هو أن أعلم بالحقائق — إذا كان هذا ممكنا — قبل أن ينشر النص الرسمى . ويجب أن أعرف الحقائق والأمر متروك لك لى أن تأخذ زمام المبادرة » .

وحتى بينما كان يعيش ويعمل فى سدى بوكر ، سمع بن جوريون عن العلاقات المتوترة بين الحكومة ووزير الدفاع وكذلك داخل وزارة الدفاع ذاتها ، ولما لم يجد رئيس الوزراء من الضرورى إبلاغه عن هذه الأمور بعد عودته إلى وزارة الدفاع ، لم يلح بن جوريون لمعرفة ذلك .

ولم يسأل الأعضاء الآخرين فى الحكومة بعد الانتخابات التى جرت للكنيست الثالث عندما أصبح مرة أخرى رئيسا للوزراء ووزيرا للدفاع فى ائتلاف سبق أن كونه من ماباى ، ومابام ، وأحدوت هافودا ، وهابوبل هامزراحى ، والتقدميين — ولقد تأكد مركز الحكومة باقتراع ٧٣ مقابل ٣٣ فى ٣ نوفمبر ١٩٥٥ . وفى أثناء هذا قام

الضابط الكبير ــ فى وظيفته الجديدة ــ بواجباته بما أرضى بن جوريون ، وحافظ بن جوريون على العلاقات الودية مع لافون كما كانت عندما كان بن جوريون يعيش فى سدى بوكر .

ديفيد بن جوريون
إسرائيل ــ تاريخ شخصى
الفصل الرابع

ملاحظات :

(٢) فى مذكراته كان بن جوريون يستخدم ضمير الأنا أحيانا ، وضمير الغائب (هو) أحيانا أخرى .

(٢) المقصود بالطبع العقيد بنيامين جيفلى .

الهيكل العام للقضية

□ التنظيم :

١ – إبرام دار (جون دارلنج) – المؤسس .
٢ – بول فرانك (روبير) – المشرف على خطة الحرائق .
٣ – ماكس بنيت (أميل) – المسئول عن التنظيم فى غياب إبرام دار .
٤ – موسى ليتو مرزوق – مسئول القاهرة .
٥ – فيكتور ليفى – مسئول الإسكندرية .
٦ – فيكتورين نينو (مارسيل) – مسئول الاتصال .

□ أماكن زرع القنابل الحارقة :

١ – المبنى المركزى للبريد فى الإسكندرية .
٢ – المركز الثقافى الأمريكى بالقاهرة .
٣ – المركز الثقافى الأمريكى بالإسكندرية .
٤ – دور سينما ريو وأمير بالإسكندرية ، وراديو وريفولى بالقاهرة .
٥ – أمانات السكة الحديد بمحطة القاهرة .

□ الأهداف حسب التعليمات الإسرائيلية :

١ – المراكز الثقافية والإعلامية .
٢ – المؤسسات الاقتصادية .
٣ – سيارات الدبلوماسيين والرعايا البريطانيين .

□ المتهمون حسب قرار الاتهام :

١ – إبرام دار (جون دار لنج) ضابط بالجيش الإسرائيلى (هارب) .
٢ – موسى ليتو مرزوق – طبيب بالمستشفى الإسرائيلى .
٣ – صمويل باخور عازار – مدرس .

٤ ـــ فيكتور مويز ليفى ـــ بلاسيه .
٥ ـــ فيكتورين نينو (مارسيل) ـــ موظفة بشركة الفابريقات الإنجليزية .
٦ ـــ ماكس بنيت ـــ بشركة أنجلو إجيبشيان .
٧ ـــ بول فرانك (هارب) .
٨ ـــ فيليب هرمان ناتانسون ـــ مساعد سمسار بمكتب إيلى كوربيل .
٩ ـــ روبير نسيم داسا ـــ كاتب تجارى .
١٠ ـــ إيلى جاكوب نعيم ـــ موظف بشركة شوارتس .
١١ ـــ يوسف زعفران ـــ مهندس معمارى .
١٢ ـــ ماير صموئيل ميوحاس ـــ قومسيونجى .
١٣ ـــ سيزار يوسف كوهين ـــ موظف ببنك زلخا .

□ اتهامات النيابة :

١ ـــ الاشتراك فى اتفاق جنائى .
٢ ـــ التجسس لحساب دولة أجنبية معادية هى دولة إسرائيل بقصد استعدائها على مصر .
٣ ـــ إحراز مفرقعات لاستخدامها فى أعمال النسف والتخريب والتدمير .

□ طلبات النيابة :

١ ـــ إعدام المتهمين .

□ قائمة الأحراز :

١ ـــ إسطوانة من البلاستيك لتسجيل التعليمات .
٢ ـــ أدوات كهربائية لتقوية الإرسال .
٣ ـــ فانلة فيليب ناتانسون وبنطلونه المحترقان .
٤ ـــ جراموفون يملكه ماكس بنيت .
٥ ـــ دفتر شيكات وعملات مختلفة يملكها ماكس بنيت .
٦ ـــ جهاز تسجيل صغير يملكه ماكس بنيت .

٧ ــ خطابات من أصدقاء مارسيل عليها تعليمات .
٨ ــ أوراق ضبطت فى بيت مارسيل .
٩ ــ ٧ شرائح ميكروفيلم .
١٠ ــ أفلام .
١١ ــ محطة لاسلكى .
١٢ ــ علبة زيت بها جهاز لاسلكى .
١٣ ــ جهاز استقبال بالكهرباء .
١٤ ــ جهاز استقبال بحجر البطارية .
١٥ ــ حقيبة بها مصنع قنابل حارقة .
١٦ ــ قنابل حارقة لم تنفجر .
١٧ ــ مخلفات الحرائق ، علبة فيم ، وجراب نظارة .
١٨ ــ تقارير اقتصادية وسياسية عن مصر .
١٩ ــ منشورات دعاية لإسرائيل .
٢٠ ــ قوائم مصاريف الشبكة .

□ الإشراف على التحقيقات :

١ ــ حافظ سابق ــ النائب العام .
٢ ــ مصطفى الهلباوى ــ رئيس نيابة أمن الدولة .
٣ ــ فخرى عبد النبى ــ وكيل النائب العام .
٤ ــ أمين أبو العلا ــ وكيل نيابة الإسكندرية العسكرية .

□ الشهود :

١ ــ البكباشى محمد سمير درويش ــ مفتش المباحث العامة بالإسكندرية .
٢ ــ الصاغ ممدوح سالم ــ المباحث العامة .
٣ ــ الصاغ السيد فهمى ــ المباحث العامة .

٤ ــ اليوزباشي جمال حسين ــ المباحث العامة .
٥ ــ اليوزباشي حسن زكي المناوي ــ مباحث قسم العطارين .
٦ ــ اليوزباشي محمد فتح الله سلامة ــ المباحث العامة .
٧ ــ ملازم أول عبد الغفار حسين ــ فرقة مطافىء الإسكندرية .
٨ ــ جُندي محمد هاشم جندي ــ مطافىء الإسكندرية .
٩ ــ صلاح السماع ــ مخزنجي بأمانات المفتش ــ محطة القاهرة .
١٠ ــ البكباشي صلاح لبيب ــ مفتش المفرقعات بالمنطقة العسكرية الشمالية .

□ هيئة المحكمة العسكرية العليا :

١ ــ الأميرالاي محمد فؤاد الدجوي ــ رئيسا .
٢ ــ القائمقام عبد المنعم الشافعي ــ عضوا .
٣ ــ قائد جناح سمو عباس ــ عضوا .
٤ ــ البكباشي عبد المحسن حافظ ــ عضوا .
٥ ــ البكباشي حسن ثابت ــ عضوا .
٦ ــ البكباشي إبراهيم سامي ــ نائب أحكام .
٧ ــ فخري عبد النبي ــ ممثل الادعاء .

□ هيئة الدفاع :

١ ــ أحمد رشدي .
٢ ــ صلاح الدين حسن .
٣ ــ عباس حلمي زغلول .
٤ ــ أحمد فهمي رفعت .
٥ ــ مختار أمين عامر .
٦ ــ جمال الدين العطيفي .
٧ ــ أحمد مختار قطب .

٨ ـ حسن الجبلاوى .

٩ ـ على منصور .

١٠ ـ عبد العزيز الجزار .

١١ ـ كمال توفيق .

١٢ ـ يوسف الغرباني .

١٣ ـ صالح منصور .

١٤ ـ عبد الرحمن النجار .

□ الأحكام :

١ ـ الإعدام :

ـ د . موسى ليتو مرزوق .

ـ صمويل عازار .

٢ ـ الأشغال الشاقة المؤبدة .

ـ فيكتور ليفى .

ـ فيليب ناتانسون .

٣ ـ الأشغال الشاقة ١٥ سنة .

ـ فيكتورين نينو .

ـ روبير نسيم داسا .

٤ ـ الأشغال الشاقة ٧ سنوات .

ـ ماير يوسف زعفران .

ـ ماير صمويل ميوحاس .

٥ ـ براءة :

ـ إيلى جاكوب نعيم .

ـ سيزار يوسف كوهين .

٦ ــ مصادرة :

ــ أجهزة اللاسلكى .

ــ ١٤٠٠ جنيه كانت مع د . موسى مرزوق .

ــ سيارة ماكس بنيت .

٧ ــ انتفاء التهمة عن ماكس بنيت لانتحاره .

٨ ــ عدم الإشارة فى الحكم إلى :

ــ إيرام دار .

ــ بول فرنك .

مراجـع الكتـــاب
ولمزيـد من الاطـلاع

▫▫ كتب باللغة الإنجليزية :

(1) Richard Deacon: The Israeli Secret Service - Sphere Books Limited - London - 1979 .

(2) Yaacov Caroz: The Arab Secret Service - Corgi - London - 1978 .

(3) Stephen Green: America's Secret Relations A Militant Israel - New York - 1982 .

(4) Ivrei ILad:-Decline of Honor - Henry Regnery - Chicago - 1976 .

(5) David Hirst - The Gun And The Olive Branch (The Roots of Violench in The Middle East) - N.Y - W.M Books .

(6) Moshe Dayan - Story of My Life - New York - William Morrow - 1976 .

▫▫ كتب باللغة الإنجليزية ومترجمة إلى اللغة العربية :

(١) د . ايريش فولات ــ عين داوود (عمليات الوحدات السرية الإسرائيلية) ــ ترجمة اسيمة جانو ــ الناشر : مكتبة مدبولى ــ القاهرة ١٩٨٧ .

(٢) ليفيا روكاخ ــ الإرهاب الإسرائيلى المقدس ــ تُرجم تحت عنوان « قراءة فى يوميات موشى شاريت الخاصة » ــ بدون اسم مترجم ــ دار ابن خلدون ــ بيروت ١٩٨٤ .

(٣) جولدا مائير ــ حياتى ــ تُرجم تحت عنوان « الحقد » ــ ترجمة منير بهجت حيدر ، وسمية أبو لحيجا ــ الطبعة العربية الثانية ــ دار المسيرة (بيروت) ومكتبة مدبولى (القاهرة) ــ ١٩٨٨ .

(٤) دينيس ايزينبرج ، ويورى دان ، وإيلى لانداو ــ الموساد (جهاز المخابرات الإسرائيلية السرى من خلال بعض القصص) ــ بدون اسم مترجم ــ الطبعة الإنجليزية (تل أبيب

ولندن) ١٩٧٨ ــ الطبعة العربية ١٩٨٨ ــ الهيئة العامة للاستعلامات ــ طبعة محدودة التداول ــ كتب مترجمة رقم ٧٧٥ ــ القاهرة .

(٥) ناحوم جولدمان ــ التناقض اليهودى (اليهودية والصهيونية بعد هتلر) ــ بدون اسم مترجم ــ الهيئة العامة للاستعلامات ــ كتب مترجمة رقم ٧٣٦ ــ طبعة محدودة التداول ــ القاهرة ١٩٨٠ .

□□ كتب باللغة العربية :

(١) د. وجيه الحاج سالم وأنور خلف ــ الوجه الحقيقي للموساد ــ دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية ــ عمان ــ الطبعة الأولى ــ ١٩٨٧ .

(٢) محمد حسنين هيكل ــ ملفات السويس : حرب الثلاثين سنة (الملحق الوثائقى) ــ مؤسسة الأهرام ــ القاهرة ١٩٨٦ .

(٣) د. محمود متولى ــ مصر .. وقضايا الاغتيالات السياسية ــ كتاب الحرية (٦) ــ القاهرة ــ نوفمبر ١٩٨٥ .

(٤) أحمد غنيم وأحمد أبو كف ــ اليهود والحركة الصهيونية فى مصر ــ دار الهلال ــ القاهرة ــ ١٩٦٩ .

(٥) عبد الله إمام ــ صلاح نصر يتذكر (المخابرات والثورة) ــ بدون اسم ناشر ــ القاهرة ١٩٨٤ .

□□ الدوريات :

(١) مجموعة أعداد جريدة الأهرام ــ القاهرة ــ شهر أكتوبر ١٩٥٤ . (معلومات عن القضية) .

(٢) مجموعة أعداد جريدة الأهرام ــ القاهرة ــ شهر ديسمبر ١٩٥٤ ، وشهر يناير ١٩٥٥ (معلومات عن جلسات المحاكمة ، والأحكام) .

(٣) مجموعة أعداد جريدة الأهرام ــ القاهرة ــ شهر فبراير ١٩٥٥ (معلومات عن تنفيذ حكم الإعدام ، وردود الفعل) .

(٤) مجموعة أعداد جريدة الأهرام ــ القاهرة ــ شهر أكتوبر ١٩٦٠ (معلومات عن انفجار الفضيحة سياسيا فى إسرائيل) .

(٥) مجموعة أعداد الأهرام ــ القاهرة ــ شهر فبراير ١٩٦١ (معلومات عن استقالة بن جوريون وطرد لافون من الهستدروت) .

(٦) مجموعة أعداد الأهرام ــ القاهرة شهر مايو ١٩٦٤ (معلومات عن انقسام حزب ماباى وحكومة اشكول عقب إعادة لافون إلى الهستدروت) .

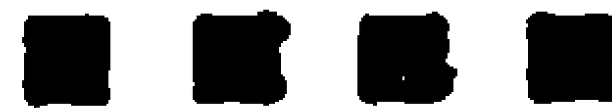
(٧) مجموعة أعداد الأهرام ــ القاهرة ــ شهر يونيو ١٩٦٣ (معلومات عن اعتزال بن جوريون الحياة العامة) .

(٨) مجلة المصور ــ القاهرة ــ عدد ٨ أكتوبر ١٩٥٤ .

(٩) مجلة المصور ــ القاهرة عدد ٢٩ أكتوبر ١٩٥٤ .

(١٠) مجلة المصور ــ القاهرة ــ عدد ٧ يناير ١٩٥٥ .

(١١) مجلة الأزمنة الحديثة ــ ربيع ١٩٧٩ ــ باريس ــ دراسة بات ياكور « الصهيونية فى العالم الإسلامى ــ حالة مصر » .



ملف القضية

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٩٩٤٦/ ١٩٩٦

ISBN 977- 01 - 4959 - 4

مكتبة الأسرة



بسعر رمزى جنيه واحد
بمناسبة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٦

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

